سورة الإسراء

مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ

فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

اللغــة :

(سبحان) : علم جنس للتنزيه والتقديس وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحانه أو سبحت الله سبحان أي فهو مفعول مطلق ومعناه ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص ولذا لا يستعمل إلا فيه تعالى .

(أسرى) : سرى بمعنى سار في الليل وهما لازمان ومصدر الأول الإسراء ومصدر الثاني السرى بضم السين .

(مرتين) : تثنية مرة وفي القاموس مرمراً ومروراً جاز وذهب واستمر ومره وبه جاز عليه وامترّ به وعليه كمر والمرة الفعلة الواحدة والجمع مَرّ ومرار ومرر بكسرهما ومرور بالضم ولقيه ذات مرة ولا يستعمل إلا ظرفاً » .

(فجاسوا خلال الديار) : في القاموس : « الجوس بالجيم طلب الشيء باستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت في الغارة والطوف فيها كالجوسان والاجتياس وبابه قال وخلال الديار فيه وجهان أحدهما أنه اسم مفرد بمعنى وسط والثاني انه جمع خلل كجبل وجبال وجمل وجمال .

وقال الجوهري : الجوس مصدر جاسوا خلال الديار أي تخللوا فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها • وحكى الهروي في الغريبين عن الأزهري أن معنى جاسوا وطئوا • وحكي عن الأصمعي انه يقال تركت فلاناً يجوس بني فلان ويحوسهم ويدوسهم أي يطؤهم• وقال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته وحسته •

(الكرة) : الغلبة والدولة وهي في الأصل مصدر كريكر أي رجع ثم استعملت تعبيراً عن الدولة والقهر والغلبة •

(نفيراً) : النفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز وفيه أوجه أحدها انه فعيل بمعنى فاعل أي نافر والثاني أنه جمع نفر نحو عبيد والثالث انه مصدر أي أكثر خروجاً الى الأعداء وقد قدمنا أن النون والفاء إذا كانتا فاء للكلمة وعيناً لها ، دلتا على الخروج والنفاذ •

(يتبروا) : التتبير : الهلاك •

(حصيراً) : محبساً وسجناً • قال لبيد :

ومقامه غلب الرجال كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

وقال الحسن : يعني فراشاً ، وعنه أيضاً : وهو مأخوذ من الحصر والذي يظهر انها حاصرة لهم أي محيطة بهم من جميع جهاتهم فحصير معناه ذات حصر إذ لو كان للمبالغة لزمته التاء لجريانه على مؤنث كما تقول : رحيمة وعليمة ، ولكنه على معنى النسب كقوله : السماء منفطر به أي ذات انفطار •

الاعراب :

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ﴾ سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف وقد تقدم بحثه في باب اللغة والذي مضاف اليه وجملة أسرى صلة ، وبعبده متعلقان بأسرى وليلاً ظرف متعلق بأسرى وسيأتي في باب البلاغة سر ذكره مع أن السرى لا يكون إلا في الليل وبعبده جار ومجرور متعلقان بأسرى وليلاً ظرف زمان متعلق بأسرى أيضاً ومن المسجد جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي مبتدئاً وإلى المسجد الأقصى حال أيضاً أي منتهياً الى المسجد والأقصى نعت للمسجد والذي نعت ثان وباركنا صلة وهي فعل وفاعل وحوله ظرف متعلق بباركنا • ﴿ لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ اللام للتعليل ونريه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به والأولى أن تجعل الجار والمجرور خبراً لمبتدأ محذوف أي وذلك لنريه ومن آياتنا جار ومجرور متعلقان بنريه ومن حرف جر للتبعيض وان واسمها وهو مبتدأ أو ضمير فصل والسميع خبر هو أو خبر إن والبصير خبر ثان وسيأتي سر هذه الالتفاتات في باب البلاغة • ﴿ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ﴾ الواو استئنافية أو عاطفة على جملة سبحان الذي أسرى ونا فاعل وموسى مفعول به أول والكتاب مفعول به ثان وجعلناه هدى فعل وفاعل والهاء مفعول به أول وهدى مفعول به ثان ولبني متعلقان بهدى واسرائيل مضاف اليه • ﴿ أن لا تتخذوا من دوني وكيلاً ﴾ يصح في أن أن تكون مصدرية منصوبة مع مدخولها بنزع الخافض أي بأن لا تتخذوا والجار والمجرور متعلقان بكتبنا ويجوز أن تكون مفسرة لأن الإتيان فيه معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتتخذوا مضارع

مجزوم بلا ووكيلاً مفعول تتخذوا الأول ومن دوني هو المفعول الثاني لتتخذوا • (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) ذرية : اضطربت أقوال المعربين في نصبها المتفق عليه بين القراء جميعاً فقيل : نصبت على الاختصاص وبه بدأ الزمخشري وقيل على النداء وقيل بدل من وكيلاً وقيل مفعول ثان لتتخذوا ، على أن النفس لا تطمئن لواحد منها والله أعلم ومن مضاف الى ذرية وحملنا صلة ومع ظرف مكان متعلق بحملنا ونوح مضاف إليه وان واسمها وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو وعبداً خبرها وشكوراً صفة ومما يرجح إعراب ذرية على الاختصاص أو النداء قول الزمخشري في إعراب جملة : « إنه كان عبداً شكوراً » انها تعليلية لاختصاصهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فكأنه قيل : « لا تتخذوا من دوني وكيلاً ولا تشركوا بي لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم » وهذه فطنة من الزمخشري تسترعي الانتباه وتستحق الاعجاب • (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) الواو عاطفة وقضينا فعل وفاعل وإلى بني اسرائيل متعلقان بقضينا وقضينا في الأصل فعل يتعدى بنفسه ولكنه تعدى هنا بإلى لتضمنه معنى أوحينا ، ومعنى قضينا أعلمنا وأخبرنا أو حكمنا وأتممنا ، وأصل القضاء الإحكام للشيء والفراغ منه وقيل أوحينا ويدل عليه قوله إلى بني إسرائيل ولو كان بمعنى الإعلام والاخبار لقال قضينا بني اسرائيل ولو كان بمعنى حكمنا لقال على بني إسرائيل ولو كان بمعنى أتممنا لقال لبني إسرائيل • وفي الكتاب حال والمراد به التوراة • (لتفسدن في الأرض مرتين) اللام جواب للقسم المحذوف أو أجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كأنه قيل : وأقسمنا لتفسدن ، وتفسدن فعل مضارع معرب لأنه لم يتصل مباشرة بنون التوكيد الثقيلة وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي النونات

وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين هي الفاعل والأصل لتفسدونن وقد تقدمت له نظائر وفي الأرض متعلقان بتفسدن ومرتين نصب على الظرفية وأعربه أبو البقاء مفعولاً مطلقاً على أنه صفة لمصدر محذوف أو على أنه في نفسه مصدر عمل فيه ما هو من غير جنسه وسيأتي المراد بالمرتين في باب الفوائد . (ولتعلنّ علواً كبيراً) الواو عطف ولتعلن عطف على لتفسدن وهي مماثلة لها في إعرابها وعلواً مفعول مطلق وكبيراً صفة . (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة جاء مضاف اليها الظرف ووعد فاعل وأولاهما مضافة لوعد ولما كان الوعد على إطلاقه خاصاً بالخير كان لا بد من تقدير مضاف محذوف أي وعد عقاب أولاهما وجملة بعثنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وعليكم متعلقان ببعثنا وعباداً مفعول به وأولي صفة لعباداً وهي من الأسماء الخمسة بمعنى أصحاب وبأس مضاف اليه وشديد صفة لبأس . (فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) الفاء عاطفة وجاسوا عطف على بعثنا وخلال ظرف مكان متعلق بجاسوا والديار مضاف اليه والواو عاطفة وكان عطف على الجوس واسمها ضمير يعود على الجوس أو الوعد بالعقاب ووعداً خبر كان ومفعولاً صفة لوعداً . (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) ثم حرف عطف للتراخي ورددنا فعل وفاعل ولكم متعلقان برددنا والكرة مفعول به وعليهم متعلقان بالكرة أي الغلبة عليهم أو حال منها . (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) وأمددناكم عطف على رددنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وبأموال جار ومجرور متعلقان بأمددناكم وبنين عطف على أموال وجعلناكم فعل وفاعل ومفعول به وأكثر مفعول به ثان ونفيراً تمييز . (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) إن شرطية وأحسنتم فعل وفاعل وهو في محل جزم

فعل الشرط وأحسنتم جوابه وإن أسأتم عطف على إن أحسنتم والفاء رابطة للجواب ولها متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فإساءتكم، وكان القياس يقتضي أن يقول فعليها ولكنه عدل الى اللام للمشاكلة مع قوله لأنفسكم ، وقيل اللام بمعنى على أي فعليها كما في قول عنترة :

فخرّ صريعاً لليدين وللفم

(فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل، وجاء وعد فعل وفاعل والآخرة مضاف لوعد وأراد المرة الآخرة وليسوءوا اللام للتعليل ويسيئوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وهو متعلق بجواب إذا المحذوف أي بعثناهم ليسوءوا وقد دل على الجواب جواب إذا الأولى ووجوهكم مفعول به والمعنى ليجعلوا وجوهكم بادية المساءة منكسفة المعالم • (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) وليدخلوا عطف على ليسوءوا أي فهو متعلق بمحذوف هو بعثناهم والمسجد منصوب على السعة وكما نصب على المصدرية أي دخولاً مثل دخولهم وأول مرة نصب على الظرفية • (وليتبروا ما علوا تتبيراً) وليتبروا عطف على ليسوءوا وواو الجماعة فاعل وما مفعول به ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز أن تجعل ما مصدرية ظرفية ومفعول يتبروا محذوف ولعله أولى لإفساح المجال أمام الخيال ليتصور مدى إهلاكهم الحرث والنسل مدة علوهم على البلاد ويكون الظرف متعلقاً بيتبروا وتتبيراً مفعول مطلق • (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) عسى فعل ماض من أفعال الرجاء ترفع الاسم وتنصب الخبر وربكم اسمها وأن مع مدخولها في محل نصب خبر والواو حرف عطف وإن

شرطية وعدتم فعل ماض وفاعل في محل جزم فعل الشرط وعدنا فعل ماض وفاعل في محل جزم جواب الشرط وجعلنا عطف على عدنا ونا فاعل وجهنم مفعول به أول وللكافرين متعلقان بحصيراً وحصيراً مفعول به ثان هذا اذا اعتبرنا حصيراً فعيلاً بمعنى فاعل وان اعتبرناه اسماً جامداً أي مكان الحبس المعروف فتكون للكافرين حالاً منه •

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على ضروب من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ ــ الذكر :

ذكر الليل مع أن السرى لا يكون إلا بالليل يحتمل أمرين :

آ ــ أولهما أن الاسراء لما دل على أمرين أحدهما السير والآخر كونه ليلاً أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب وتنبيهاً على أنه مقصود بالذكر وقد مرت الاشارة الى هذه النكتة في قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فأريد التنبيه لأن أحد المعنيين وهو التثنية مقصود مراد •

ب ــ وثانيهما الإشارة بتنكير الليل إلى تقليل مدته لأن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية وهذا بخلاف ما لو قيل أسرى بعبده الليل فإن التركيب مع التعريف يفيد استغراق السير لجميع أجزاء الليل •

٢ ــ الوصل والفصل :

ومن الفنون البعيدة المنال التي تطول على من رامها الفصل

والوصل فإن القارىء ليشعر أن بين آية الاسراء وقوله « وآتينا موسى الكتاب » إلى آخر الآية تباينا شديداً في ظاهر الأمر حتى إذا تمعّن وتدبر وجد الوصل بين الفعلين فإنه تعالى أخبر أنه أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم الى الارض المقدسة ليريه من آياته ويرسله الى عباده كما أسرى بموسى من مصر إلى مدين حين خرج خائفاً يترقب وأسرى به وبابنه شعيب الى الارض المقدسة ليريه من آياته ويرسله الى فرعون وملئه وآتاه الكتاب فهذا هو الوصل بين الفصلين المذكورين وأما الوصل بين قوله تعالى: « ذرية من حملنا مع نوح » وبين ما قبله فتذكار بني إسرائيل بأول نعمه عز وجل عليهم بنجاة آبائهم مع نوح في السفينة من الغرق إذ لو لم ينج آباؤهم لما وجدوا فكأنما النعم السابغة عليهم سلسلة متعاقبة الحلقات أولها نجاة آبائهم من غرق الطوفان الذي عم العالم بأسره وآخرها نجاتهم من الغرق حين شق لهم البحر ليغرق فرعون وجنوده وملؤه وينجوا هم وإذن كان يترتب عليهم أن يشكروا من أسبغ عليهم هذه الآلاء والعوارف وأن يتأسوا بنوح جدهم الأكبر الذي كان عبداً شكوراً ، أليس الولد سر أبيه ؟ بيد أن هؤلاء نسيج وحدهم من الجحود والإنكار ، وغمط النعمة ، ومقابلة الحسنات بالسيئات •

٣ ــ الالتفات :

تحدثنا عن الالتفات كثيراً في هذا الكتاب وتقدمت له شواهد متعددة وفي هذه الآية ، آية الاسراء ، تعاقب الالتفات كثيراً على قصر متنه وتقارب طرفيه ، فقد قال أولاً « سبحان الذي أسرى » بلفظ الواحد الغائب ثم قال « الذي باركنا » بلفظ الجمع المتكلم ثم قال « إنه هو السميع البصير » بلفظ الواحد الغائب ولو جاء الكلام على

مساق الأول لكان « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركـ حوله ليريه من آياتـه إنه هو السميع البصير » وهذا جميعه محمول على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغـة الى صيغة كان ذلك اتساعاً في الكلام ، وتفنناً فيه ، وتنويعاً لأساليبه والفائدة منه فضلاً عن تطرية نشاط الـذهن ، واستحضاره ، وأسترعائه لعرض الحقائق المملـوءة بالعظات والعبر ، أنه لما بدأ الكلام بسبحانه ردفه بقوله الذي أسرى إذ لايجوز أن يقال الذي أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد ، والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الاول بالثاني فقال: «باركنا» ثم قال « لنريه من آياتنا » فجاء بذلك على نسق « باركنا » ثم قال « إنه هو » عطفاً عـلى أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لأن السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره ، بصرف النظر عن التفاوت بين السمعين والبصرين وتلك حال متوسطة فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب وهذه مرام بعيدة المدى، جليلة الغرض لا يسبر غورها ولا يكتنه فحواها إلا المطبوع •

الفوائـد :

١ ــ « من » و « إلى » الجارتين :

لـ « من » الجارة معان كثيرة يمكن الرجوع اليها في مغني اللبيب وغيره من الكتب المطولة في النحو ولكننا نريـد أن نشير إلى المعنى الرئيسي لها الوارد في آية الاسراء وهو الابتـداء أي ابتـداء الغاية المكانية باتفاق جميع النحاة بصريهم وكوفيهم بدليل انتهاء الغاية بعدها وهي قوله « الى المسجد الاقصى » أما ابتداء الغاية الزمانية فقد اختلف النحاة فأقرها الكوفيون وأقرها من البصريين المبرد والأخفش وابن

درستويه وهذا هو الصحيح لورودها في الكتاب العزيز وهو قوله « من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال » وفي الحديث وهو قول أنس « فمطرنا من الجمعة الى الجمعة » وفي الشعر وهو قول النابغة الذبياني يصف السيوف :

تخيرن من أزمان يوم حليمة إلى اليوم قد جربن كل التجارب

أما « إلى » الجارة فهي تفيد انتهاء الغاية مكانية وزمانية فمثالها في المكان « الى المسجد الاقصى » ومثالها في الزمان « ثم أتموا الصيام إلى الليل » ولإلى سبعة معان أخرى حكاها في مغني اللبيب وغيره ومما أشكل من معاني إلى قول النابغة الذبياني أيضاً يعتذر الى النعمان ابن المنذر :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب

ذكر في المغني أنها هنا بمعنى في وهو غريب وقال الدماميني : « إلى متعلقة بمحذوف وهو حال من اسم كأن ، أي : كأنني مبغضاً إلى الناس بسبب الوعيد كجمل أجرب طلي به القار أي جعل فيه أو اتصف به » وقد ذهل الدماميني عن القلب في مطلي به القار أو انه تكلفه ليجعل مطلياً بمعنى مبغض فالقار يطلى به ولا يطلي هو ولهذا كان لا بد من الرجوع الى رأي ابن هشام وهو ان الى بمعنى في وان الجار والمجرور في موضع النصب على الحال أي كأنني كائناً في الناس بعير طلي بالقار وهو مبغض .

٢ ـ معنى مرتين :

اختلف المفسرون في تفسير المرتين الواردتين في قوله تعالى « لتفسدن في الأرض مرتين » فذهب بعضهم الى أن المرة الأولى هي قتل

زكريا وحبس أرميا والثانية قتل يحيى وقصد قتل عيسى وقال البيضاوي: «أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا وقيل أرميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام» على أن فساد اليهود في الارض لا يمكن حصره بمرتين وإنما أتى القرآن الكريم بالمرتين مثالاً سريعاً لفسادهم الذي لا يحصى والذي يستمر مدى الدهور • ويمكن الرجوع الى المطولات لهذا الغرض •

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

الاعراب :

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) إن واسمها والقرآن بدل من اسم الاشارة ويهدي فعل وفاعل مستتر والمفعول به محذوف أي يهدي الناس والجملة خبر إن وللتي جار ومجرور متعلقان بيهدي وهي مبتدأ وأقوم خبر والجملة الاسمية صلة التي وأقوم اسم تفضيل على قول الزجاج إذ قدر أقوم الحالات ، وقدره غيره أقوم مما عداها أو من كل حال ورجح أبو حيان انها ليست للتفضيل إذ قال لا مشاركة بين الطريقة التي يرشد اليها القرآن وطريقة غيرها وفضلت هذه عليها وانما المعنى التي هي قيمة أي مستقيمة كما قال : وذلك دين القيمة ، وفيها كتب قيمة ، أي مستقيمة الطريقة ، قائمة بما يحتاج إليه من أمر الدين • (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً) ويبشر عطف على يهدي والمؤمنين مفعول به والذين صفة المؤمنين وجملة يعملون صلة والصالحات مفعول به وأن وما في حيزها نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بيبشر ولهم خبر أن المقدم وأجراً اسمها المؤخر وكبيراً صفة • (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً) وان الذين عطف على أن لهم أجراً كبيراً أي يبشر المؤمنين ببشارتين عظيمتين الأولى بثوابهم والثانية بعقاب أعدائهم ويجوز أن يعطف على يبشر بإضمار ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون وجملة أعتدنا خبر أن ولهم متعلقان بأعتدنا وعذاباً مفعول به وأليماً صفة • (ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً) الواو استئنافية ويدعو الانسان فعل وفاعل وبالشر متعلقان بمحذوف حال أو بيدعو ودعاءه مفعول مطلق وبالخير حال أيضاً أو متعلقان بالدعاء لأنه مصدر والواو عاطفة أو حالية وكان واسمها وخبرها • (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) وجعلنا فعل وفاعل

والليل مفعول به والنهار عطف على الليل وآيتين مفعول به ثان فمحونا الفاء عاطفة ومحونا عطف على جعلنا وآية الليل مفعول به .

(وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم) وجعلنا فعل وفاعل وآية النهار مفعول به أول ومبصرة مفعول به ثان ولتبتغوا اللام للتعليل وتبتغوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل والجار والمجرور متعلقان بقوله وجعلنا ، وفضلاً مفعول به ومن ربكم متعلقان بتبتغوا وصفة لقولـه فضلاً . (ولتعلموا عدد السنين والحساب وكلّ شيء فصلناه تفصيلاً) ولتعلموا عطف على ولتبتغوا وعدد السنين مفعول به والحساب عطف على عدد ولا تكرار فيهما وكل شيء نصب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية كما سيأتي في باب الفوائد وفصلناه فعل وفاعل ومفعول به وتفصيلاً مفعول مطلق . (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) وكل انسان نصب على الاشتغال أيضاً وألزمناه فعل وفاعل ومفعول به وطائره مفعول به ثان وفي عنقه حال أي كائناً وسيأتي تفصيل ذلك في باب البلاغة . (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً) الواو عاطفة ونخرج فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن وله جار ومجرور متعلقان بنخرج وكتاباً مفعول به وجملة يلقاه صفة لكتاباً ومنشوراً اما صفة ثانية لكتاباً وإما حال . (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً) جملة اقـرأ كتابك في موضع نصب مقول قول محذوف أي يقال له واقرأ فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكتابك مفعول به وكفى فعل ماض وبنفسك الباء حرف جر زائد ونفسك فاعل مرفوع محلاً مجرور بالباء لفظاً واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال وعليك متعلقان بحسيباً ، وحسيباً تمييز وهو بمعنى حاسب كما ذكر سيبويه ، قال سيبويه : « ضريب القداح

بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم » وأجاز بعضهم إعرابه حالاً لأنه مشتق وليس ببعيد . (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه) من شرطية مبتدأ واهتدى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط فإنما الفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة ويهتدي فعل مضارع مرفوع والفاعل هو ولنفسه متعلقان بيهتدي والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط . (ومن ضل فإنما يضل عليها) عطف على الجملة السابقة وعليها في موضع نصب على الحال أي واقعاً ضلاله عليها . (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الواو عاطفة ولا نافية وتزر فعل مضارع وفاعل ووزر مفعول لتزر أي تحمل وأخرى مضاف اليه . (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) الواو عاطفة وما نافية وكنا كان واسمها ومعذبين خبرها، حتى حرف غاية وجر ونبعث فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ورسولاً مفعول به .

البلاغـة :

١ ــ المجاز العقلي في قوله تعالى « وجعلنا آية النهار مبصرة » لأن النهار لا يبصر بل يبصر فيه فهو من إسناد الفعل إلى زمانه وقد تقدم ذكره كثيراً .

٢ ــ « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » تعبير مسوق على عادة العرب كانوا لا يباشرون عملاً من الأعمال الهامة إلا إذا اعتبروا أحوال الطير ليتبينوا إذا كانت مغبة العمل خيراً أم شراً فإذا طارت الطير بنفسهاأو بازعاج من أحد متيامنة تفاءلوا وأقدموا على عملهم وإذا طارت متياسرة تشاءموا وأحجموا عن عملهم ولما كثر منهم ذلك سموا نفس

الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه على طريق المجاز المرسل وقد تقدم ذكره كثيراً .

وإنما خص العنق بالذكر لأنه محل القلادة التي تزين الجيد وتبدو لأول وهلة وتسم المتقلد بها بالوسامة فكان ذلك كناية عن اتصافه بالخير والشر المقدرين له في لوح الأزل وإيثاره باختياره جانب واحد منهما كالذي يتبع السوانح وهي الطير الذاهبة متيامنة والذي يتبع البوارح وهي الطير الذاهبة متياسرة وأجاز بعضهم أن يكون الكلام من باب الاستعارة التصريحية أي استعير الطائر لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد أي لما جعلوا الطائر سبباً للخير والشر وأسندوهما اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سبباً لهما وهما قدرة الله الكائنة وعمل العبد المختار وكما أن الطائر الحقيقي يأتي الى كل مكان بعد مزايلة وكناته وأعشاشه فكذلك الحوادث تنتهي إلى الإنسان .

٣ ـ الطباق بين الهدى والضلال وقد تقدم .

٤ ـ في قوله « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » فن الجمع مع التفريق وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين في حكم واحد ثم يفرق بينهما في ذلك الحكم ، ومما ورد منه في الشعر قول البحتري البديع :

ولما التقينا والنقا موعد لنا ... تعجب رائي الدرّ منّا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

الفوائــد :

الاشتغال :

الاشتغال عرفه النحاة بأنه اسم تقدم على عامل من حقه أن ينصبه لولا اشتغاله عنه بالعمل في ضميره نحو : خالد أكرمته ، والأفضل في الاسم المتقدم الرفع على الابتداء والجملة بعــده خبره ويجوز نصبه بفعل محذوف يفسره المذكور بعده وجملة رأيته مفسرة للجملة المقدرة ولا محل لها من الإعراب ولا يجوز إظهار الفعل المقدر ويقدر بلفظ الفعل المــذكر إلا إذا كان لازماً فيقــدر بمعناه نحو حمص مررت بها فيقدر بجاوزت مثلاً وله أحوال :

١ ـ وجوب النصب :

وذلك إذا وقع بعد أدوات التحضيض والشرط والاستفهام غير الهمزة نحو هلاّ الخير فعلته ، وإنْ علياً لقيته فسلم عليه ، وهل خالداً أكرمته ؟ غير أن الاشتغال بعــد أدوات الاستفهام والشرط لا يكون إلا في الشعر ٠

٢ ـ ترجيح النصب :

ويترجح النصب في خمسة أمور :

آ ـ أن يقع بعد الاسم أمر نحو خالداً أكرمه وقد استثنيت من ذلك مسألة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » وقد تقدم الكلام عليها مستوفى ٠

ب ـ أن يقع بعد الاسم نهي نحو : الكريم لا تهنه .

جـ ـ أن يقع بعد الاسم دعاء نحو : اللهم أمري يسره .

د ـ أن يقع الاسم بعد همزة الاستفهام كقوله تعالى « أبشراً منا واحداً نتبعه » .

هـ ـ أن يقع الاسم جواباً لمستفهم عنه كقولك : علياً أكرمته ، في جواب من قال : من أكرمت ؟

٣ ـ وجوب الرفع :

ويجب الرفع في موضعين :

١ ـ أن يقع بعد إذا الفجائية نحو : خرجت فإذا الجو يملؤه الضباب ، لأن إذا الفجائية لا تدخل على الأفعال .

٢ ـ أن يقع قبل أدوات الاستفهام أو الشرط أو التحضيض أو ما النافية أو لام الابتداء أو ما التعجبية أو كم الخبرية أو إن وأخواتها نحو : علي هل أكرمته ، وسعيد إنْ لقيته فسلم عليه ، وخالد هلاّ دعوته ، والشر ما فعلته ، والخير لأنا أفعله ، والخلق الحسن ما أطيبه ، وزهير كم أكرمته ، وخالد إني أحبه ، فالاسم في ذلك كله مبتدأ والجملة بعده خبر وإنما لم يجز نصبه لأن هذه الأدوات لها الصدارة وما بعدها لا يعمل فيما قبلها .

٤ ـ ترجيح الرفع :

ويترجح الرفع إذا لم يكن هناك ما يوجب نصبه أو يرجحه أو يوجب رفعه نحو الكتاب قرأته لأن عدم التقدير أولى من التقدير .

وهناك مسائل تتعلق بالاشتغال يرجع اليها في المطولات وستأتي نكت طريفة منه في هذا الكتاب .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾

اللغـــة :

(مترفيها) : منعميها بمعنى رؤسائها وفي القاموس « الترفه بالضم النعمـة والطعـام الطيب والشيء الظريف تخصّ به صاحبك ، وترف كفرح تنعّم ، وأترفته النعمـة أطغته أو نعمته كترفته تتريفاً والمترّف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء ولا يمنـع والمتنعم لا يمنـع من تنعمه

وتترف تنعم » وفي أساس البلاغة : « أترفته النعمة : أبطرته وأترف فـلان وهو مُترَف وأعوذ بالله من الإتراف والإسراف واستترفوا : تعفرتوا وطغوا ولم أزل معهم في تُرفة أي في نعمة » .

(مدحوراً) : مطروداً وفي القاموس : « الدحر : الطرد والإبعاد والدفع كالدحور فعلهن كجعل وهو داحر ودحور » .

الاعراب :

(وإذا أردنا أن نهلك قريـة أمرنا مترفيها ففسقوا فيهـا) الواو استئنافية مسوقة لبيان الأسباب التي تهلك بها القرى،وتدول الشعوب، وإذا ظرف مستقبـل متضمن معنى الشرط وجملة أردنا مضاف اليها الظرف وان وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب مفعول به لأردنا وقريـة مفعول به وجملة أمرنا لا محل لها لأنهـا جواب إذا ومترفيها مفعول ، ففسقوا الفاء عاطفة وفسقوا فعل وفاعل وفيها متعلقان بفسقوا (فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) الفاء عاطفة وحق فعل ماض وعليها متعلقان بحق والقول فاعل ، فدمرناها فعل وفاعل ومفعول به وتدميراً مفعول مطلق وسيأتي تفصيل لهـذه الآية البليغـة في باب البلاغة . (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح) كم خبرية في محل نصب مفعول أهلكنا ومن القرون في محل نصب تمييز لـ«كم» ومن بعد نوح متعلقان بمحذوف حال أو بأهلكنا فمن للابتداء . (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً) الباء زائدة في الفاعل وقد تقدم ذلك قريباً وبذنوب عباده متعلقان بخبيراً بصيراً . (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) من شرطية مبتدأ وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل

الشرط وجملة يريد العاجلة خبر كان وعجلنا فعل وفاعل وهو في محل جزم جواب الشرط وله متعلقان بعجلنا وفيها متعلقان بمحذوف حال وما موصول مفعول به وجملة نشاء صلة ولمن الجار والمجرور بدل من له بإعادة العامل وجملة نريد صلة ومفعول نريد محذوف أي لمن نريد تعجيله وفعل الشرط وجوابه خبر من • (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) ثم حرف عطف لتراخي المدة وجعلنا فعل وفاعل وله في محل نصب مفعول جعلنا الثاني وجهنم مفعول جعلنا الأول وجملة يصلاها حال من الضمير في له ومذموماً حال من الضمير في يصلاها وكذلك مدحوراً • (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها وهي مماثلة لها في الإعراب وسعى لها عطف على أراد وسعيها مفعول مطلق أي حق سعيها ومن سقطات معظم المفسرين كأبي البقاء والكرخي وغيرهما انهم أجازوا إعراب سعيها مفعولاً به ونسوا أن سعى فعل لازم ، هذا بالاضافة الى أن المصدرية واضحة تماماً • والواو حالية وهو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة نصب على الحال من الضمير في سعى • (فأولئك كان سعيهم مشكوراً) الفاء رابطة لجواب من وأولئك اسم إشارة مبتدأ وكان واسمها وخبرها والجملة خبر أولئك وجملة أولئك كان الخ في محل جزم جواب الشرط • (كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) كلاً مفعول به مقدم لنمد والتنوين عوض عن الإضافة أي كل واحد ، وفاعل نمد مستتر تقديره نحن وهؤلاء بدل من كلاً وهؤلاء عطف على هؤلاء الأولى ومن عطاء ربك جار ومجرور متعلقان بنمد • (وما كان عطاء ربك محظوراً) الواو عاطفة أو حالية وما نافية وكان واسمها وخبرها •

(انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) انظر فعل أمر والفاعل مستتر وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال وفضلنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بفضلنا • (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) الواو للحال واللام للابتداء والآخرة مبتدأ وأكبر خبر ودرجات تمييز نصب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم وأكبر عطف على أكبر الأولى وتفضيلاً تمييز •

البلاغة :

في هذه الآية « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » فنون شتى :

أولها : الالتزام، أو لزوم مالا يلزم، وقد تقدم البحث عنه مستفيضاً وهو التزام حرف أو حرفين فصاعداً قبل الروي على قدر طاقة الشاعر أو الكاتب من غير كلفة وإنما قيدناه بعدم الكلفة لأنه يستحيل صنعة باهتة لا أثر فيها لجمال ويسف عن درجة البلاغة ولا ينتظم في سلكها ، فقد التزم في قوله « مترفيها » و « فيها » الفاء قبل ياء الردف ولزمت الياء وسيأتي الكثير منه في القرآن وهو من أرشق الاستعمالات ومما ورد فيه التزام سين قبل ألف الردف قول أبي العلاء صاحب اللزوميات:

رويدك قد غررت وأنت حر ... بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرم فيكم الصهباء صبحاً ... ويشربها على عمد مساء
يقول لقد غدوت بلا كساء ... وفي لذاتها رهن الكساء

وثانيها : المجاز المرسل في قوله « أمرنا مترفيها » لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا باطل فبقي أن يكون مجازاً وإنما جعل الترف وهو الاتساع في العيش والبلهنية التي لا حدود لها ذريعة الى المعاصي والانجرار وراء الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لا مناص لهم عنه ولا انفكاك لهم منه وليس ثمة أمر ولا آمر وإنما هو المال رائد الشهوة ، وبريد الغفلة ، يزين للنفوس الموبقات فتسترسل فيها وتتعامى عن رؤية واقعها ، وقد يكون واقعها عالياً وفوق المستويات بيد أنه لا يعتم أن يهوي بعد أن غفل عنه حارسوه وكالئوه كما حدث للعرب بعد استبحار مجدهم واتساع سلطانهم فهووا من حالق وأضاعوا ملكاً لم يحافظوا عليه مثل الرجال على حد قول أم أبي عبد الله آخر ملوك بني الأحمر في الأندلس :

ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال

وثالثها : الحذف : فقد حذف المأمور به ولم يقل بماذا أمرهم إيجازاً في القول واعتماداً على بديهة السامع لأن قوله ففسقوا فيها يدل عليه وهو كلام مستفيض . تقول أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام وقراءة ولو أردت تقدير غيره لتكلفت شططاً وحذفت مالا دليل عليه هذا في حين توفر الدلائل على نقيضه كما بيّنا لك .

هذا وقد تورط بعضهم فزعم في مجازفة لا حدود لها أن أمرنا معناها كثّرنا وفي مقدمة هؤلاء المتورطين أبو علي القالي في كتابه الممتع « الأمالي » فقد قال : « وقال الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها » أي كثرنا ولا أدري كيف ساغ له هذا التفسير لأن أمر من باب فرح بكسر الميم والقراءة أمر بفتحها وهو أيضاً لازم ولا يجوز

أن تفسر بمعنى كثر المشددة الثاء إلا إذا ضعفت الميم وقد قرىء بها فكان الأولى به أن يشير إلى ذلك قال أبو البقاء : « أمرنا » يقرأ بالقصر والتخفيف أي أمرناهم بالطاعة وقيل كثرنا نعمهم وهو في معنى القراءة بالمد ويقرأ بالتشديد والقصر أي جعلناهم أمراء وقيل هي بمعنى الممدودة لأنه تارة يعدى بالهمزة وتارة بالتضعيف .

وفي قوله « كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء » لف ونشر مرتب فهؤلاء الأولى للفريق الأول أي مريد الدنيا وهؤلاء الثانية للفريق الثاني أي مريد الآخرة .

الفوائد :

تساءل بعضهم عن معنى قوله تعالى : « كيف فضلنا بعضهم على بعض » وكيف يصح التفاوت بين أبناء البشر وهم سواسية والجواب هو أن التفاوت منوط بالفضل ومبلغ ما يؤديه المرء لأبناء جلدته وللمجتمع عامة ، روى التاريخ أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر بن الخطاب فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو : إ نما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فأسرعوا وأبطأنا . وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم في الجنة أكثر .

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا (٢٢) * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا (٢٥)

الاعراب :

(لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً) لا ناهية وتجعل فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ومع الله ظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني وإلهاً مفعول تجعل الأول وآخر صفة ، فتقعد : الفاء فاء السببية وتقعد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره أنت ومذموماً حال ومخذولاً حال ثانية وسيأتي مافي تقعد من أقوال . (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان منزلة الوالدين ووجوب معاملتهما من قبل الأبناء معاملة لائقة وقضى ربك فعل وفاعل ومعنى قضى أمر أمراً قاطعاً وقيل أوصى و«أن» يحتمل أن تكون مصدرية فلا نافية وتعبدوا منصوب بها والمصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بقضى وقيل مفسرة لأن قضى فيه معنى القول دون حروفه أو مخففة من الثقيلة فلا على الحالين ناهية وتعبدوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وإلا أداة حصر وإياه مفعول وبالوالدين جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره وأحسنوا، وإحساناً مفعول مطلق ناصبه الفعل المحذوف، وإنما علقناهما بالفعل المحذوف لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته (إما يبلغن

عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) إن شرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها ويبلغن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم فعل الشرط وعندك ظرف متعلق بمحذوف حال وأحدهما فاعل يبلغن والميم والألف حرفان دالان على التثنية وأو حرف عطف وكلاهما عطف على أحدهما وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى ومعنى عندك أي حالة كونهما في كفالتك يتولى منهما ما كانا يتوليان منه إبان الطفولة وفي ذلك منتهى التوصية باستعمال لين الجانب ودماثة الخلق معهما في هذه الحال . (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً) الفاء رابطة للجواب ولا ناهية وتقل فعل مضارع مجزوم بلا ولهما متعلقان بتقل وأف اسم فعل مضارع بمعنى التضجر وفاعله مستتر تقديره أنا والجملة مقول القول وسيأتي تحقيق واسع في هذه الكلمة وفي أسماء الأفعال في باب الفوائد ، ولا تنهرهما عطف على لا تقل لهما والنهر الزجر ، وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولهما متعلقان بقل وقولاً مفعول مطلق وكريماً صفة . (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) واخفض لهما عطف على وقل لهما وجناح الذل مفعول به ومن الرحمة متعلقان باخفض فمن للتعليل أي من أجل الرحمة أو الابتداء أي أن هذا الخفض ناشىء من الرحمة المركوزة في الطبع ولك أن تعلقها بمحذوف حال . (وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً) وقل عطف على ما تقدم ورب منادى مضاف لياء المتكلم محذوف منه حرف النداء وارحمهما فعل دعاء وكما نعت لمصدر محذوف أي ارحمهما رحمة مثل تربيتهما لي أو رحمة مثل رحمتهما لي فتكون التربية بمعنى الرحمة وربياني فعل ماض والألف ضمير الاثنين فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به وصغيراً حال من الياء . (ربكم أعلم بما في نفوسكم) ربكم مبتدأ وأعلم خبر

وبما متعلقان بأعلم وفي نفوسكم صلة ما • (إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً) الجملة حالية وإن شرطية وتكونوا فعل الشرط والواو اسمها وصالحين خبرها والفاء رابطة للجواب وإن اسمها وجملة كان خبرها وللأوابين أي التوابين متعلقان بغفوراً ، وغفورا خبر كان •

البلاغـة :

١ ـ في قوله تعالى « واخفض لهما جناح الـذل من الرحمة » استعارة شغلت علماء البيان وقد وعدناك أن نتحدث عن هذه الاستعارة مطولاً فلنبحث هذا الموضوع ولنورد ما قاله البيانيون في صددها : فهي استعارة مكنية لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثمة جناحاً يخفض والمراد ألن لهما جانبك ، وتواضع لهما تواضعاً يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر وان الطـائر إذا خفض جناحه وهو الـذي به يتقوى وينهض ، انحط إلى الأرض وأسف الى الحضيض ولصق بالتراب فالاستعـارة مكنية إذ شبهت إلانـة الجانب بخفض الجناح بجامـع العطف والرقة وهذه أجمل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها •

وذكر الصولي في كتابه أخبار أبي تمام : وعابوا عليه ـ أي على أبي تمام ـ قوله :

لا تسقني ماء المـلام فإنني   صب قد استعذبت ماء بكائي

فقالوا ما معنى ماء الملام ؟ وهم يقولون : كلام كثير الماء وما أكثر ماء شعر الأخطـل ، قاله يونس بن حبيب ويقولون : ماء الصبابة وماء الهوى يريدون الدمع • قال ذو الرمة :

أأن ترسمت من خرقاء منزلة   ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال أيضاً :

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفضّ أو يترقرق

وقال عبد الصمد ــ وهو محسن عند من يطعن على أبي تمام :

أي مـاءٍ لمـاء وجهك يبقى بعد ذل الهوى وذل السؤال

فصير لماء الوجـه ماء ، وقالوا ماء الشباب يجول في وجناته ، فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجـاء به في صدر بيته لما قال في آخر بيته : « فانني صب قد استعذبت ماء بكائي » قال في أوله : لا تسقني ماء الملام ، وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما لا يستوي معناه قال الله عز وجل: « وجزاء سيئة سيئة مثلها » والسيئة الثانية ليست بسيئة لأنها مجازاة ولكنه لما قال : وجزاء سيئة قال : سيئة فحمل على اللفظ وكذلك « ومكروا ومكر الله » وكذلك: « فبشرهم بعذاب أليم » لما قال بشر هؤلاء بالجنة قال: بشر هؤلاء بالعذاب، والبشارة انما تكون في الخير لا في الشر فحمل اللفظ على اللفظ ويقال : إنما قيل لها البشارة لأنها تبسط الوجه فأما الشر والكراهة فانهما يقبضانه ، وقال الأعشى :

يزيد يغضّ الطرف دوني كأنما زَوَى بين عينيه عليّ المحاجم

وقال الله عز وجـل : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » فهذه أجمـل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها فما يكون أن قال أبو تمام :

لا تسقني مـاءَ المـلام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

أما ابن الأثير فيقول في كتابه « المثل السائر » :

« وقد عيب عليه قوله :

لا تسقني مــاء المــلام فإنني صب قد استعذبت ماء بكائي

وقيل : انه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما بهذا التشبيه عندي من بأس بل هو من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه ، بعيد من وجه ، أما سبب قربه فهو ان الملام هو القول الــذي يعنف به الملوم لأمر جنــاه وذاك مختص بالسمع فنقله أبو تمام إلى السقيا التي هي مختصة بالحلق كأنه قال لا تذقني الملام ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تنبيهاً حسناً ولكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيئاً ولما كان السمع يتجرع الماء أولاً كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه معنى بصورة • وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذّ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه فهذا التشبيه إن بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التي لا تحمــد ولا تذم ، وقد روي أن بعض أهل المجانة أرسل إلى أبي تمام قارورة وقال : ابعث في هذه شيئاً من ماء الملام فأرسل اليه أبو تمام وقال : إذا بعثت إليّ ريشة من جناح الذل بعثت إليك شيئاً من ماء الملام ، وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه ليس جعــل الجناح للذل كجعله الماء للملام، فإن الجناح للذل مناسب وذاك أن الطائر إذا وَهَنَ أو تَعِبَ بسط جناحــه وخفضه وألقى نفسه على الأرض وللانسان أيضاً جناح فإن يديه جناحاه واذا خضع واستكان طأطأ من رأسه وخفض

من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيهاً مناسباً وأما الماء للملام فليس كذلك في مناسبة التشبيه » .

هذا ما أورده الصولي وابن الأثير وقد عقب عليهما كثير من نقاد القرن الرابع الهجري ووقفوا منهما بين مؤيد ومعاكس فأخذ الآمدي برأي الصولي في كتابه الموازنة ولكن على أساس آخر من الفهم وعاب على أبي تمام استعماله استعارات شبيهة بماء الملام قال : « فمن مرذول ألفاظه وقبيح استعاراته قوله :

يا دهر قوّم أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

وقال :

سأشكر فُرجة اللبت الرخي ولين أخادع الدهر الأبي

وقال :

أنزلته الأيام عن ظهرها من بعد إثبات رجله في الركاب

وقال :

كأنني حين جردت الرجاء له غضّاً صببت به ماء على الزمن

ثم قال : « وأشباه هذا مما إذا تتبعته في شعره وجدته فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الألفاظ للدهر أخدعاً ويداً تقطع من الزند وكأنه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويبتسم وان الأيام تنزلع والزمان أبلق وجعل للممدوح يداً وجعل للأيام ظهراً يركب والزمان كأنه صب عليه ماء » ولننظر الآن في ماء الملام ــ عند أبي تمام ــ أهو تعبير طبيعي ؟ أهو

تعبير سائغ مستحسن ؟ إن إطلاق الماء واضافته الى البكاء يشب بالذهن أولاً الى الصورة المباشرة المعروفة للماء الذي يشرب والماء في البحار والمحيطات والأنهار ثم ماء المطر ومجرد أن تنطلق كلمة بكاء يتضاءل المعنى الأول فجأة وينكمش الى صورة جزئية هي بضع قطرات من الدمع ولكن على أية حال هناك صلة تجعل الصورة محتملة ، أما ماء الملام فلا صلة البتة بين الماء والملام وإذا انطلقت كلمة ماء بمعانيها الاصلية والربطية ومعها كلمة الملام ومعانيها الربطية فلا يجمع بينهما صلة أو رابط مشترك من الصور الجزئية لذلك كان التعبير بارداً مختلاً لا يدل في الذهن على شيء لأنه لا صلة بين الملام والماء ، أما ما احتج به الصولي من القرآن فلا يبرر ما اعتمده فإن كلمة السيئة اقترنت بكلمة الجزاء فأثارت معنى آخر مقابلاً هو القصاص وقد سماه القرآن سيئة ولكن أصحاب البديع يحاولون الاستشهاد بالشاهد القرآني ليبرروا صناعة أبي تمام ومن نحا نحوه .

ووجدت للسكاكي رأياً يستهجن فيه قول أبي تمام قال فيه : « إن الاستعارة التخييلية فيه منفكة عن الاستعارة بالكناية وصاحب الايضاح يمنع الانفكاك فيه مستنداً بأنه يجوز أن يكون قد شبه الملام بظرف شراب مكروه فيكون استعارة بالكناية وأضافة الماء تخييلية أو انه تشبيه من قبيل لجين الماء لا استعارة قال : ووجه الشبه ان اللوم يسكن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن غليل الأوام ، وقال الفاضل الجلبي في حاشية المطول : فيه نظر لأن المناسب للعاشق أن يدعي أن حرارة غرامه لا تسكن بالملام ولا بشيء آخر فكيف يجعل ذلك وجه شبهه » اهـ كلامه .

ورأيت في كتاب الكشكول للعاملي رأياً مطولاً فيه ننقل خلاصته تتمة للبحث قال : إن للبيت محملاً آخر كنت أظن اني لم أسبق اليه حتى رأيته في التبيان وهو أن يكون ماء الملام من قبيل المشاكلة لذكر ماء البكاء ولا تظن أن تأخر ذكر ماء البكاء يمنع المشاكلة فانهم حرصوا في قوله تعالى:« فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين » وانتسميته الزحفعلى البطنمشياً لمشاكلة مابعده،وهذا الحمل إنما يتمشى على تقدير عدم صحة الحكاية المنقولة ثم أقول : هذا الحمل أولى مما ذكره صاحب الايضاح فإن الوجهين اللذين ذكرهما في غاية البعد إذ لا دلالة في البيت على أن المـاء مكروه كما قاله المحقق التفتازاني في المطول ، والتشبيه لا يتم بدونه ، وأما ما ذكره صاحب المثل السائر من أن وجه الشبه ان الملام قول يعنف به الملوم وهو مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى ما يختص بالحلق كأنه قال : لا تذقني المـلام ، ولما كان السمع يتجرع الملام أولاً كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به فهو وجه في غاية البعد أيضاً كما لا يخفى ، والعجب منه أن جعله قريباً وغاب عنه عدم الملاءمة بين الماء والمـلام ، هذا وقـد أجاب بعضهم عن نظر الفاضل الجلبي في كلام صاحب الايضاح بأن تشبيه الشاعر الملام بالماء في تسكين نار الغرام إنما هو على وفق معتقد اللوام بأن حرارة غرام العشاق تسكن بورود الملام وليس ذلك على وفق معتقده فلعل معتقده أن نار الغرام تزيد بالملام قال أبو الشيص :

أجد الملامـة في هواك لذيذة   حباً لذكرك فليلمني اللـوّم

أو أن تلك النار لا يؤثر فيها الملام أصلاً كما قال الآخر :

جاءوا يرومون سلواني بلومهم   عن الحبيبفراحوا مثلما جاءوا

فقول الجلبي : لأن المناسب للعاشق الى آخره غير جيد فان صاحب الايضاح لم يقـل إن التشبيه معتقـد العاشق وعقب العاملي صاحب الكشكول عـلى ذلك : إن ذكر صاحب الإيضاح الكراهة في الشراب صريح بأنه غير راض بهذا الجواب •

٢ ـ صورة مجسدة لطاعة الوالدين :

هذا ولا بد من التنويه بالصورة المجسدة التي رسمتها الآية لطاعة الوالدين وبرهما ، ليتدبرها البنون ويكتنهوا سرها الخفي وقد أفصح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلاء حين شكا إليه رجل أباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ عصا فسأله فقال انه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله ثم التفت الى ابنه منشداً :

غـذوتك مولوداً وعلتك يافعـاً
تعـل بمـا أدني اليك وتنهـل

إذا ليـلة نابتك بالشكو لـم أبت
لأجلك إلا ساهـراً أتملمـل

كأني أنا المطـروق دونك بالـذي
طرقت بـه دوني فعيني تهمـل

فلمـا بلغت السنّ والغايـة التي
اليهـا مدى ما كنت فيك أؤمـل

جعلـت جزائي غلظـة وفظاظـة
كـأنك أنت المنعـم المتفضـل

فليتـك إذ لـم ترع حقّ أبوتي
فعلت كما الجـار المجاور يفعـل

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد : أنت ومالك لأبيك •

وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف يحمل أمه ويقول :

إني لهـا مطيـة لا تذعر　　إذا الركـاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتـني أكثر　　اللـه ربي ذو الجلال أكبر

تظنني جازيتها يا ابن عمر ؟ قال : لا ولو زفرة واحدة •

الفوائـد :

١ ـ القول في « أف » :

اختلف النحاة في أسماء الأفعال هل هي ألفاظ نائبة عن الأفعال أو لمانيها من الأحداث والأزمنة أو أسماء للمصادر النائبة عن الافعال أو هي أفعال والصحيح أنها أسماء أفعال وانها لا موضع لها من الاعراب وقد قدمنا أقسامها ونقول إن « أف » اسم فعل مضارع ومعناه أتضجر وفيه أربعون لغةوحاصلها أن الهمزة إما أن تكون مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة فإن كانت مضمومة فاثنتان وعشرون لغة وحاصل ضبطها انها إما مجردة عن اللواحق أو ملحقة بزائد والمجردة إما أن يكون آخرها

ساكناً أو متحركاً والمتحركة إما أن تكون مشددة أو مخففة وكل منهما مثلث الآخر مع التنوين وعدمه فهذه اثنتا عشرة والساكنة إما مشددة أو مخففة فهذه أربع عشرة واللواحق لها من الزوائد إما هاء السكت أو حرف المد فإن كان هاء السكت فالفاء مثلثة مشددة فهذه سبع عشرة وإن كان حرف مد فهو إما واو أو ياء أو ألف والفاء فيهن مشددة والألف إما مفخمة أو بالإمالة المحضة أو بين بين فهذه خمس أخرى مع السبع عشرة وإن كانت مكسورة فإحدى عشرة مثلثة الفاء مخففة مع التنوين وعدمه فهذه ست ، وفتح الفاء وكسرها بالتشديد فيهما مع التنوين وعدمه ، فهذه أربع لغات والحادية عشرة أفي بالإمالة وإن كانت مفتوحة فالفاء مشددة مع الفتح والكسر والتنوين وعدمه والخامسة أف بالسكون والسادسة أفي بالامالة والسابعة أفاه بهاء السكت فهذه السبع مكملة للأربعين وقد قرىء من هذه اللغات بسبع : ثلاث في المتواتر وأربع في الشواذ وقراءة حفص وهي قراءتنا أف بالكسر والتنوين مع التشديد .

٢ ـ لمحة في العقوق :

ومما جاء في العقوق ما يروى عن جرير فقد كان أعق الناس بأبيه وكان بلال ابنه كذلك فراجع جرير بلالاً في الكلام فقال له : الكاذب بيني وبينك .... أمه ، فأقبلت أمه عليه وقالت : ياعدو الله تقول هذا لأبيك فقال جرير : دعيه فكأنه سمعها مني وأنا أقولها لأبي .

وممن شهر عنه العقوق بوالديه الحطيئة الشاعر المخضرم قال يهجو أباه :

فنعم الشيخ أنت لدى المخازي ... وبئس الشيخ أنت لدى الفعال

جمعت اللـؤم لا حيّاك ربي — وأبواب السفاهـة والضلال

وقال يهجو أمه :

لحـاك الله ثـم لحـاك أماً — ولقـاك العقوق من البنينا

أغربالاً إذا استودعت سـراً — وكانوناً عـلى المتحـدثينا

وممن هجا أباه علي بن بسام ، قال في أبيه :

هبك عمرت عمر عشرين نسراً — أترى أنني أمـوت وتبقى ؟

فلئن عشت بعـد موتك يوماً — لأشقّنّ جيب مالك شقّـا

وقال فيه أيضاً :

بنى أبو جعفر داراً فشيـدها — ومثله لخيـار الـدور بنّاء

فالجوع داخلها والذل خارجها — وفي جوانبهـا بؤس وضراء

ماينفع الدار من تشييد حائطها — وليس داخلهـا خبز ولا ماء

ولقد كذب ، كان أبو جعفر محمد بن منصور بن بسام في نهاية السؤدد والمروءة والنظافة ، كان رجلاً مترفاً نبيل المركب مليح الملبس له همة في تشييد البنيان وما رثاه به ابن الرومي يدل على كذب ابنه ، قال ابن الرومي فيه :

أودى محمد بن نصر بعد ما — ضربت به في جوده الأمثـال

ملك تنافست العـلا في عمره — وتنافست في موته الآجـال

من لم يعاين سير نعش محمد لم يدر كيف تسير الأجيال
وذخرته للدهر أعلم أنه كالحصن فيه لمن يئول مآل
وتمتعت نفسي بروح رجائه زمناً طويلاً والتمتع مال
ورأيته كالشمس إن هي لم تنل فالرفق منها والضياء ينال
بالله أقسم ان عمرك ما انقضى حتى انقضى الإحسان والإجمال

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

اللغة :

(فتقعد) : فتصير وهو من المجاز قال في الأساس : « ومن المجاز

قعد عن الأمر تركه وقعد له اهتم به وقعد يشتمني أقبل ، وأرهف شفرته حتى قعدت كأنها حربة : صارت ، وقال الدّيان الحارثي :

لأُصبحن ظالماً حرباً رَباعِيَةً فاقعُدْ لها ودَعَنْ عنك الأظانينا

وتقاعد عن الأمر وتقعّد وما قعد به عن نيل المساعي وما تتعدّه وما أقعده إلا لؤم عنصره وقال :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

(محسوراً) :منقطعاً لاشيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وفي المختار : والحسرة شدة التلهف على الشيء الفائت تقول حسر على الشيء من باب طرب وحسرة أيضاً فهو حسير وحسّره غيره تحسيراً .

(ويقدر) :يقال قدر عليه رزقه وقدّر قتر وضيق .

(إملاق) : فقر وفاقة يقال أملق الرجل : أنفق ماله حتى افتقر ورجل مملق وقال أعرابي : قاتل الله النساء كم يتملقن العلل لكأنها تخرج من تحت أقدامهن أي يستخرجنها .

(خطئاً) : مصدر خطىء من باب علم .

الاعراب :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً)

وآت ذا القربى حقه : آت فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت وذا القربى مفعول به وحقه مفعول به ثان والمسكين وابن السبيل عطف

على ذا القربى ولا ناهية وتبذر مضارع مجزوم بلا وتبذيراً مفعول مطلق . (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) إن واسمها وجملة كانوا خبرها وإخوان الشياطين خبر كان أي أمثالهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم والملازم للشيء هو أخ له فيقولون : فلان أخو الجود وأخو الكرم وأخو الشعر . (وكان الشيطان لربه كفوراً) الواو عاطفة أو حالية وكان واسمها ولربه متعلقان بكفورا ، وكفورا خبر كان ولا بد من تقدير مضاف أي لنعم ربه وآلائه . (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً) وإما : إن شرطية وما زائدة وتعرضن فعل الشرط وهو في محل جزم والفاعل مستتر تقديره أنت وعنهم متعلقان بتعرضن وابتغاء رحمة مفعول من أجله ولك في ناصبه وجهان فإما أن تجعله فعل الشرط من وضع المسبب مكان السبب أي وان أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم رداً جميلاً وإما أن تجعله جواب الشرط وقد تقدم عليه أي فقل لهم قولاً كريماً ليناً وعدهم وعداً جميلاً تطييباً لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك.ومن ربك صفة لرحمة وجملة ترجوها حال من رحمة أو صفة ثانية ، فقل الفاء رابطة وقل فعل أمر ولهم متعلقان بقل وقولاً مفعول مطلق وميسوراً صفة. (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) الواو عاطفة ولا ناهية وتجعل مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت ويدك مفعول تجعل الأول ومغلولة مفعول تجعل الثاني والى عنقك جار ومجرور متعلقان بمغلولة . (ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) ولا تبسطها عطف على لا تجعل وكل البسط مفعول مطلق فتقعد الفاء فاء السببية وتقعد مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء المسبوقة بالنهي وستأتي الشروط التي يجب أن تسبق هذه الفاء في باب الفوائد وفاعل تقعد مستتر تقديره أنت وملوماً

محسوراً حالين أو تجعلهما خبرين لتقعد إذا ضمنتها معنى تصير • (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) ان واسمها وجملة يبسط خبرها والرزق مفعول به ولمن متعلقان بيبسط وجملة يشاء صلة ويقدر عطف على يبسط وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وبعباده متعلقان بخبيراً بصيراً وهما خبران لكان • (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) لا ناهية وتقتلوا مجزوم بها وأولادكم مفعول به وخشية مفعول لأجله وإملاق مضاف إليه • (نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) نحن مبتدأ وجملة نرزقهم خبر وإياكم عطف على الهاء وإن واسمها وجملة كان خبر إن وخطئاً خبر كان واسمها مستتر تقديره هو وكبيراً صفة لخطئاً.

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على طائفة من الحكم والأمثال وعلى أنواع من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ الاستعارة التمثيلية :

في قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » استعارة تمثيلية لمنع الشحيح واعطاء المسرف فقد شبه حال البخيل في امتناعه من الانفاق بحال من يده مغلولة إلى عنقه فهو لا يقدر على التصرف في شيء وشبه حال المسرف المبذر المتلاف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقي على شيء في كفه ولا يدخر شيئاً ينفعه في حال الحاجة ليخلص الى نتيجة مجدية وهي التوسط بين الأمرين

والاقتصاد الـذي هو وسط بين الاسراف والتقتـير ، وقد طابق في الاستعارة بين بسط اليد وقبضها من حيث المعنى لأن جعل اليد مغلولة هو قبضها وغلّها أبلغ في القبض وقد رمق أبو تمام سماء هذا المعنى فقال في المعتصم :

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تطعـه أنامله

٢ ـ التغاير :

في قوله تعـالى « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم » وقد تقدم بحثه في سورة الانعام وفيه سر خفي بين ما جاء في سورة الاسراء وما جـاء في سورة الانعام وهو قولـه « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم » فجدد به عهداً ونضيف اليه الآن ان قتل الأولاد إن كان مبعثه خوف الفقر فهو من سوء الظن بالله واليأس من رحمته وإن كان مبعثه الغيرة على البنات فهو تدبير أرعن لا ينجم عنه إلا هدم المجتمع وتعطيل معالم الحياة •

الفوائـد :

شروط النصب بأن بعد فاء السببية وواو المعية :

لاتضمر أن بعد فاء السببية وواو المعية أيضاً إلا بشرطين أساسيين وهما أن يسبقهما نفي أو طلب محضين ولا فرق في النفي بين أن يكون حرفاً أو فعلاً أو اسماً أو تقليلاً مراداً به النفي ومثال التقليـل : قلما تأتينا فتحـدثنا وأما الطلب فيشمـل سبعة أمور وهي الأمر والنهي

والدعاء والعرض والتحضيض والاستفهام والتمني فهـذه سبعة مع النفي تصير ثمانية وزاد بعضهم الترجي وقد جمع هذه التسبعة بقوله :

مُرْ وانهَ وادعُ وسلْ عرض لحضّهم

تمن وارج كـذاك النفي قد كملا

واحترزنا بقولنا « نفي أو طلب محضين » من النفي التالي تقريراً بالهمزة لأن التقرير اثبات ومن النفي المتلو بالنفي لأن نفي النفي اثبات ومن النفي المنتقض بإلا ومما يجب مراعاته قول جميل بن معمر العذري:

الم تسأل الربع القواء فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

فينطق مرفوع وهو في محل رفـع خبر لمبتدأ محذوف أي فهو ينطق والفاء استئنافية وليست للسببية كما أنهـا ليست للعطف إذ العطف يقتضي الجزم ، ورجح ابن هشام في المغني أن تكون الفاء للعطف وان المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل وحده وانما يقدر النحويون كلمة هو ليبينوا أن الفعل ليس المعتمد بالعطف قال « ومثله فإنما يقول له كن فيكون » أي فهو يكون حينئذ وقوله :

الشعر صعب وطويـل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمـه يريـد أن يعربه فيعجمـه

أي فهو يعجمه » .

ونعود الى بيت جميـل فنقول : أورده سيبويه في كتابه وقـال ما نصه : « لم يجعل الأول سبب الآخر ولكنه جعله ينطق على كل حال

كأنه قال وهو مما ينطق كما يقال ائتني وأحدثك فجعل نفسه ممن يحدثه على كل حال وزعم يونس أنه سمع هذا البيت وانما كتبت ذلك لئلا يقول انسان فلعل الشاعر قال : إلا ا هـ » وقال ابن النحاس : « تقرير معناه انك سألته فيقبح النصب لأن المعنى يكون انك ان تسأله ينطق » وقال الأعلم : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع على معنى فهو ينطق وايجاب ذلك ولو أمكنه النصب على الجواب لكان أحسن .

وقال الفراء : أي قد سألته فنطق ولو جعلته استفهاماً وجعلت الفاء شرطاً لنصبت كما قال آخر :

ألم تسأل فتخبرك الديارا عن الحي المضلل حيث سارا

والجزم في هذا البيت جائز كما قال :

فقلت له صوب ولا تجهدنه فيدرك من أخرى القطاة فتزلق

فجعل الجواب بالفاء كالمنسوق على ما قبله .

هذا ولأهمية هذا البيت وعناية العلماء به نقول انه مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذري صاحب بثينة المشهور وبعده وهو من جيد الشعر :

بمختلف الارواح بين سويقة

وأحدب كادت بعد عهدك تخلق

أضرت بها النكباء كل عشية

ونفح الصبا والوابل المتبعق

وقفت بهـــا حتى تجلت عمـــايتي
ومـــل الوقوف الأرحـبي المنوّق

وقـــال صـــديقي : إن ذا لصبابـة
ألا تزجر القلب اللجـــوج فيلحق ؟

تعـــزّ وإن كانت عليك كريمـــة
لعلك من أسبـــاب بثنـــة تعتق

فقلت له : إن البعـــاد يشوقـــني
وبعض بعـــاد البـين والنأي أشوق

والربع : المنزل ، والقواء : القفر وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيره ثم حقق وأخبر أنه لا يجيب ولا يخبر سائله لعدم وجود القاطنين به ، البيداء القفر ، والسملق : الارض التي لا شيء فيها .

ومما اختلف فيه وكان موضع الـــدقة قول عروة العـذري صاحب عفراء :

وما هو إلا أن أراها فجـاءة فأبهت حتى ما أكـــاد أجيب

قال سيبويه : « وسألت الخليل عن قول الشاعر : وما هو إلا أن أراها الخ فقال : أنت في « فأبهت » بالخيار إن شئت حملتها على أن وإن شئت لم تحملها عليها فرفعت كأنك قلت ما هو إلا الرؤي فابهت » ومعنى ما أراده سيبويـه أن النصب بالعطف عـلى أن المراد المصدر

والتقدير فما هو إلا الرؤية فأبهت والرفع على القطع والاستئناف والمعنى فاذا أنا مبهوت • وإنما أطلنا في هــذا لأنه من الدقــة بمكان فاعرفه وقس عليه •

وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

اللغة :

(الزنا) : يكتب بالياء لأنه مصدر زنى يزني ويكتب بالألف على أنه مقصور من الزناء بالمد ، ويقولون : هو زان بين الزنى والزناء بالمد والقصر قال الفرزدق :

أبا خالد من يزن يعلم زناؤه
ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكّرا

وقال الفراء : المقصور من زنى والممدود من زانى يقال زاناها مزاناة وزناء وخرجت فلانة تزاني وتباغي وقد زنّي بها وهو ولد زنية وانه لزنية بالفتح والكسر .

(القسطاس) هو رومي عرّب كما تقدم وقد ذكرنا من قبل أن ذلك لا يقدح في عربية القرآن لأن العجمي إذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربياً وسيأتي المزيد من هذا البحث المفيد ، والقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون أي القبان وقيل كل ميزان صغر أو كبر .

(ولا تقف) ولا تتبع يقال قفا أثره وقافه قيل هو مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور يتبعها ويتعرفها وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث : « من قفا مؤمناً بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي المخرج » وأنشدوا لبعضهم :

ومثل الدمى شم العرانين ساكن ... بهن الحياء لا يشعن التقافيا

يصف نساء بأنهن جميلات مثل الدمى ويشبههن بالبيوت ويشبه الحياء بقوم يسكنونها على طريق الاستعارة المكنية والسكنى تخييل لذلك ويقول انهن لا يشعن أي لا يظهرن التقافي أي المتابعة بالقذف من قفوته إذا اتبعته بالغيبة .

وقال الكميت :

ولا أرمي البريء بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا

يقول لا أتهم البريء بشيء زور بل بذنب محقق ولا أتبع العفائف وأتكلم فيهن بفحش ما دمن عفائف إن قفاهنّ الناس فتكلموا فيهن فكيف إذا لم يتكلم فيهنّ أحد .

الاعراب :

(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) الواو عاطفة ولا ناهية وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والزنا مفعول به وجملة إنه تعليلية لا محل لها وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو وفاحشة خبرها وساء فعل ماض للذم والفاعل مستتر وسبيلاً تمييز والمخصوص بالذم محذوف أي هو . (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) ولا تقتلوا عطف على ما تقدم والنفس مفعول به والتي صفة وجملة حرم الله صلة وإلا أداة حصر وبالحق متعلقان بتقتلوا والباء للسببية أو بمحذوف حال من فاعل تقتلوا فهي للملابسة أي ملتبسين بالحق (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ وقتل فعل ماض مبني للمجهول في محل

جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ومظلوماً حال ، فقد الفاء رابطة وقد حرف تحقيق وجعلنا فعل وفاعل ولوليه مفعول جعلنا الثاني وسلطاناً مفعول جعلنا الأول أي حجة يثب بها عليه . (فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً) الفاء عاطفة ولا ناهية ويسرف مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر يعود على الولي أي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كديدن الجاهلية على حد قول مهلهل ابن ربيعة :

كل قتيل في كليب غره   حتى ينال القتل آل مرة

وفي القتل متعلقان بيسرف وجملة إنه تعليلية وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر ومنصوراً خبرها . (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) ولا تقربوا عطف أيضاً ومال اليتيم مفعول به وإلا أداة حصر وبالتي استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه وصيانته واستغلاله لمصلحة اليتيم وهي مبتدأ وأحسن خبر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول . (حتى يبلغ أشدّه) حتى حرف غاية وجر ويبلغ منصوب بأن مضمرة بعد حتى والمراد بالأشد بلوغه مرتبة يحسن فيها التصرف وقد تقدم معنى الأشد وانه مفرد بمعنى القوة أو جمع لا واحد له من لفظه . وقيل جمع شدة أو شد . وفي كتاب معاني القرآن للفراء ان الأربعين أشبه بالصواب . (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً) أوفوا فعل أمر والواو فاعل وبالعهد متعلقان بأوفوا وان واسمها وجملة كان خبرها ومسئولا خبر كان ومعنى مسئولاً مطلوباً كأنه يطلب من المعاهد أن يفي به وحذف الجار والمجرور تخفيفاً أي عنه وقد ذكر في بقية الآي كما سيأتي ويجوز وجه آخر سيأتي في باب

البلاغة • (وأوفوا الكيــل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم)
وأوفوا فعــل أمر والواو فاعــل والكيــل مفعول أوفوا واذا ظرف
مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة كلتم مضافة إلى الظرف وجوابه
محذوف دل عليه قوله أوفوا الكيل • وزنوا بالقسطاس المستقيم عطف
على أوفوا بالكيل • (ذلك خير وأحسن تأويلاً) ذلك مبتدأ وخير خبر
وأحسن عطف عــلى خـير وتأويلاً تمييز أي أحسن عاقبة فالتأويــل
تفصيل من آل إذا رجــع وهو ما يئول اليــه في الآخرة • (ولا تقف
ما ليس لك به علم) لا ناهية وتقف مجزوم بلا وعــلامة جزمه حذف
حرف العلة وهو الواو وفاعله مستتر تقديره أنت وما مفعول به وجملة
ليس صلة ولك خبر ليس المقدم وبه متعلقان بمحذوف حال ولا يجوز
تعلقها بعلم لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقال بعضهم متعلقان بما
تعلق به لك وهو الاستقرار وفيه بعد ، ومعنى الآية النهي عن أن يقول
الانسان مالا يعلم أو يعمــل بما لا علم له به وقد جعلهــا جماعة من
المفسرين خاصة بأمور إلا أن الشيوع أولى ، وعلم اسم ليس المؤخر •
(إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ان واسمها
والبصر والفؤاد عطف على السمع وكل مبتدأ وأولئك مضاف وجملة
كان خبر وعنه متعلقان بمسئولاً ، ومسئولاً خبر كان وسيأتي مزيد
من التفصيل حول هــذه الآية في بابي البلاغة والفوائد • (ولا تمش
في الأرض مرحاً) لا ناهية وتمش مجزوم بها وفاعله مستتر تقديره أنت
وفي الأرض متعلقان بتمش ومرحاً حال على تقدير مضاف أي ذا مرح
أي ولا تمش في الأرض حال كونك ذا مرح أي مارحاً ملتبساً بالكبر
والخيلاء وقد أحسن الأخفش إذ فضل المصدر عــلى اسم الفاعل كأنه
نفس المرح ويجوز أن يعرب مفعولاً لأجله كما قال أبو البقاء •(إنك
لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبــال طولاً) جملة تعليلية لا محــل لها

كأنها تعليل للنهي أي لن تجعل فيها صدوعاً وخروقاً بدوسك لها وإن واسمها وجملة لن تخرق الأرض خبرها ولن تبلغ الجبال عطف على لن تخرق وطولاً تمييز محول عن الفاعل أي ولن يبلغ طولك الجبال وقيل مصدر في موقع الحال أو مفعول له ، وسيأتي مزيد من البحث في باب البلاغة . (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) كل مبتدأ وذلك مضاف اليه والاشارة الى ما تقدم من الخصال الخمس والعشرين الآنفة من قوله تعالى لا تجعل مع الله إلهاً آخر وسيأتي تفصيل عدها في باب الفوائد وكان فعل ماض ناقص وسيئه اسمها وعند ربك ظرف متعلق بمكروهاً، ومكروهاً خبر كان. (ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة) ذلك مبتدأ أي ما تقدم من خصال ومما خبر وجملة أوحى صلة واليك متعلقان بأوحى وربك فاعل ومن الحكمة حال من عائد الموصول المحذوف أي من الذي أوحاه اليك حال كونه من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به أو حال من نفس الموصول وقد استهلت هذه الخصال وختمت بالنهي عن الشرك . (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) ولا تجعل عطف على ما تقدم ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني لتجعل وإلهاً هو المفعول الأول وآخر صفة فتلقى الفاء فاء السببية ونائب الفاعل مستتر تقديره أنت وفي جهنم متعلقان بتلقى وملوماً ومدحوراً حالان .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على فنون كثيرة من البلاغة تثبتها فيما يلي :

١ ـ الاطناب :

في قوله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه

سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً » فإن معنى هـــذه الآية جاء موجزاً في قوله تعـالى « ولكم في القصاص حيـاة » لكن الأول إطناب والثاني إيجـاز وكلاهما موصوف بالمساواة وقـد تحدثنا عن الإيجاز فلنتحـدث الآن عن الاطنـاب والمساواة فالاطناب مأخوذ في الأصل من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه يقال أطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير إذا اشتد فيـه وفي اصطلاح البيانيين هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سمي تطويلاً إن كانت الزيادة غير متعينة وحشواً إن كانت متعينة فالتطويل كقول عنترة بن شداد :

حييت من طلـل تقادم عهده أقوى وأقفر بعـد أم الهيثم

والحشو كقول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غدٍ عم

والإطناب يكون بأمور عدة نوجزها فيما يلي :

آ ــ التأكيد والتقرير وهو يكون حقيقة ومجازاً فالحقيقة كقولهم رأيته بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بفمي وكل هذا يظن الظان أنه لا حاجة إليه فالرؤية لا تكون إلا بالعين والقبض لا يكون إلا باليد والوطء لا يكون إلا بالقدم والذوق لا يكون إلا بالفم وليس الأمر كما توهم بل يطرد في كل ما يعزّ مناله ويعظم الوصول إليه ومن أمثلته البديعة في الشعر قول البحتري :

تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقاني

تجد شمس الضحى تدنو بشمس إليّ من الرحيق الخسـرواني

ولما كان الحضور في هـذا المجلس مما يعز وجوده ومناله وكان الساقي بهذه المثابة من الحسن قال انظر بعينك • وعلى هذا ورد الكثير منه في القرآن الكريم فقال تعالى : « ذلك قولكم بأفواهكم » والمجاز كقوله تعالى : « فإنهـا لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » ففائدة ذكر الصدور هنا انه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب تشبيه وتمثيل فلما أريد إثبات ما هو خلاف ما تعورف وعلم من نسبة العمى الى القلوب احتـاج الأمر إلى زيادة تصوير وتعريف ليقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الصدور •

ب ـ ذكر الخاص بعـد العام : كقولـه تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها » فقد خص الله سبحانه الروح بالذكر وهو جبريل مع انه داخل في عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه وكأنه من جنس آخر ففائدة الزيادة هنا التنويه الخاص •

جـ ـ ذكر العام بعـد الخاص : كقوله تعـالى : « ربي اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات » فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك والغرض من هذه الزيادة افادة الشمول مع العناية بالخاص ذكره مرة وحده ومرة مندرجاً تحت انعام •

د ـ الإيضاح بعد الإبهام : كقوله تعـالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فقوله ذلك الأمر إبهام وقوله أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ الأمر لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع مرة عـلى طريق الاجمال والإبهام ، ومرة على طريق التفصيل والإيضاح •

هـ ـ التكرار لتقر لشعاب متعدد
المسالك نحتاج إلى مجلد د بمثابة الدليل
والرائد لغيره كقول عنتر لمقته :

يدعون عنتر والسيو سحاب مظلم

يدعون عنتر والرما لبان الأدهم

فالتكرار في بيتي سامع وترسيخه
في ذهنه وهو هنا لد وفي مواطن الفخر
والمدح والارشاد والا ، الحسين بن مطير
يرثي معن بن زائدة :

فيا قبر معن أنت أول حفرة

من الأرض خطّت للسماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جوده

وقد كان منه البر والبحر مرتعا

ومنها طول الفصل كقول الشاعر :

لقد علم الحيّ اليمانون أنني إذا قلت أما بعد اني خطيبها

و ـ الاعتراض : وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الاعراب لغرض يقصد إليه البليغ وقد تقدم ذكره ومنه قول النابغة الجعدي :

ألا زعمت بنو سعد بأني ـ ألا كذبوا ـ كبير السن فانِ

فقد جاءت جملة « ألا كذبوا » معترضة بين اسم ان وخبرها للاسراع الى التنبيه على كذب من رماه بالكبر .

ز ـ التذييل : وهو تعقيب الجمل بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لها كقول الحطيئة :

تزور فتى يعطي على الحمد ماله
ومن ُيعطِ أثمان المحامد يحمد

فإن المعنى تم في الشطر الأول ثم ذيل بالشطر الثاني للتوكيد .

ح ـ الاحتراس : وقد تقدم بحثه ومنه قول ابن المعتز :

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجل

فلو أسقطنا كلمة « ظالمين » لتوهم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب وهذا خلاف المقصود .

هذا وستأتي أمثلة من الاطناب في مواضعها من هذا الكتاب .

أما المساواة فهي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض ولا ينقص عنه وقد تقدم التمثيل لها بقوله تعالى : « إن الله يأمر بالعدل والاحسان » الخ ومن أمثلتها في الشعر قول النابغة الذبياني :

فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقول طرفة :

ستبدي لك الأيـــام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبـــار من لـــم تزود

والقرآن حافل بأمثلة المساواة وستأتي في مواضعها إن شاء الله •

٢ ـ الاستعارة :

في قوله تعالى : « إن العهد كان مسئولاً » وقد قدمنا انه جار على الحقيقة بحذف الجار والمجرور ويجوز أن يكون الكلام جارياً على طريق الاستعارة المكنية بأن يشبه العهـد بمن نكث عهـده ونسبته السؤال إليه تخييل •

٣ ـ التهكم :

وقد سبق ذكره لأن مشية المرح مشتملة على شدة الوطء والتباهي على الارض بمشيه عليها والتطاول عـلى الآخر ولو كان المتكبر خفيف الوطأة قميء النظرة ، شخت الخلقة ، على حد قول المتنبي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

الفوائـد :

في هذه الآيات الجامعة فوائد كثيرة تتناول المهم منها جرياً عـلى أسلوبنا في هذا الكتاب فمنهـا تعليق الجار والمجرور في قوله تعالى : « كل أولئك كان عنه مسئولاً » فقد علقناه في باب الإعراب بمسئولاً

وجعلنا نائب الفاعل ضميراً يعود على كل أي كان كل واحد منها مسئولاً عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه وقد أسند الزمخشري مسئولاً الى الجار والمجرور وجعله بمثابة نائب الفاعل وهـذا سهو من الزمخشري يجل عنه لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل أو نائبه إذا تقدم الفعل أو ما يقوم مقامه وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ وحرف الجر إذا كان لازماً لا يكون مبتدأ فـ « عنه » ليس هو النائب عن الفاعل خلافاً لصاحب الكشاف ولا ضمير المصدر كما قال بعضهم وإنما النائب في هذه الآية ضمير راجع إلى ما رجع اليه اسم كان وهو المكلف المـدلول عليه بالمعنى والتقدير مسئولاً هو أي المكلف وإنما لم يقدر ضمير كان راجعاً لكـل لئلا يخلو مسئولاً عن ضمير فيكون مسنداً الى عنه وذلك لا يجوز .

وعبارة ابن هشام « وقول بعضهم في قولـه تعالى : « إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » إن عنه مرفوع المحل بمسئولاً والصواب ان اسم كان ضمير المكلف وإن لم يجد له ذكر وان المرفوع بمسئولاً مستقر فيه راجع اليه أيضاً وان عنه في موضع نصب » .

أي على انه مفعول ثان لمسئولاً لأنه يتعدى لمفعولين ثانيهما بعن .

الخصال الخمس والعشرون :

وعدناك باحصاء الخصال الخمس والعشرين التي وردت الاشارة اليها بقوله تعالى : « كل ذلك » وهذا احصاؤها بالترتيب :

١ ـــ لا تجعل مع الله إلهاً آخر .

٢و٣ ـ قوله تعالى وقضى ربك الى آخر الآية لاشتماله على تكليفين وهما عبادة الله والنهي عن عبادة غيره •

٤ ـ وبالوالدين إحسانا •

٥ ـ فلا تقل لهما أف •

٦ ـ ولا تنهرهما •

٧ ـ وقل لهما قولاً كريماً •

٨ ـ واخفض لهما جناح الذل •

٩ ـ وقل رب ارحمهما •

١٠ـ وآت ذا القربى حقه •

١١ـ والمسكين •

١٢ـ وابن السبيل •

١٣ـ ولا تبذر تبذيراً •

١٤ـ فقل لهم قولاً ميسوراً •

١٥ـ ولا تجعل يدك مغلولة •

١٦ـ ولا تبسطها كل البسط •

١٧ـ ولا تقتلوا أولادكم •

١٨ـ ولا تقربوا الزنا •

١٩ـ ولا تقتلوا النفس •

٢٠ـ فلا يسرف في القتل •

٢١ـ وأوفوا بالعهد •

٢٢ـ وأوفوا الكيل •

٢٣ـ وزنوا بالقسطاس •

٢٤ـ ولا تقف ما ليس لك به علم •

٢٥ـ ولا تمش في الارض مرحاً •

الاشارة بأولئك :

الاشارة في قوله تعالى « كل أولئك كان عنه مسئولاً » الى السمع والبصر والفؤاد وقد أشير إليهـا بأولئك وهي في الأكثر لمن يعقل لأنه جمـع ذا ، وذا لمن يعقـل ولما لا يعقل وأولاء ممدود عند الحجازيين مقصور عند أهل نجد وتميم والأكثر مجيئه للعقلاء ويقل مجيئه لغـير العقلاء كقول جرير بن عطية :

ذم المنازل بعـد منزلـة اللوى والعيش بعـد أولئك الأيام

وهو من قصيدة مستجادة له مطلعها :

سرت الهموم فبتن غير نيـام وأخو الهموم يروم كل مرام

وفيها يقول بعد البيت المتقدم :

وإذا وقفت عـلى المنازل باللـوى

فاضت دموعي غـير ذات نظـام

طرقتك صائدة القلـوب وليس ذا

وقت الزيـارة فارجعي بسـلام

تجري السواك علـى أغر كأنـه

برد تحـدّر من متـون غمـام

لو كان عهـدك كالذي حـدثتنا

لوصلت ذاك فكـان غـير رمام

إني أواصـل من أردت وصالـه

بحبـال لا صلف ولا لـوام

ومنها في هجاء الفرزدق :

خلق الفرزدق سـوءة في مـالك

ولخلف ضبـة كـان شر غـلام

مهـلا فرزدق إن قومك فيهـم

خَوَرُ القلـوب وخفّةُ الأحـلام

الظاعنون عـلى العمي بجميعهـم

والنّازلـون بشـرّ دار مقـام

واللوى بكسر اللام وفتح الواو مقصوراً في الأصل منقطع الرمل وقد ورد في مطلع معلقة امرىء القيس وهو :

قفـا نبك من ذكرى حبيـب ومنزل

بسقط اللّوى بين الدخول فحومـل

وهو أيضاً موضع بعينه قال ياقوت : « وقد أكثرت الشعراء من ذكره وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعز الفصل بينهما وهو واد من أودية بني سليم » .

أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

اللغــة :

(أفأصفاكم) : أخلصكم وخصكم والتصفية في الأصـل معناها التخليص ولكنــه هنا ضمن معنى خصكم لأجـل تعلق البنين به وفي الاساس : « ومن المجاز أصفيته المودة وأصفيته بالبر آثرته واختصصته « أفأصفاكم ربكم بالبنين » وأصفى عياله بشيء يسير : أرضاهم به ، وصادف الصياد خَفَقاً فأصفى أولاده بالغبيراء قال الطرماح :

أو يصادفْ خَفَقاً يُصفِهم بعتيق الخشل دون الطعــام

وهو صفيي من بين إخواني وهم أصفيائي وصافيته وهما خليلان متصافيان • »

(صرفنا) : بينا وأوضحنا ولها معان كثيرة بالتشديد يقال صرفه بمعنى صرفه مع مبالغة وصرّف الشيء باعه وصرف الدراهم بدلها وصرف الخمر شربها صرفاً أي غير ممزوجة وصرف الكلام اشتق بعضه من بعض وصرفه في الأمر فوض الأمر اليه وصرف الماء أجراه وصرف الله الرياح أجراها من وجه إلى وجه •

الاعراب :

(أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً) الهمزة للاستفهام والحقيقة ان هذا الاستفهام معناه الانكار الابطالي وهذا يقتضي أن ما بعده غير واقع وان مدعيه كاذب ، ومعناه التقريع والتوبيخ والنفي أيضاً أي لم يفعل ذلك • وأصفاكم فعل ماض والكاف مفعوله وهو معطوف على محذوف يقدر بحسب المقام وربكم فاعل وبالبنين متعلقان بأصفاكم واتخذ من الملائكة إناثاً عطف على أصفاكم وهو فعل وفاعل مستتر ومن الملائكة مفعول اتخذ الثاني وإناثاً هو المفعول الاول ويجوز أن تكون جملة اتخذ من الملائكة إناثاً حالية والواو واو الحال وقد مقدرة • (إنكم لتقولون قولاً عظيماً) إن واسمها واللام المزحلقة وجملة تقولون خبرها وقولاً مفعول مطلق وعظيماً صفة • (ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وصرفنا فعل وفاعل ومفعوله محذوف أي أمثالا ومواعظ وحكماً وقصصاً وأخباراً وأوامر ونواهي

وقد حذف الضمير للعلم به وفي هـذا متعلقان بصرفنا والقرآن بدل واللام للتعليل ويذكروا فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد لام التعليل والواو للحال وما نافية ويزيدهم فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره هو وإلا أداة حصر ونفوراً مفعول يزيدهم الثاني (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) قل فعـل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولو شرطية ومعه ظرف متعلق بمحذوف خبر كان المقدم وآلهة اسمها المؤخر وكما يقولون نعت لمصـدر محذوف أي كوناً مشابهـاً لما يقولون . (إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً) اذن حرف جواب وجزاء مهملة دالة على أن ما بعـدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين واللام واقعة في جواب لو وجملة ابتغـوا لا محـل لها والواو فاعـل والى ذي العرش متعلقان بابتغوا أو بمحـذوف حال من سبيلاً ، وسبيلاً مفعول ابتغوا (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) سبحانه مفعول مطلق وقد تقدم مراراً وتعالى عطف على ما تضمنه المصدر والتقدير تنزه وتعالى فهو فعل ماض وعما متعلقان به وجملة يقولون صلة وعلواً مفعول مطلق لأنه مصدر واقع موقع التعالي وكبيراً صفة (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) تسبـح فعل مضارع وله متعلقـان به والسموات فاعل والسبع صفة والأرض عطف على السموات ومن عطف على السموات والارض وفيهن متعلقان بمحذوف صلة من . (وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) الواو عاطفة وإن نافية ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً مرفوع محلاً وساغ الابتداء به لتقدم النفي وإلا أداة حصر ويسبح فعل مضارع والفاعـل مستتر تقديره هو والجملة خبر شيء وبحمده حال أي متلبساً بحمده ، ولكن : الواو حالية ولكن حرف استدراك مهمـل ولا نافية وتفقهون فعـل مضارع وفاعل وتسبيحهـم مفعول به . (إنه كان حليماً غفوراً) إن

واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر وحليماً خبر أول لكان وغفوراً خبر ثان لها .

البلاغـة :

في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فن التنكيت وقد تقدمت الاشارة اليه وانه قصد المتكلم الى شيء بالذكر دون غـيره مما يسدّ مسدّه لنكتة في المذكور ترجح مجيئه على سواه فقد خصّ سبحانه تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم لأنه التصرف في المعلوم بعد علمه واستنباط الأحكام منه والمراد الذي يقتضيه معنى الكلام التفقـه في معرفة التسبيح من الحيوان البهيم والبنات والجمـاد وكل ما يدخل تحت لفظة شيء مما لا يعقـل ولا ينطق إذ تسبيح ذلك بمجرد وجوده الدال عـلى قدرة موجده وحكمته .

وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

الاعراب :

(وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وقرأت القرآن فعل وفاعل ومفعول به والجملة مضافة الى اذا وجعلنا فعل وفاعل وبينك الظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان وبين الذين لا يؤمنون عطف على الظرف الاول وجملة لا يؤمنون صلة وبالآخرة متعلقان بيؤمنون وحجاباً مفعول جعلنا الأول ومستوراً نعت لحجاباً ويجوز أن يكون مستوراً على بابه أي لا يرى فهو مستور ويجوز أن يكون مفعولاً بمعنى فاعل أي ساتراً لك عنهم فلا يرونك يريد الذين حاولوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم . (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) جعلنا فعل وفاعل وعلى قلوبهم مفعول جعلنا الثاني وأكنة مفعول جعلنا الأول وأن يفقهوه في موضع النصب مفعول من أجله أي كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض أي من أن يفقهوه والجار والمجرور متعلقان بأكنة لأن فيها معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً عطف على قوله على قلوبهم أكنة . (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل وجملة ذكرت مضافة وذكرت فعل وفاعل وربك مفعول به وفي القرآن متعلقان بذكرت ووحده حال لأنه في قوة النكرة أي منفرداً وجملة ولوا لا محل لها وعلى أدبارهم متعلقان بمحذوف حال ونفوراً مفعول مطلق لأنه في معنى ولوا أي فهو مصدر ويجوز إعرابه مفعولاً من أجله وأعربه أبو البقاء حالاً أي نافرين فيكون جمع نافر . (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك) نحن مبتدأ وأعلم خبر

وبما متعلقان بأعلم وجملة يستمعون صلة وبه جار ومجرور متعلقان بيستمعون والباء سببية والمعنى ما يستمعون بسببه وهو الهزء بك وبالقرآن وقال الزمخشري « به في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين » وفيه بعد وقال أبو البقاء الباء بمعنى اللام وإذ ظرف لما مضى متعلق بأعلم وجملة يستمعون اليك مضافة للظرف . (وإذ هم نجوى) عطف على إذ داخلة في حكمها فهي ظرف لأعلم أي وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى فهم مبتدأ ونجوى خبر على حذف مضاف ويحتمل أن يكون نجوى جمع نجي فلا حاجة لتقدير مضاف قبل الخبر . (إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً) إذ يقول بدل من إذ هم نجوى أو من إذ يستمعون اليك ويقول الظالمون فعل مضارع وفاعل وإن نافية وتتبعون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وإلا أداة حصر ورجلاً مفعول به ومسحوراً نعت لرجلاً .

الفوائد :

بحث طريف عن وحده :

اعلم ان « وحده » لم يستعمل إلا منصوباً إلا ماورد شاذاً قالوا : هو نسيج وحده وعيير وحده وجحيش وحده فأما نسيج وحده فهو مدح وأصله ان الثوب إذا كان رفيعاً فلا ينسج على منواله غيره فكأنه قال نسيج أفراده يقال هذا للرجل إذا أفرد بالفضل وأما عيير وحده وجحيش وحده فهو تصغير عير وهو الحمار يقال للوحشي والأهلي وجحيش وحده وهو ولد الحمار فهو ذم يقال للرجل المعجب برأيه لا يخالط أحداً في رأي ولا يدخل في معونة أحد ومعناه انه ينفرد بخدمة نفسه ، وأما قولك جاء وحده فوحده حال من فاعل جاء المستتر فيه

وهو معرفة بالاضافة الى الضمير فيؤول بنكرة من لفظه أو من معناه أي متوحداً أو منفرداً وتقول مررت به وحده ومررت بهم وحدهم فوحده مصدر في موضع الحال كأنه في معنى إيحاد جاء على حذف الزوائد كأنك قلت أوحدته بمروري ايحاداً أو ايحاد في معنى موحد أي منفرد فإذا قلت مررت به وحده فكأنك قلت مررت به منفرداً ويحتمل عند سيبويه أن يكون للفاعل والمفعول ٠

وكان الزجاج يذهب الى أن وحده مصدر وهو للفاعل دون المفعول فإذا قلت مررت به منفرداً فكأنك قلت أفردته بمروري إفراداً ٠

وقال يونس : إذا قلت مررت به وحده فهو بمنزلة موحداً ومنفرداً وتجعله للممرور به ، وليونس فيه قول آخر : أن وحده معناه على حياله وعلى حياله في موضع الظرف وإذا كان الظرف صفة أو حالاً قدر فيه مستقر ناصب للظرف ومستقر هو الاول ٠ ٠

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ * قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

اللغـــة :

(رفاتاً) : الرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وهو اسم مفرد لأجزاء ذلك الشيء المفتت ، وقـال الفراء : هو التراب يؤيـده أنه تكرر في القرآن تراباً وعظاماً . ويقـال رفت الشيء يرفتـه بالكسر أي كسره والفُعال يغلب في التفريق كالحطام والرقاق والفتات . وفي القاموس وتاج العروس : « رفته يرفُته ويرفِته كسـره ودقه وانكسر واندق لازم ومتعد وانقطع كارفتّ ارفتاتاً في الكل وكغراب الحطام وكصُرَد: التبن والذي يرفت كل شيء أي يكسره » وفي الأساس : «وفي ملاعبهن رفات المسك أي فتاته ويقـال لمن عمل ما يتعـذر عليه التفصي منه : الضبع ترفت العظام ولا تعرف قدر إستها تأكلها ثم يتعسر عليها خروجها ومن المجاز هو الذي أعاد المكارم وأحيا رفاتها وأنشر أمواتها » .

(فسينغضون) : أي يحركون رءوسهم وفي المختار : نغض رأسه من باب نصـر وجلس أي تحرك وأنغض رأسه حرّكـه كالمتعجب من الشيء ومنه قوله تعالى : « فسينغضون إليك رؤوسهم » ونغض فلان رأسه أي حرّكه يتعدى ويلزم . وفي اللسان : يقال أنغض رأسه ينغضها أي حركهـا الى فوق وإلى أسفـل انغاضاً فهو منغض وأما نغض ثلاثياً ينغض ، وينغض بالفتح والضم فمعنى تحرك لا يتعدى » .

الاعراب :

(انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فـلا يستطيعون سبيلاً)
انظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وضربوا فعل وفاعل ولك متعلقان بضربوا والامثال مفعول

به فضلوا عطف على ضربوا والفاء حرف عطف ولا نافية ويستطيعون سبيلاً فعل وفاعل ومفعول به • (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل والهمزة للاستفهام الانكاري واستبعاد ما يتساءلون عنه واذا ظرف مستقبل متعلق بمحذوف تقديره أنبعث أو نحشر إذا كنا عظاماً ورفاتاً وقد دل عليه مبعوثون ولا يجوز أن يتعلق به لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وكذا ما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله وقد اجتمعا هنا والجواب هو الفعل الذي تعلقت به وكنا كان واسمها وعظاماً خبرها ورفاتاً عطف على عظاماً • (أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) الهمزة للاستفهام الانكاري والاستبعاد كما تقدم وان واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبر ان وخلقاً حال أي مخلوقين أو مفعول مطلق من معنى الفعل لا من لفظه أي نبعث بعثاً جديداً ، وجديداً صفة • (قل كونوا حجارة أو حديداً) جملة كونوا حجارة مقول القول وكان واسمها وحجارة خبرها وأو حرف عطف وحديداً عطف على حجارة والأمر هنا معناه التعجيز مع الاهانة • (أو خلقاً مما يكبر في صدوركم) أو حرف عطف وخلقاً عطف على حجارة ومما صفة لخلقاً وجملة يكبر صلة وفي صدوركم متعلقان بيكبر • (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة) الفاء عاطفة والسين حرف استقبال ويقولون فعل مضارع وفاعل ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وجملة يعيدنا خبر وقل فعل أمر والذي فطركم مبتدأ خبره محذوف تقديره يعيدكم أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الذي فطركم وجملة فطركم صلة وأول مرة ظرف متعلق بفطركم • (فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو) الفاء عاطفة والسين للاستقبال وينغضون فعل مضارع وفاعل واليك متعلقان بينغضون أي يحركون رءوسهم الى فوق والى أسفل ، هزءاً وسخرية ورؤوسهم مفعول به ويقولون عطف على ينغضون ومتى اسم

استفهام متعلق بمحذوف خبر مقدم وهو مبتدأ مؤخر أي البعث . (قل عسى أن يكون قريباً) عسى من أفعال الرجاء واسمها ضمير مستتر تقديره هو وأن وما بعدها في محل نصب خبر عسى واسم يكون مستتر تقديره هو وقريباً خبرها . (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) في متعلَّق هذا الظرف أقوال" لا تطمئن اليها النفس لأن أقربها الى الفهم أن يكون متعلقاً باسم كان أي البعث ولكنه ممتنع من الناحية النحوية لأن الضمير لايعمل فالأولى أن يعرب بدلاً من قريباً أو يتعلق بيكون على رأي من يرى التعلق بالأفعال الناقصة ، واختار أبو السعود تبعاً لأبي البقاء أن يكون ظرفاً لاذكر وهو بعيد عن سياق الموضوع ، وجملة يدعوكم مضاف اليها الظرف ، فتستجيبون عطف على يدعوكم وبحمده متعلقان بمحذوف حال أي حامدين قال الزمخشري وأحسن : « وهي مبالغة في انقيادهم البعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع : ستركبه وأنت حامد شاكر » . (وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً) الواو حالية وتظنون فعل مضارع مرفوع وفاعل أي يخيل اليكم لفرط ما تكابدون من الهول والرّوع وإن نافية ولبثتم فعل وفاعل وإلا أداة حصر وقليلاً ظرف متعلق بلبثتم أي في الدنيا أي تستقصرون مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوماً أو بعض يوم فهو نعت لزمان محذوف ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف أي لبثاً قليلاً .

البلاغة :

في قوله تعالى « قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » إلى آخر الآية فنان من فنون البلاغة :

١ ــ أولهما فن يسمى التمكين وبعضهم يسميه الارصادوحقيقتهأن يمهد المتكلم لقافيته أو سجعة فقرته تمهيداً تأتي القافية فيه متمكنة

في مكانها مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة فإن السامع يعلم انه أراد حجارة أو حديداً بجاذب من قلبه ووحي من هاجسه دون أن يسمع بقية الآية ومثل ذلك في الشعر قول أبي الطيب :

يا من يعز علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وللبحتري في علوة الحلبية :

فليس الذي حللته بمحلل   وليس الذي حرمته بحرام

وقال النابغة الذبياني في القديم :

كالاقحوان غداة غب سمائه   جفت أعاليه وأسفله ندي

زعم الهمام ولم أذقه بأنه   يشفى بريّا ريقها العطش الصدي

ومن طريف هذا الفن ما يحكى انه اجتمع السراج الوراق وأبو الحسين الجزار وابن نفيس الشاعر فمر بهم غلام مليح الصورة فقال السراج :

شمائله تدل على اللطافة   وريقته تنوب عن السّلافه

فقال أبو الحسين الجزار :

وفي وجناته ورد ولكن   عقارب صدغه منعت قطافه

فقال ابن نفيس :

فلو ولي الخلافة ذو جمال   لحق له بأن يعطى الخلافه

فالقوافي الثلاث متمكنة كما ترى •

٢ ـ والفن الثاني في هاتين الآيتين هو التخيير وهو أن يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر جملة وقد عطف بعضها على بعض بأداة التخيير وان يتضمن صحة التقسيم فيستوعب كلامه أقسام المعنى الذي أخذ المتكلم فيه فانظر إلى التخيير في هاتين الآيتين وصحة التقسيم وحسن الترتيب في الانتقال ، على طريق البلاغة ، من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ سبحانه النهاية في أوجز إشارة وأعذب عبارة حيث قال بعد الانتقال من الحجارة : « أو حديداً » فانتقل من الحجارة إلى ما هو أصلب منها وأقوى ثم قال بعد ذلك: « أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » غير حاصر لهم في صنف من الأصناف ، وتصوّر أيها القارىء بعد ذلك المعنى كيف يتكامل ويشرق في النفس إشراقاً تغرق النفس فيه أي انكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ، ويرده إلى حال الحياة والى رطوبتها وغضاضتها بعد ما كنتم عظاماً يابسة وذلك ديدنكم في الانكار، ودأبكم في العناد ، فهبكم لم تكونوا عظاماً بل كنتم أقسى منها وأصلب وأبعد عن رطوبة الحياة ، هبكم حجارة طبيعتها القساوة والصلابة بل هبكم حديداً وهو أشد أنواع المادة بعداً من الحياة ومنافاة لها بل أترك الأمر لكم لتتصوروا ما هو أقسى وأصلب وأنأى عن قبول الحياة، مما لا يخطر إلا لذوي العناد من أمثالكم فإنه لقادر على أن يردكم إلى الحياة لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون عليه بالنسبة لأفهامنا لا إليه تعالى وهذا من بديع الكلام ومعجزه بل هو من النمط الذي استحق أن لا يكون من كلام البشر •

وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

الاعراب :

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) الواو عاطفة والجملة منسوقة على ما سبق ليستكمل التعاليم التي بها قوام أمورهم • وقل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ولعبادي متعلقان بقل ويقولوا جواب الطلب أو مجزوم بلام الأمر المحذوفة وقد تقدم في سورة ابراهيم تفصيل لهذا التعبير فجدد به عهداً والتي مفعول به ليقولوا أو على الأصح صفة لمفعول محذوف أي الكلمة التي هي أحسن وهي

مبتدأ وأحسن خبر والجملة صلة • (إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً) الجملة تعليلية لقوله يقولوا التي هي أحسن وان واسمها وجملة ينزغ بينهم أي يفسد بينهم خبر وجملة إن الشيطان الثانية بدل من الأولى وكان فعل ماض ناقص وللانسان جار ومجرور متعلقان بعدواً ، وعدواً خبر كان ومبيناً صفة لعدواً وجملة كان الخ خبر إن • (ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم) ربكم مبتدأ وأعلم خبر وبكم متعلقان بأعلم ، وإن شرطية ويشأ فعل الشرط مجزوم ويرحمكم جواب الشرط مجزوم أيضاً • (وإن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً) عطف على ما تقدم والواو عاطفة وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل وعليهم متعلقان بوكيلاً ، ووكيلاً حال من الكاف أي موكولاً إليك أمرهم فتحاول هدايتهم • (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) وربك مبتدأ وأعلم خبر وبمن متعلقان بأعلم وفي السموات والأرض صلة • (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وفضلنا فعل وفاعل وبعض النبيين مفعول به وعلى بعض متعلقان بفضلنا وآتينا عطف على فضلنا وهو فعل وفاعل وداود مفعول به أول وزبوراً مفعول به ثان وسيأتي في باب الفوائد سر تخصيص داود بإيتاء الزبور • (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) جملة ادعوا الذين مقول القول وادعوا فعل أمر وفاعل والذين مفعول به وجملة زعمتم صلة ومفعولا زعمتم محذوفان للعلم بهما وهما زعمتموهم آلهة ، ومن دونه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نصب على الحال • (فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) الفاء استئنافية ولا نافية ويملكون كشف الضر فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعنكم متعلقان بكشف والواو حرف عطف ولا نافية وتحويلاً معطوف على كشف الضر • (أولئك الذين

يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أولئك مبتــدأ والذين يدعون بدل منه وجملة يبتغون خبر والواو فاعــل والى ربهــم متعلقان بالوسيلة ، والوسيلة مفعول به ويجوز لك أن تعرب الــذين هي الخبر وجمــلة يبتغون حال من فاعل يدعون • (أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) أيهم بدل من فاعــل يبتغون وأي موصولة ويجوز أن تكون استفهامية فهي مبتــدأ وأقرب خبر وعبارة أبي حياة : « واختلفوا في اعراب أيهم أقرب وتقديرة ، فقال الحوفي أيهــم أقرب ابتــداء وخبر والمعنى ينظرون أيهم أقرب فيتوسلون به ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلاً من الواو في يبتغون » ففي الوجه الأول أضمر فعل التعليق وأيهم أقرب في موضع نصب على اسقاط جرف الجر لأن نظر إن كان بمعنى الفكر تعدى بفي وان كانت بصرية تعدت بإلى فالجملة المعلق عنها الفعل عــلى كلا التقديرين تكون في موضع نصب على اسقاط حرف الجر كقولــه فلينظر أيها أزكى طعاماً ، وفي إضمار الفعل المعلق نظر والوجه الثاني قاله الزمخشري قال : « وتكون أي موصولة أي يبتغي من هو أقرب منهم وأزلف الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب » فعلى هذا الوجه يكون أقرب خبر مبتدأ محذوف واحتمل أن يكون أيهم معرباً وهو الوجــه واحتمل أن يكون مبنياً لوجود مسوغ البناء ، وسيأتي حكم «أي» في باب الفوائد • وأقرب خبر لمبتدأ محذوف والمعنى يبتغون من هو أقرب منهم وأمت اليهم بزلفى الوسيلة الى الله فما بالك بغير الأقرب فكيف يزعمون انهم آلهة ، ويرجون رحمته عطف على يبتغون ويرجون فعل مضارع وفاعل وحذفت لام الفعل وهي الواو لالتقاء الساكنين ورحمته مفعول به ويخافون عذابه عطف على يرجون رحمته • (إن عذاب ربك كان محذوراً) تعليل للخوف وان واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو ومحذوراً خبر كان •

الفوائــد :

١ ـ معنى تفضيل بعض الأنبياء على بعض :

تفضيل بعض الأنبياء على بعض يكون بتفاوت الفضائل النفسانية ولهذا اشتهر منهم أولو العزم المستهدفون للبلاء فما وهنوا وما استكانوا وكان محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الأنبياء الذين اتسموا بكامل الصفات وتخصيص داود بالزبور فيه رد على اليهود الذين زعموا انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعــد التوراة وقد استعمــل الزبور بلام التعريف ومجرداً عنها لمحاً للأصل لأنه فعول بمعنى المفعول كالحلوب بمعنى المحلوبة أو لأنه أراد بعضاً من الزبور •

٢ ـ أي :

تأتي على ستة أوجه :

١ ـ شرطية : « أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى » بدليل جزم تدعوا وإدخال الفاء رابطة على الجملة الاسمية وأياً ما مفعول تدعوا •

٢ ـ استفهامية : « أيكم زادته هــذه إيماناً » « فبأي حديث بعده يؤمنون » •

٣ ـ موصولية : « لننزعنّ من كل شيعة أيهم أشد » التقدير لننزعن الذي هو أشد •

٤ ـ أن تكون دالة على الكمال فتقع صفة للنكرة نحو : زيد رجل أيّ رجل ، وحالاً للمعرفة نحو مررت بعبد الله أيّ رجل •

٥ ـ أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل نحو يا أيها الرجل ، وإنما التزم بناؤها على الضم لتكون على صورة المنادى المفرد المقصود بالنداء لأنه مضموم الآخر .

٦ ـ أن تكون للتعجب نحو : سبحان الله أيّ رجل هذا .

وأيّ تعرب في جميع أحوالها إلا إذا كانت موصولة مضافة ومحذوفاً صدر صلتها كما تقدم فتبنى على الضم ، ولأيّ تفاصيل يرجع اليها في المطولات وسيأتي المزيد من بحثها .

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

الاعراب :

(وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً) الواو استئنافية وإن نافية ومن حرف جر زائد وقرية

مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ وإلا أداة حصر ونحن مبتدأ ومهلكوها خبر والجملة الاسمية خبر قرية وقبل يوم القيامة الظرف متعلق بمهلكوها وأو حرف عطف ومعذبوها عطف على مهلكوها وعذاباً مفعول مطلق وشديداً صلة . (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) كان واسمها وفي الكتاب متعلقان بمسطوراً ، ومسطوراً خبر كان . (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الواو عاطفة وما نافية ومنعنا فعل ماض ومفعول به مقدم وأن نرسل المصدر المؤول مفعول ثان لمنع وبالآيات الباء حرف جر زائد على حد زيادتها في قول عمرو بن كلثوم :

وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون إذا أردنا وأنا النازلون بحيث شينا

ولك أن تجعلها أصلية فتكون للملابسة والمفعول محذوف أي في محل نصب حال والمعنى وما منعنا أن نرسل نبياً حالة كونه ملتبساً بالآيات ، وإلا أداة حصر وأن الثانية وما في حيزها في محل رفع فاعل منع وبها متعلقان بكذب والأولون فاعل . (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) هذه آية من الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها وآتينا فعل وفاعل وثمود مفعول به أول والناقة مفعول به ثان ومبصرة حال فظلموا الفاء عاطفة وظلموا فعل وفاعل وهو متضمن معنى كفروا وبها متعلقان به . (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) الواو للحال وما نافية ونرسل فعل مضارع وفاعل مستتر وبالآيات تقدم القول في هذه الباء وإلا أداة حصر وتخويفاً مفعول لأجله ولك أن تجعله مصدراً في موضع نصب على الحال إما من الفاعل أي مخوفين بها أو من المفعول أي مخوَّفاً بها . (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) الظرف متعلق

بمحذوف أي اذكر ولك متعلقان بقلنا وان واسمها وجملة أحاط بالناس خبرها • (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الواو عاطفة وما نافية وجعلنا الرؤيا فعل وفاعل ومفعول به وأراد بها ما رآه بعد الوحي في منامه أو ليلة الاسراء على خلاف وإذا كانت ليلة الاسراء فتسميتها رؤيا على أنها كانت في الليل ولأنها وشيكة سريعة الانقضاء لأن الرؤيا للحكم أما الرؤية البصرية فلا يطلق عليها رؤيا ولذلك أخذوا على المتنبي قوله :

« ورؤياك أحلى في الجفون من الغمض »

ويبرر المتنبي أنه استعملها في الجفون لأن الرؤيا لاتكون إلا فيها• والتي صفة وأريناك صلة الموصول وإلا أداة حصر وفتنة مفعول به ثان لجعلنا وللناس صفة لفتنة • (والشجرة الملعونة في القرآن) عطف على الرؤيا والملعونة نعت لها وفي القرآن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والمراد بها شجرة الزقوم وسيأتي الحديث عنها في موضعها من هذا الكتاب ، فقد سخروا من محمد صلى الله عليه وسلم عندما سمعوا بشجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم وقالوا : انه يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ان الشجر ينبت فيها • (ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) الواو استئنافية ونخوفهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، فما الفاء عاطفة وما نافية ويزيدهم فعل ومفعول به والفاعل مستتر تقديره تخويفنا وإلا أداة حصر وطغياناً مفعول به ثان وكبيراً نعت •

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

اللغـــة :

(لأحتنكنّ) لأستأصلن ذريتـــه بالاغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرّد ما عليها أكلاً مأخوذ من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما ، وقيـــل معنى لأحتنكن لأسوقنهم وأقودنهم حيث شئت من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها ، وفي المختار : « حنك الفرس جعل في فيه الرسن وبابه نصر وضرب وكذا احتنكه واحتنك الجراد الأرض أكل ما عليها وأتى على نبتها وقوله تعالى: حاكياً عن إبليس : « لأحتنكن ذريته » قال الفراء : لأستولين عليهم ، والحنك المنقار يقال أسود مثل حنك الغراب وأسود حانك مثل حالك

والحنك ما تحت الذقن من الانسان وغيره » ولهذه المادة شعاب يضيق عن استيعابها الحصر ففي القاموس وتاج العروس واللسان ما خلاصته : حنك يحنك ويحنك بالضم والكسر حنكاً الشيء فهمه وأحكمه ، واحتنك الفرس جعل في فيه الرسن وحنك وحنّك : مضغ فدلك بحنكة وحنك يحنك ويحنك بالضم والكسر أيضاً حِنْكاً وحَنَكاً وحنّك وأحنك واحتنك الدهر الرجل : جعلته التجارب والأمور وتقلبات الدهر حكيماً فهو حنيك وتحنّك أدار العمامة من تحت حنكه واحتنك أيضاً الجراد الأرض أكل ما عليها واحتنكه استولى عليه ، واستحنك اشتد أكله بعد قلته والحُنك والحِنك والحُنكة : الاسم من حنّكه الدهر والحَنَك : أعلى باطن الفم والأسفل من طرف مقدّم اللحيين .

(واستفزز) : استفزه : استخفه والفزّ الخفيف وفي القاموس والتاج : « فزّ يفزّ فزاً انفرد وفز عنه تنحى وعدل وفزّ الظبي فزع وفزه عزه وغلبه وطير فؤاده وأفزعه وأزعجه وأزاله عن مكانه وفز يفزّ فزيزاً الجرح سال بما فيه وفز فزازة وفزوزة : اضطرب وتوقد وافتزّ عليه غلب وتفازّ الرجلان : تبارزا واستفزه : استخفّه واستدعاه وجعله يضطرب وأزعجه وأخرجه من داره وقتله والفزّ الرجل الخفيف وولد البقرة الوحشية والفزة الوثبة بانزعاج .

(واجلب عليهم) صحْ عليهم وتصرف فيهم بكل ما تقدر وفي المختار : « وجلب على فرسه يجلب جلباً بوزن طلب يطلب طلباً صاح به من خلفه واستحثه للسبق وكذا أجلب عليه » وفي القاموس والتاج : جلبه يجلبه بالضم والكسر جلباً وجلباً بالسكون والفتح ساقه وجاء به وجَلَب الرجل انساق وجلب الجرح برىء وأجلب القوم : جمعهم وجلبه وأجلبه توعده بالسر وجلب واجلب لأهله كسب وجلب وأجلب

على الفرس : صاح به واستحثه للسبق وجلب وأجلب القوم : ضجوا واختلطت أصواتهم والجلبة : اختلاط الأصوات والصياح والجلب بفتحتين ما يجلبه من بلد الى بلد وجمعه أجلاب فما يقوله العامة عن المتاع هو جلب بفتحتين صحيح لا غبار عليه •

(ورجلك) بفتح فكسر الركاب والمشاة وفي القاموس : الرجل : الراجل ومن يمشي على رجليه والراجل : من يمشي على رجليه لا راكباً وجمعه رَجْل ورجّالة ورُجّال ورِجال ورُجَالى ورَجَالى ورُجلان ويقال : جاءت الخيالة والرجالة وأغار عليهم بخيله ورجله والخيل الخيالة ومنه الحديث : يا خيل الله اركبي •

الاعراب :

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) الواو استئنافية والظرف متعلق بمحذوف أي اذكر وقد تقدم اعراب هذه الآية المكررة كثيراً • (قال : أأسجد لمن خلقت طيناً) الهمزة للاستفهام الانكاري الصادر عن تعنت وسوء تقدير وجهل وغباء ولمن متعلقان بأسجد وجملة خلقت صلة وطيناً حال من الموصول والعامل فيه أأسجد، أو من عائد هذا الموصول أي خلقته طيناً فالعامل فيها خلقته ، وجاز وقوع طيناً حال وإن كان جامداً لدلالته على الأصالة كأنه قال متأصلاً من طين وأعربه بعضهم منصوباً بنزع الخافض أي من طين بدلالة آية أخرى صرح فيها بالجار • قال « وخلقته من طين » وقال الزجاج وغيره هو تمييز وفيه بعد (قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ) تقدم القول مفصلاً في أرأيتك وانها بمعنى أخبرني والكاف لتأكيد

الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول أول والموصول صفة أو بدل عنه والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه أي أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لمَ كرمته علي ، ولم يجبه الله تعالى عن هذا السؤال استصغاراً لأمره واحتقاراً لشأنه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ بالقسم فقال : (لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً) اللام موطئة للقسم وان شرطية وأخرتني فعل وفاعل ومفعول به والنون للوقاية وهو فعل الشرط والى يوم القيامة متعلقان بأخرتني ولأحتنكن اللام واقعة في جواب القسم وأحتنكن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره أنا وذريته مفعول به وإلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من ذريته منصوب وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة .

(قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً) اذهب فعل أمر وفاعل مستتر والجملة مقول القول وليس المراد بالذهاب نقيض المجيء وانما معناه امض لشأنك الذي اخترته بمحض مشيئتك وسيأتي أنه أمره بأمور أربعة أخرى فيكون المجموع خمسة وكلها تهدف الى التنديد به وتهديده واستدراجه ، فمن الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ وتبعك فعل ماض والفاعل مستتر والكاف مفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط ومنهم حال ، فإن الفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها وخبرها وجزاء مفعول مطلق لفعل دل عليه جزاؤكم أي تجزون جزاء ، ولامانع عندي من أن يكون مصدراً انتصب بمثله وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد ، وقيل هو حال موطئة وقيل تمييز وليس ذلك ببعيد وسيأتي القول في هذا الالتفات في باب البلاغة وموفوراً

صفة (واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) واستفزز أمر ثان للشيطان ، من استطعت : من اسم موصول مفعول استفزز وجملة استطعت صلة ومفعول استطعت محذوف تقديره من استطعت أن تستفزه ، ومنهم متعلقان بمحذوف حال وبصوتك متعلقان باستفزز وأجلب أمر ثالث وعليهم متعلقان بمحذوف حال وبخيلك متعلقان بأجلب ورجلك عطف على بخيلك أي استخف منهم من استطعت بصوتك وصح عليهم وسقهم حال كونك مصحوباً بخيلك ورجلك • (وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) وشاركهم أمر رابع والهاء مفعول به وفي الأموال متعلقان بشاركهم والمشاركة في الأموال أي حملهم على جمعها بالطرق الحرام غير المشروعة كالربا والميسر وإنفاقها في الأمور المحرمة والفسوق والعصيان وعدهم هذا هو الأمر الخامس والهاء مفعول به ولم يذكر الموعود اختصاراً والمراد المواعيد الكاذبة الباطلة، وما الواو للحال أو اعتراضية وما نافية ويعدهم الشيطان فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وفي الكلام التفات سيأتي الكلام عنه وإلا أداة حصر وغروراً يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي إلا وعداً غروراً ونسبة الغرور للمصدر سيأتي في باب البلاغة ولك أن تعربه مفعولاً من أجله أي ما يعدهم ويمنيهم من الوعود الكاذبة والأماني المعسولة إلا لأجل الغرور والجملة حالية أو معترضة • (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً) جملة تعليلية للأمر بالوعد أي إنما نأمرك بذلك لأننا نعلم أنه ليس لك سلطان على عبادنا الصالحين ، وان واسمها وجملة ليس خبرها ولك خبر مقدم لليس وعليهم حال لأنه كان في الأصل صفة لسلطان وسلطان اسم ليس مؤخر وكفى فعل ماض والباء زائدة في الفاعل ووكيلاً تمييز •

البلاغـة :

اشتملت هذه الآيات على فنون شتى منها :

١ ــ المجـاز المرسل في استعمال الرؤية بمعنى الأخبار في قوله « أرأيتك » لأنها سببه فالعلاقة فيها السببية وقد تقدم بحث ذلك •

٢ ــ الالتفات عن الخطـاب الى الغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقـال : وما تعـدهم إلا غروراً ولكنه عـدل عن ذلك تهويناً لأمره واستصغاراً لأمر الغرور الذي يعدهم به من جهة وليتولى الكلام على طريق الغيبة متحدثاً الى الناس جميعاً ليعلم الجاهل ، ويخـلد المبطل الى الصواب •

٣ ــ المجاز العقلي في نسبة الغرور الى الوعد عـلى حد قوله : نهاره صائم وليله قائم وقد تقدم تفصيل ذلك في مواضعه •

الفوائـد :

١ ــ عامل المفعول المطلق :

عامل المفعول المطلق إما مصدر مثله لفظاً ومعنى مثل « فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً » فجزاء مفعول مطلق وعامله جزاؤكـم وهو مصدر مثله أو معنى لا لفظاً نحو أعجبني إيمانك تصديقاً ، أو ما اشتق منه من فعل نحو « وكلم الله موسى تكليمـاً » أو من وصف أي اسم فاعل أو اسم مفعول أو للمبالغة دون التفضيل والصفة المشبهة فاسم الفاعل نحو « والصافات صفاً » واسم المفعول نحو : الخبز مأكول أكلاً ، وأمثلة المبالغة نحو : زيد ضرّاب ضرباً ولا يجوز زيـد حسن وجهه حسناً ولا أقوم منك قياماً ، وأما قول الشاعر :

أما الملوك فأنت اليوم ألأمهم　　لؤماً وأبيضهم سربال طباخ

فلؤماً منصوب بمحذوف • ونعود الى الآية فقد اعترض بعضهم على انتصاب جزاء بالمصدر وهو جزاؤكم قال : إنه وإن كان لفظه مصدراً معناه المجزي به لحمله على جهنم فمعنى الآيه ان جهنم هي الشيء الذي أنتم مجزيون به • ولوجاهة هذا الاعتراض قلنا انه يجوز أن ينتصب بفعل محذوف دل عليه جزاؤكم والمعنى تجازون ، أو على الحال الموطئة •

٢ ـ الحال الموطئة :

والحال الموطئة بكسر الطاء أو بفتحها هي الجامدة الموصوفة لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشتق أو شبهه نحو «فتمثل لها بشراً سوياً» فإنما ذكر بشراً توطئة لذكر سوياً ومعنى هذا الكلام ان الاسم الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالاً صح أن يكون حالاً والموطئة لغة

رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

هي المهيئة وسيأتي المزيد منها أثناء الكلام على هذه الآية في سورة مريم.

اللغـــة :

(يزجي) : يجري ويسير وفي القاموس : « زجاه ساقه ودفعه كزجّاه وأزجاه ومنه قول الشاعر :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

(حاصباً) الحاصب : الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء ، والحصباء الحجارة الصغيرة واحدتها حصبة كقصبة وفي المصباح : « وحصبته حصباً من باب ضرب وفي لغة من باب قتل رميته بالحصباء ».

قال أبو عبيدة والقيتبي : الحصب الرمي : أي ريحاً شديدة حاصبة وهي التي ترمي بالحصى الصغار ، وقال الزجاج : الحاصب التراب الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء والحصباء كاللابن والتامر ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد حاصب ومنه قول الفرزدق :

مستقبلين جبال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

(قاصفاً) القاصف : الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل : التي لا تمر بشيء إلا قصفته .

(تبيعاً) التبيع المطالب . قال الشماخ يصف عقاباً :

تلوذ ثعالب الشرقين منهـا كما لاذ الغريم من التبيـع

أي تهرب منها ثعالب الشرقين بمعنى المشرقين كما هرب والتجأ الغريم أي المدين من التبيع أي الدائن المطالب .

الاعراب :

(ربكم الذي يزجي لكـم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الجملة تعليل لبيان قدرته تعالى وربكم مبتدأ والذي خبره وجملة يزجي صلة ولكم متعلقان بيزجي والفلك مفعـول به وفي البحر متعلقـان بمحذوف حال ولتبتغوا اللام للتعليـل وتبتغوا مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقـان بتبتغوا أي تبتغوا الربح من فضله (إنه كان بكم رحيماً)ان واسمها وجملة كـان خبرها وبكم متعلقـان برحيماً ، ورحيماً خبر كان . (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) الواو عاطفة واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة مسكم مضافة للظرف والكاف مفعول به والضر فاعل وفي البحـر متعلقان بمحـذوف حال أي حالة كونكم في البحر وجملة ضـل لا محل لأنها جواب شرط غـير جازم ومن فاعل ضـل وجملة تدعون صلة وإلا إياه استثناء أي ذهب عن خواطركم كل من تدعونه إلا إياه فانكم عندئذ وفي ذلك الوقت بالـذات تذكرونه فهو استثناء متصل لأنه اندرج مع من ذكروه ويجوز أن يكون منقطعاً أي ضل من تدعونه من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحـده هو الذي ترجونه وحده . (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً) لما أداة شرط غير جازمة ونجاكم فعل ماض ومفعول به وهو فعل الشرط وفاعله هو ، والى البر متعلقان بنجاكم وأعرضتم جواب الشرط وكان واسمها وخبرها . (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً) الهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملتكم نجاتكم على الإعراض . وامنتم فعل وفاعل وأن يخسف مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض أن من أن يخسف

والجار والمجرور متعلقان بأمنتم وبكم حال أي مصحوباً بكم فالباء للمصاحبة ، ويجوز أن يتعلق بيخسف وتكون الباء للسببية • وجانب البر مفعول يخسف وأو حرف عطف ويرسل عطف على يخسف وعليكم متعلقان بيرسل وحاصباً مفعول به • (ثم لا تجدوا لكم وكيلاً) ثم حرف عطف للتراخي ولا نافية وتجدوا عطف على يرسل أيضاً ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لوكيلاً وتقدمت عليه ووكيلاً مفعول به • (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) أم حرف عطف وهي متصلة أي أي الأمرين كائن وأمنتم فعل وفاعل وأن يعيدكم مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بأمنتم وفيه متعلقان بيعيدكم وتارة ظرف متعلق بيعيدكم أيضاً وأخرى صفة • (فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم) الفاء عاطفة ويرسل عطف على أن يعيدكم وعليكم متعلقان بيرسل وقاصفاً مفعول به ومن الريح صفة والفاء حرف عطف ويغرقكم عطف على يرسل وبما متعلقان بيغرقكم وما مصدرية أي بسبب كفركم • (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً) ثم حرف عطف ولا تجدوا عطف على يغرقكم ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لتبيعاً وتقدمت عليه فهو على حد قول أبي الطيب المتنبي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت   لها المنايا الى أرواحنا سبلا

فقوله لها متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبلاً ولا يجوز تعليقه بوجدت لأن وجد لا يتعدى باللام وانما يتعدى بنفسه. وعلينا متعلقان بمحذوف حال أيضاً وبه متعلق بتبيعاً ويجوز أن يتضمن تبيعاً معنى ناصراً لأن المطالب بحق الملازم للطلب فيكون علينا متعلقاً به أي ناصراً علينا •

* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

اللغــة :

(فتيلاً) : تقدم القول في النقير والقطمير فالفتيـل هو الخيـط الذي في نقرة النواة طولاً وأما القشرة فهي القطمير وأما الخيط الذي في ظهرها فهو النقير ففي النواة أمور ثلاثة : فتيل وقطمـير ونقير وفي القاموس : الفتيل : السحاة في شق النواة والقطمـير والقطمار بكسر القاف فيهما : القشرة الرقيقة بين النواة والثمرة ، والنقير : النكتة في ظهر النواة .

الاعراب :

(ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وكرمنا فعـل وفاعل وبني آدم مفعول به وحملناهـم عطف عـلى كرمنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وفي البر والبحر متعلقان بحملناهم . (ورزقناهم من الطيبات

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ورزقناهم فعل وفاعل ومفعول به أيضاً ومن الطيبات متعلقان برزقناهم وفضلناهم عطف أيضاً وعلى كثير متعلقان بفضلناهم وممن خلقنا صفة لكثير وجملة خلقنا صلة وتفضيلاً مفعول مطلق • (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وندعو فعل مضارع والفاعل مستتر تقديره نحن وكل أناس مفعول به وجملة ندعو مضافة للظرف وبإمامهم يجوز أن يتعلق بندعو وأن يتعلق بمحذوف حال أي موسومين ومعروفين والمراد بالإمام من ائتموا به في دنياهم وفوضوا اليه أمورهم وأحكام معايشهم، وقلدوه في شؤون دنياهم وأخراهم • (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً) الفاء عاطفة ومن شرطية أو موصولة وهي في محل رفع مبتدأ وأوتي فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل مستتر وكتابه مفعول به ثان وبيمينه متعلقان بأوتي والفاء رابطة وجملة أولئك جواب الشرط أو خبر الموصول وأولئك مبتدأ وجملة يقرءون خبر وكتابهم مفعول به ، ولا : الواو حرف عطف ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفتيلاً نائب مفعول مطلق أي ظلماً قدر الفتيل وقد تقدمت له نظائر • (ومن كان في هذه أعمى) الواو عاطفة ومن شرطية أو موصولة وكان فعل ماض ناقص وفي هذا خبر مقدم والارشارة للدنيا وأعمى اسم كان مؤخر وهي بمعنى فاعل • (فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) الفاء رابطة وهو مبتدأ وفي الآخرة حال وأعمى خبر وهي إما بمعنى فاعل كالأولى أي من كان في هذه الدنيا عمياً عن حجته فهو في الآخرة كذلك وإما بمعنى أفعل التفضيل التي تقتضي من ، والمعنى : من كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى أيضاً والمراد العمى القلبي الذي لا يبصر الهداية • وأضل عطف على أعمى وسبيلاً تمييز •

وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

الاعراب :

(وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره) الواو استئنافية وإن مخففة من الثقيلة مهملة ويجوز إعمالها قليلاً كما تقدم وكادوا فعل ماض ناقص من أفعال المقاربة والواو اسمها واللام الفارقة وجملة يفتنونك خبر كادوا وعن الذي متعلقان بيفتنونك وقد ضمّن يفتنونك معنى يصرفونك فلذلك عدي بعن وجملة أوحينا صلة واليك متعلقان بأوحينا ، لتفتري : اللام لام التعليل وتفتري مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وعلينا متعلقان بتفتري والفاعل مستتر تقديره أنت وغيره مفعول به (وإذن لاتخذوك خليلاً) الواو عاطفة وإذن حرف جزاء وجواب يقدر بلو الشرطية أي ولو اتبعت مرادهم وحققت مقترحاتهم التي حاولوا أن يستنزلوك لتحقيقها ، واللام

موطئة للقسم والتقدير والله لاتخذوك والكاف مفعول به أول وخليلاً مفعول به ثان . (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) لولا حرف امتناع لوجود وان وما في حيزها مبتدأ محذوف الخبر أي ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا إياك واللام جواب لولا وقد حرف تحقيق وكاد واسمها وجملة تركن خبرها واليهم متعلقان بتركن وشيئاً مفعول مطلق فهو بمعنى الركون أي وشيئاً قليلاً من الركون . (إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) إذن حرف جواب وجزاء يقدر بلو الشرطية أيضاً أي ولو اتبعت مرادهم وحققت مقترحاتهم التي حاولوا أن يستنزلوك لتحقيقها ، اللام موطئة للقسم وأذقناك فعل وفاعل ومفعول به وضعف مفعول ثان والحياة مضاف ولا بد من تقدير محذوف أي ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وثم حرف عطف وتراخ ولا نافية وتجد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ، ولك متعلقان بتجد وعلينا متعلقان بنصيراً، ونصيراً مفعول به . (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) الواو عاطفة وان مخففة يجوز إهمالها وإعمالها وكادوا من أفعال المقاربة والواو اسمها واللام الفارقة وجملة يستفزونك خبر كادوا ، ومن الارض متعلقان بيستفزونك وليخرجوك متعلقان بيستفزونك ومنها متعلقان بيخرجوك والضمير يعود الى الأرض وهي أرض المدينة . (وإذن لا يلبثون خلافك إلا قليلاً) الواو عاطفة واذن حرف جواب وجزاء مهمل ولا نافية ويلبثون فعل مضارع مرفوع وخلافك أي خلفك ظرف متعلق بيلبثون وعليه قول الشاعر :

عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

يصف الشاعر ديارهم بعدهم بدروسها وكثرة قمامتها لعدم كنسها

ووجود من يتعهدها والشواطب النساء يشققن شطب النخل أي سعفه الأخضر يعملنه حصيراً • وإلا أداة حصر وقليلاً صفة لظرف محذوف أي زماناً قليلاً أو صفة لمصدر محذوف أي لبثاً قليلاً فهي ظرف أو مفعول مطلق • (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً) نصبت سنة نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة واختيار الفراء نصبها على نزع الخافض أي كسنة الله وإذن ينبغي على هذا الاعراب أن لا يوقف على قليلاً واختار آخرون أن تنصب بفعل محذوف أي اتبع سنة ولا مانع من ذلك فالاوجه كلها متساوية •

البلاغة :

ـ قصة ثقيف واقتراحاتها :

في هذه الآيات ضروب من البلاغة ولا بد لتقريرها من ايراد قصة تنزيلها فقد روي أن ثقيفاً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر بها على العرب : لا نعشر ولا نحشر ولا نُجَبِّي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ ما يهدى لها فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فإن قالت العرب لم فعلت ذلك ؟ فقل إن الله أمرني به ، وجاءوا بكتابهم فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف : لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا : ولا يجبون فسكت رسول الله ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسلّ سيفه فقال : أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم

ناراً فقالوا لسنا نكلم إياك وإنما نكلم محمداً فنزلت ، ولا بد من شرح بعض المفردات فقولهم لا نعشر بالبناء للمجهول أي لا يؤخذ منا عشر أموالنا ولا نحشر بالبناء للمجهول أيضاً أي لا نساق للجهاد ولا نجبي في صلاتنا بالبناء للمجهول أيضاً من التجبية وهي ـ كما في الصحاح ـ أن يقوم الانسان قيام الراكع وقال أبو عبيدة تكون في حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه والآخر أن ينكب على وجهه باركاً وهو السجود والمراد لا نركع ولا نسجد والقصة طريفة تمثل أموراً هامة .

أ ـ إصرار القوم وعتوهم وتماديهم في الكبرياء والعنفوان .

ب ـ حلم النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه القوم باللين والاستمالة وفي ذلك منتهى الكياسة والسياسة .

حـ ـ صلابة عمر وجرأته ولأمر ما سمي الفاروق أما أوجه البلاغة في الآية فهي :

١ ـ الاطناب في ذكر هذا الموقف الذي يثبت لك دهاء السياسي وأحوذيته ، يأخذ قومه بالملاينة والصبر ولا تذهب نفسه شعاعاً وهو يرى التمادي في الغي والاصرار على الخطل .

٢ ـ المبالغة في تقليل الكيدودة لأن مجرد الملاينة التي تقتضيها السياسة واستمالة القوم أخذت على النبي لأن الذنب يعظم بحسب فاعله على ماورد من أن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

٣ ـ الاستعارة المكنية في أذقناك ضعف الحياة وقد تقدمت أمثالها كثيراً .

٤ ـ الحذف فقد حذف العذاب تكريماً لمقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الأصل موصوف أي عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً

ضعفاً في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل أذقناك أليم الحياة وأليم الممات .

ـ ولابن هشام فصل ممتع عن كاد أورده في الباب السادس من كتابه المغني في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها : « الثامن عشر قولهم إن كاد إثباتها نفي ونفيها إثبات فإذا قيل « كاد يفعل » فمعناه أنه لم يفعل وإذا قيل « لم يكد يفعل » فمعناه أنه فعله ، دليل الأول « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك » وقوله : « كادت النفس أن تفيض عليه » ودليل الثاني « وما كادوا يفعلون » .

وقد اشتهر ذلك بينهم حتى جعله المعري لغزاً فقال :

أنحويّ هـــذا العصر ما هي لفظـة
جرت في لسانيْ جرهـم وثمـــود
إذا استعملت في صورة الجحـد أثبتت
وإن أثبتت قامت مقـام جحـود

والصواب أن حكمها حكم سائر الأفعال في أن نفيها نفي وإثباتها إثبات ، وبيانه : أن معناها المقاربة ولا شك أن معنى « كاد يفعـل » قارب الفعل وأن معنى « ما كاد يفعـل » ما قارب الفعل فخبرها منفي دائماً أما إذا كانت منفية فواضح لأنه إذا انتفت مقاربة الفعـل انتفى عقلاً حصول ذلك الفعـل ودليلـه « إذا أخـرج يـده لـم يكـد يراهـا » ولهـذا كـان أبلـغ مـن أن يقـال « لـم يرهـا » لأن

من لم ير قد يقارب الرؤية وأما إذا كانت المقاربة المثبتة فلأن الإخبار بقرب الشيء يقتضي عرفاً عدم حصوله وإلا لكان الإخبار حينئذ بحصوله لا بمقاربة حصوله إذ لا يحسن في العرف أن يقال لمن صلى قارب الصلاة ، وإن كان ما صلى حتى قارب الصلاة ولا فرق فيما ذكرنا بين كاد ويكاد فإن أورد على ذلك « وما كادوا يفعلون » مع أنهم قد فعلوا إذ المراد بالفعل الذبح وقد قال تعالى « فذبحوها » فالجواب أنه إخبار عن حالهم في أول الأمر فانهم كانوا أولاً بُعداء من ذبحها بدليل ما يتلى علينا من تعنتهم وتكرر سؤالهم ولما كثر استعمال مثل هذا فيمن انتفت عنه مقاربة الفعل أولاً ثم فعله بعد ذلك توهم من توهم ان هذا الفعل بعينه هو الدال على حصول ذلك الفعل بعينه وليس كذلك وانما فهم حصول الفعل من دليل آخر كما فهم في الآية من قوله تعالى فذبحوها » .

أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

اللغــة :

(لدلوك الشمس) أي من وقت زوالها يقال دلكت الشمس أي غربت وقيل زالت واشتقاقه من الدلك لأن الانسان يدلك عينيه عند النظر اليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس المفروضة وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر ، وأصل هذه المادة أي ما كانت فاؤه وعينه دالاً ولاماً يدل على التحول والانتقال فالدلبة واحدة الدُّلب وهو شجر عظيم الورق لا زهر له ولا ثمر وهي تتسامى صعداً في الجو كأنها انتقلت من الأسفل الى الأعلى ومنه قولهم : « هو من أهل الدَّرْبة ، بمعالجة الدُّلبة » ومنه تتخذ النواقيس أي هو نصراني • وسقى أرضه بالدَّوْلاب بفتح الدال وهم يسقون بالدواليب وهي تستعمل لنقل المياه من مكان الى مكان لسقاية الأرض ودلج من الدلجة وهي سير الليل والانتقال فيه من مكان الى آخر ودلج ومنه وكَفَتْ عيناه وكيف غَرْبَيْ دالج وهو الذي يختلف بالدلو من البئر الى الحوض وبات لبلته يدلّج دلوجاً قال :

كأنها وقد براها الإخماسْ ودَلَجُ الليل وهادٍ قيّاس

شرائح النبع براها القوّاس

ودلح بالحاء المهملة إذا مشى مشياً متثاقلاً ودَلْدَلَ أعضاءه دلدلة أي حركها في المشي وتدلدل في مشيه اهتز واضطرب ، ودلس الظلام معروف وخرج في الدَّلَس والغَلَس ودلّس المحدّث في حديثه أتى فيه بغير الراهن كأنما انتقل من واقعة الى واقع آخر ومنه تدليس البائع يكتم المساوىء فيما يبيعه ويظهر المحاسن وأرض دلصتها السيول

انتقلت بها من حال الى حال فجعلتها ملساء ومنه درع دلاص قال أبو الطيب :

لأمـة فاضة أضاة دلاص أحكمت نسجها يدا داوود

ودلع وأدلع لسانه أخرجه من فمه ودلع بنفسه واندلع خرج واسترخى من كرب أو عطش كما يدلع الكلب ومن المجاز : اندلع السيف من غمده واندلق ، واندلعت ألسنة النيران والمُدلَّع المتربي في العز والنعمة والاسم الدلاعة وهو من كلام العامة فهو عامي فصيح ، ودلف إذا مشى مشي المقيد يقال دلف الشيخ والمقيّد دليفاً ودُلوفاً وهو فوق الدبيب وشيخ دالف وعجائز دوالف قال طرفة :

لا كبير دالف من هرمٍ أرهبُ الناس ولا كلُّ الظفر

وجاء يدلف بحمله لثقله . ودلق عليهم السيل ودلقت عليهم الخيل واندلقت ، ودلقوا عليهم الغارة شنوها ودلق البعير شقشقته أخرجها ، وضربه فاندلقت أقتاب بطنه ، ودلك الشيء مرسه بيده وقد تقدم ودله على الطريق وهو دليل المفازة ، ودلت تدلُّ وهي حسنة الدل والدلال ، أي أخرجت كل ما لديها من مفاتن جسمية لتستهوي بها الآخرين ودله فلان دلهاً تحير وذهب عقله من هم أو عشق ففيه انتقال معنوي وأدليت دلوي في البئر أرسلتها فيها ودلى رجليه من السرير وتدلت الثمرة من الشجرة همت بالانتقال منها وأدلى بحقه وبحجته أحضرها فكأنه نقلها الى مكان النقاش ويطول بنا القول إن رحنا تتقصى مافي هذه المادة العجيبة .

(غسق الليل) :الغسق الظلمة وقيل دخول أول الليل قاله النضر بن شميل وقيل هو سواد الليل وظلمته وأصله من السيلان يقال :

غسقت العين أي سال دمعها فكأن الظلمة تنصب على العالم وتسيل عليهم وفي الأساس : « يقولون من الغسق الى الفلق وهو دخول أول الليل حين يختلط الظلام وقد غسق الليل يغسق غسقاً ، وبنو تميم على أغسق ، قال ابن قيس :

إن هذا الليـــل قد غسقا ‏ ‏ ‏ واشتكيت الهـــمّ والأرقا

وقال جساس :

أزور إذا ماأغسق الليل خلتي ‏ ‏ ‏ حذار العدى أو أن يرجّم قائل

(فتهجّد) : الهجود ترك النوم للصلاة وفيه خلاف بين أهـــل اللغة فقيل هو النوم وقيل الهجود مشترك بين النائم والمصلّي وقال ابن الأعرابي تهجد صلى من الليل وتهجد نام وهو قول أبي عبيد والليث ووزن تفعّل يأتي للسلب نحو تحرّج وتأثم وتحوّب وفي الأساس : وهجد الرجل هجوداً وتهجّد : ترك الهجود للصلاة (فتهجد به) وبات فلان متهجداً : متوحداً ، وهجّدنا مكّنا من الهجود قال لبيد :

قال هجّدنا فقد طال السّرى ‏ ‏ ‏ وقدرنا إن خنى الدهر غفـــل

وفي القاموس والتاج : « الهجود النوم بالنهار والهجوع النوم بالليل والتهجد صلاة الليل » .

(نافلة) : زائدة .

الإعراب :

(أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل) أقم الصلاة فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ومفعول به ولدلوك في هذه اللام وجهان

أحدهما أن تكون بمعنى بعد أي بعد دلوك الشمس كقولهم كتبت كتابي لثلاث خلون وستأتي معاني اللام في باب الفوائد والثاني أن تكون على بابها أي لأجل دلوكها وقد انتفى اتحاد الوقت واتحاد الفاعل في أقم الصلاة لدلوك الشمس ، ففاعل القيام المخاطب وفاعل لدلوك هو الشمس ، وزمنهما مختلف فزمن الاقامة متأخر عن زمن الدلوك فلذلك جر بلام التعليل، وقيل هي لابتداء الغاية وان في الكلام حذف مضاف،والجاروالمجرور متعلقان بأقم على كل حال. والى غسق الليل فيه وجهان أحدهما أن تعلقه بأقم أيضاً لانتهاء غاية إقامة الصلاة والثاني انه متعلق بمحذوف حال من الصلاة أي أقمها ممتدة إلى غسق الليل . (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) الواو عاطفة وقرآن عطف على الصلاة أو نصب على الإغراء فالأول معناه وأقم صلاة الصبح عبّر عن الصلاة بالقراءة وهي أحد أركانها والثاني معناه وعليك قرآن الفجر أي الزمه والأول أقل تكلفاً كما انه لم يسمع إضمار أسماء الأفعال وهي عاملة وجملة إن قرآن الخ تعليل للأمر وإن واسمها وجملة كان مشهوداً خبرها ، ومشهوداً خبر كان واسمها مستتر تقديره هو . (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) الواو عاطفة ومن الليل متعلقان بتهجد أي تهجد بالقرآن بعض الليل ولك أن تعلقهما بمحذوف أي قم قومة من الليل وقال الحوفي من متعلقة بفعل دل عليه معنى الكلام تقديره واسهر من الليل بالقرآن ، والفاء عاطفة وتهجد فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبه متعلقان بتهجد ونافلة حال ولك صفة لنافلة أي صل حال كون الصلاة نافلة لك ويجوز أن تكون نافلة مصدراً كالعافية والعاقبة فتكون مفعولاً مطلقاً والمعنى فتنفل نافلة ولا أدري كيف أعربها بعضهم مفعولاً لتهجد وهو فعل لازم إلا أن يقال انه ضمنه معنى أعبد وما أغنانا عن ذلك . (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) عسى من أفعال الرجاء والرجاء من الله قطعي الوقوع واسم عسى مستتر

وأن يبعثك خبرها وربك فاعل يبعثك أو المسألة من باب التنازع ومقاماً نصب على الظرف أي يبعثك في مقـام أو مفعول مطلق لأن يبعثك هنا معناها يقيمك أو حـال أي يبعثك ذا مقام ومحموداً صفة مقامـاً • (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) رب منادى محذوف منه حرف النداء وأدخلني فعل دعاء وفاعل مستتر والياء مفعول به ومدخل صدق مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي وإضافته لصدق من إضافة الموصوف الى صفته أو للبيان وأخرجني مخرج صدق عطف على الجملة المماثلة • (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) واجعل عطف على أدخلني وأخرجني ولي مفعول ثان لاجعـل وسلطاناً مفعول أول لاجعل ونصيراً صفة ومن لدنك حال لأنه كان صفة لسلطاناً أو متعلق بما تعلق به الأول • (وقـل جاء الحق وزهق الباطـل) أي قل عند دخولك مكة فاتحاً وجملة جاء الحق مقول القول وزهق الباطل عطف عليه • (إن الباطل كان زهوقاً) ان واسمها وجملة كان خبرها وزهوقاً خبر كان •

البلاغـة :

في قوله « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً » • فن التذييل وهو أن يذيل الناظم والناثر كلامـه بعـد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتجري منه مجرى المثل لزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غـير تحقيق الكلام الأول وتوكيده وهذه الآية من أعظم الشواهد عليه فالجملة الأخيرة هي

التذييل الذي خرج مخرج المثل السائر ومن شواهده في النظم قول النابغة الذبياني :

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه على شعث أيّ الرجال المهذّب

أي المنفي الفعال المرضي الخصال فصدر البيت دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال وعجزه تأكيد لذلك وتقرير لأن الاستفهام فيه للانكار أي لا مهذب في الرجال وقد اتفق علماء البديع على ان قوله : أي الرجال المهذب ، من أحسن تذييل وقع في شعر لأنه خرج مخرج المثل ومن ثم قالوا ان النابغة كان أشعر الناس بربع بيت •

الفوائد :

١ ـ تحققت البشارة ، وأتى أمر الله ودخل محمد مكة فاتحاً ، كما هو معروف في تاريخ السيرة ، وقال جبريل لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما نزل بهذه الآية يوم الفتح : خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنماً صنماً وهو ينكث بالمخصرة في عينه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً وبقي منها صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال : يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره إلى آخر هذه القصة الفريدة •

٢ ـ معاني اللام الجارة :

أورد ابن هشام في مغني اللبيب أن للّام الجارة اثنين وعشرين معنى واكتفى غيره بذكر اثني عشر معنى فقط وأنكر أن يكون لها هذه المعاني الأخرى وفيما يلي تلخيص مفيد لذلك :

١ ـ الملك نحو «لله ما في السموات» .

٢ ـ شبه الملك . وجعل ابن هشام هـذا القسم قسمين وهما الاختصاص نحو : السرج للدابة والاستحقاق وهي الواقعة بين معنى وذات نحو «العزة لله» والأمر لله .

٣ ـ التعـدية الى المفعول به نحو «فهب لي من لـدنك ولياً» ورجح ابن هشام وغيره أن يمثل لها بنحو : ما أضرب زيداً لعمرو لأن ضرب متعد في الأصل ولكنه لما بني منه فعل التعجب نقل الى فعل بضم العين فصار لازماً فعدي بالهمزة إلى زيد وباللام الى عمرو .

٤ ـ التعليل كقول أبي صخر الهذلي :

وإني لتعروني لـذكراك هزة كما انتفض العصفور بلّله القطر

أي لأجل ذكري إياك .

٥ ـ التوكيد وهي الزائدة وهي أنواع منها :

آ ـ اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله كقول ابن ميادة الرماح يمدح عبد الملك بن مروان :

وملكت ما بين العراق ويثرب ملكاً أجـار لمسلم ومعاهـد

أي أجار مسلماً ومعاهداً .

ب ـ ومنها اللام المقحمة بين المتضايفين كقول زهير بن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحيـاة ومن يعش

ثمانـين حولاً لا أبا لك يسـأم

والأصل لا أباك موجود وهو تعبير يحتمل المدح والذم وانجرار ما بعدها بالاضافة •

حـ ـ ومنها لام المستغاث ، فإنها زائدة عند المحققين بدليل صحة اسقاطها •

٦ ـ تقوية العامل الذي ضعف إما بكونه فرعاً في العمل كالمصدر واسمي الفاعل والمفعول وأمثلة المبالغة نحو« مصدقاً لما معهم» ونحو « فعّال لما يريد » واما بتأخره عن المعمول نحو « إن كنتم للرؤيا تعبرون » والأصل إن كنتم تعبرون الرؤيا فلما أخر الفعل وقدم معموله عليه ضعف عمله فقوي باللام وجعلها ابن هشام في المغني زائدة والأصح أنها ليست كذلك •

٧ ـ موافقة « الى » أي لانتهاء الغاية نحو « كلٌ يجري لأجل مسمى » أي الى أجل مسمى •

٨ ـ القسم وتختص بالجلالة لأنها خلف عن التاء نحو : لله لا يؤخر الأجل •

٩ ـ التعجب نحو : لله درك أي ما أكثر درك وأكثر ما تستعمل في النداء كقول امرىء القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

١٠ ـ الصيرورة أو العاقبة أو المآل نحو « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً » وقول أبي العتاهية :

لدوا للموت وابنوا للخراب

فإن الموت ليس علة للولد والخراب ليس علة للبناء ولكن صار

عاقبتهما ومآلهما الى ذلك وأنكرها الزمخشري وقـال : والتحقيق انها لام العلة وان التعليل فيها وارد على المجاز دون الحقيقة » •

١١ـ البعدية نحو « أقم الصلاة لدلوك الشمس » وقد تقدم ذكرها لأن الوقت إنما يدخل ونعلمه بالدلوك فلا تقام الصلاة إلا بعد الدلوك وهو ميل الشمس عن الاستواء ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وقول متمم بن نويرة :

فلما تفرقنا كأني ومالكـاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

١٢ـ الاستعلاء أي موافقة على حقيقة نحو « يخرون للأذقان » جمع ذقن أي عليها ومجازاً نحو « وإن أسأتم فلها » أي عليها •

١٣ـ موافقة في نحو « قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو » أي لا يجليها في وقتها إلا هو •

١٤ـ موافقة « عند » كقراءة الجحوري « بل كذبوا بالحق لما جاءهم » بكسر اللام وتخفيف اللام أي عند مجيئه إياهم •

١٥ـ موافقة « مع » كقول متمم بن نويرة الآنف الذكر : فلما تفرقنا الخ •

١٦ـ موافقة « من » نحو سمعت له صراخاً وقول جرير :

لنا الفضل في الـدنيا وأنفك راغم

ونحن لكـم يوم القيامة أفضـل

أي ونحن منكم أفضل •

١٧ـ التبليغ نحو « قـل لعبادي » وضابطهـا أن تجر اسم السامع لقول •

١٨ـ موافقة « عن » اذا استعملت مع القول نحو « وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه » •

١٩ـ التمليك نحو : وهبت لزيد ديناراً •

٢٠ـ التعليل نحو قول امرىء القيس :

ويوم عقرت للعـذارى مطيتي فيا عجباً من كورها المتحمـل

ومنها اللام الداخلة لفظاً على المضارع نحو « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس » وانتصاب الفعل بعدها بأن مضمرة •

٢١ـ توكيد النفي وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقاً بما كان أو بلم يكن نحو « وما كان الله ليطلعكم عـلى الغيب » ويسميها أكثر النحاة لام الجحود •

٢٢ـ التبيين وقد تقـدم ذكرها ونعيدها هنا مفصلة فنقول هي ثلاثة أقسام :

آ ـ ما تبين المفعول من الفاعل وضابطها أن تقع بعد فعل تعجب أو اسم تفضيل مفهمـين حباً أو بغضاً تقول ما أحبني وما أبغضني فإن قلت لفلان : أنت فاعل الحب والبغض وهو مفعولهما وإن قلت : الى فلان فالأمر بالعكس •

ب و ج ـ ما يبين فاعلية غير ملتبسة بمفعولية وما يبين مفعولية غير ملتبسة بفاعلية ومصحوب كل منهما إما غـير معلوم مما قبلهـا أو معلوم لكن استؤنف بيانه تقوية للبيان وتوكيداً له واللام في ذلك كله

متعلقة بمحذوف ، مثال المبينة للمفعولية : سقياً لزيد وجدعاً له ، فهذه اللام ليست متعلقة بالمصدرية ولا بفعليهما المقدرين لانهما متعديان ولا هي مقوية للعامل لضعفه بالفرعية وإنما هي لام مبينة للمدعو له أو عليه •

واختلف في قوله تعالى « هيهات هيهات لما توعدون » فقيل اللام زائدة وما فاعل وقيل الفاعل ضمير مستتر راجع الى البعث والاخراج فاللام للتبيين والبحث في اللام طويل ومرجعه للمطولات •

وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

اللغــة :

(نأى) : النأي بالجانب أن يوليه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك ديدن المستكبرين وفي المصباح : « ونأى نأياً من باب نفع بَعُدَ » ويتعدى بنفسه وبالحرف وهو الأكثر فيقال نأيته ونأيت عنه ويتعدى بالهمزة فيقال أنأيته •

(شاكلته) : مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطريق التي تتشعب منه والمعنى كل

إنسان يعمل حسب جوهر نفسه فإن كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة •

الاعراب :

(وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الواو عاطفة وننزل فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره نحن ومن القرآن حال على أن من للتبيين ويجوز أن تكون لابتداء الغاية أو تبعيضية فهي متعلقة بننزل كما اختار أبو حيان وما مفعول به وهو مبتدأ وشفاء خبر والجملة صلة الموصول ورحمة عطف على شفاء وللمؤمنين متعلقان بشفاء • (ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) الواو حالية ولا نافية ويزيد الظالمين فعل وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر وخساراً مفعول به ثان • (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) الواو حرف عطف واذا ظرف مستقبل وجملة أنعمنا مضافة للظرف وهو فعل وفاعل وعلى الانسان متعلقان به وجملة أعرض لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ونأى عطف على أعرض وبجانبه متعلقان بنأى • (وإذا مسه الشر كان يئوساً) عطف على ما تقدم وجملة مسه الشر مضافة للظرف وجملة كان لا محل لها واسم كان مستتر تقديره هو ويئوساً خبر كان • (قل كلٌ يعمل على شاكلته) كل مبتدأ أي كل أحد وجملة يعمل خبر وعلى شاكلته متعلقان بيعمل • (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) الفاء استئنافية وربكم مبتدأ وأعلم خبره وبمن متعلقان بأعلم وهو مبتدأ وأهدى خبر والجملة صلة وسبيلاً تمييز •

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾

الاعراب :

(ويسألونك عن الروح) الواو استئنافية ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعن الروح متعلقان بيسألونك والضمير يعود على اليهود المتعنتين الذين سألوه تجنياً منهم عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة • (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) الروح مبتدأ ومن أمر ربي خبر أي انه مما استأثر الله بعلمه والواو عاطفة أو حالية وما نافية وأوتيتم فعل ماض مبني للمجهول ومن العلم متعلقان بأوتيتم وإلا أداة حصر وقليلاً مفعول به ثان لأوتيتم أي شيئاً قليلاً بالنسبة الى علمه تعالى وان كان كثيراً في حد ذاته • (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وان شرطية وشئنا فعل ماض وفاعل في محل جزم فعل الشرط واللام جواب القسم وجواب الشرط محذوف أي ذهبنا به على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر استغناء عنه بجواب المتقدم وبالذي متعلقان بنذهبن وجملة أوحينا صلة واليك متعلقان بأوحينا • (ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) ثم حرف عطف ولا نافية وتجد فعل

مضارع مرفوع وفاعله أنت ولك متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لوكيلا وبه متعلقان بتجد وعلينا متعلقان بوكيلاً ووكيلاً مفعول به أي لا تجد من يتوكل علينا باسترداده بعد رفعه .

(إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً) يجوز في هذا الاستثناء أن يكون متصلاً لأن الروح يندرج في قوله وكيلاً أي إلا رحمة فيكون مستثنى أو بدلاً من وكيلاً ويجوز أن يكون منقطعاً . وإلا بمعنى لكن فتعرب رحمة مفعولاً من أجله والتقدير حفظناه عليك للرحمة أو مفعولاً مطلقاً والتقدير لكن رحمناك رحمة ومن ربك صفة لرحمة وان واسمها وجملة كان خبرها وعليك حال لأنه كان صفة لكبيراً وكبيراً خبر كان .

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

الاعراب :

(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) لئن اللام موطئة للقسم وإن شرطية واجتمعت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والانس فاعل والجن عطف على الانس وعلى أن يأتوا : أن ومافي حيزها في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال

أي متظاهرين ومتعاونين وبمثل متعلقان بيأتوا وهذا مضاف لمثل والقرآن بدل . (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) لا يأتون لا نافية ويأتون فعل مضارع مرفوع لأنه جواب القسم المحذوف لتقدمة لا جواب الشرط والواو فاعل وبمثله متعلقان بيأتون ولو : الواو حالية ولو وصلية وكان فعل ماض ناقص وبعضهم اسم كان ولبعض متعلقان بظهيراً وظهيراً خبر كان وجملة لو كان الخ حالية ولهذا التركيب قاعدة نوردها في باب الفوائد . (ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وصرفنا فعل وفاعل وفي هذا متعلقان بصرفنا والقرآن بدل ومن كل مثل صفة للمفعول به المحذوف أي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه . (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً) فأبى عطف على صرفنا وأكثر الناس فاعل وإلا أداة حصر لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفوراً ، وكفوراً مفعول به .

الفوائد :

إذا أتى حرف العطف قبل لو الوصلية كان عاطفاً على مقدر ويكون حذف المعطوف عليه مطرداً لدلالة المعطوف دلالة واضحة عليه ففي قوله تعالى « ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » فالعطف هنا على مقدر أي لايأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان بعضهم ظهيراً لبعض فإن الإتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلأن ينتفي عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور مافي إن ولو الوصليتين من التأكيد ومحله النصب على الحال حسبما عطف عليه أي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الإتيان به فضلاً عن غيرها .

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾

اللغــة :

(ينبوعاً) : الينبوع بفتح الياء عين غزيرة لا ينضب ماؤها وهو يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر وكثرت أمواجه وللنون مع الباء فاء وعيناً للكلمة سرّ عجيب مطرد وهو أنها تدل على الظهور والبروز وقد أحصيناها في جميع تراكيبها فرأيناها لا تنفك عن أداء هذا المعنى : فنبأ معناها ارتفع والنبأ الخبر والنبوءة ، والنبوة الاخبار عن الغيب أو المستقبل ، والنابىء المكان المرتفع المحدودب وسيل نابىء طارىء من حيث لا يدرى وكل شيء يظهر ، قال :

ألا فاسقياني وانفيا عنكما القــذى

وليس القــذى بالعود يسقط في الخمر

ولكن قــذاها كــل أشعث نابىء
أتتنا به الأقــدار من حيث لا ندري

ونبّ التيس نبأ : صاح عند الهياج وليس أظهر من ذلك ورمح مطرد الأنابيب وشرب من أنبوب الكوز وله أنبوب من نخل وغيره، قال:

أو من مشعشعة ورَهْاء نشوتهــا
أو من أنابيــب رمّان وتفّــاح

ونبت المكان صار ذا نبت ظاهر وظهر النبت والنبات في الأرض والنابتة مؤنث النابت والناشئة من الأولاد والأنعام ونبث التراب من الحفرة استخرجه ، ونبثوا عن الأمر : بحثوا عنه ولا يزالون يتنابثون عن الأســرار ويتباحثون عن الأخبــار والانبوثة بضم الهمزة : لعبــة للصبيان يدفنون شيئاً في حفيرة فمن استخرجه غلب ، وانه لنفّاج نبّاج ليس معه إلا الكلام ، ونبحته الكلاب معروفة واستنبح الضيف الكلاب عند ظهوره ، قال الأخطل وهو أهجى بيت :

قوم إذا استنبــح الأضياف كلبهــم
قالوا لأمهــم : بولي عــلى النار

ونبذ الشيء من يده طرحه ورمى به وصبي منبوذ والتقط فلان منبوذاً ونبذ أمري وراء ظهره ونبذ النبيذ وهو أن يلقي الثمر في الجرّ وغيره ، والنبيذ التمر المنبوذ والخمر المعتصر من العنب وغــيره وجمعه أنبذة والنبّاذ بائع النبيذ ، ونبر الغلام ترعرع ونبر المغنّي رفع صوته بعد خفض ونبر الحرف همزه والمنبر محل مرتفع يرتقيــه الخطيب أو

الواعظ يكلم منه الجمع سمي بذلك لارتفاعه وكسرت الميم على التشبيه بالآلة والجمع منابر ، والنبز اللقب ونبزه بكذا لقبه ليعرف به وهو شائع في الألقاب القبيحة ، ونبس بالمجلس ونبّس تكلم وأكثر استعماله بعد النفي يقال : ما نبس بكلمة وتقول كلّمته فعبس وما نبس ، ونبش الشيء المستور أبرزه وأظهره ونبش الكنز من الأرض كشفه واستخرجه وهو ينبش الأسرار ، قال :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا

لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

وهو ينبش لعياله ويحترش إذا استخرج رزقهم من هنا وهنا واحتال ، واتبش العروق من الأرض استخرجها قال الكميت :

موتهنّ اتباشهن من الأر ض ويحيين ما سكنّ القبورا

أي ما دامت العروق تحت الأرض كانت حية فإذا انتبشت ماتت ، والنبّاش فعال للمبالغة الذي ينبش القبور ، ونبص الغلام بالطائر والكلب وهو أن يضمّ شفتيه ويدعوه ، ونبض عرقه نبضاً ونبضاناً وتقول : رأيت وَمْضة برق كنبضة عرق ، ونبط الماء نبع ، واستنبط البئر أخرج ماءها واستنبط العرب صاروا نبطاً ، قال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن بُقَيْلة : أعرب أنتم أم نبيط ؟ فقال : عرب استنبطنا ونبيط استعربنا ، وقال أبو العلاء المعري :

أين امرؤ القيس والعذارى إذ مال من تحته الغبيطُ

إستنبط العُرب في الموامي بعدك واستعرب النبيطُ

وتقدم القول في النبع والينـوع ونبغ الشيء خرج وظهر ونبغ الرجل : قال الشعر وأجاده ويقال إن النابغة قال الشعر على كبر سنـه فأجاد فسمي النابغة وقيل بل لقوله :

وحلت في بني القَـيْن بن جسـر
فقـد نبغت لنا منهـم شئون

وهو نابغة من النوابغ ونبـغ في العلم وفي كـل صناعة . ونبق الشيء ينبقُ ظهـر والنّبْق والنّبِق والنِّبْق والنَّبق : حَمْل شجر السدر الواحدة نَبِقة وعن بعض العرب : ان النبق ليعجبني وان النّبق ني لمؤذ وفي الحديث « ونبقها كقـلال هجر » ، ووقعنا في نَبَك من الأرض ونباك جمـع نبكة وهي الأكمة المحـددة الرأس ونبك المكان ارتفع وهضاب نوابك ، قال ذو الرمة :

طواهن تغـويري إذا الآل أرفلـت
به الشمسُ أُزر الحزْورات النوابك

ونبُل الرجل كان ذا نبالة وفضل ظاهرتين ورجل نابل ونبّال معه نبل قال امرؤ القيس :

أيقتلـني والمشرفيّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وليس بذي رمح فيطعنني به وليس بذي سيفوليس بنبّال

ورجل تِنبال : قصير ، ونبه ينتبه للأمر فطن له وكان ذا نباهـة وشرف ، ونبا السيف عن الضريبة نُبُوّاً ونَبْوة وسيف ناب ولكل صارم نبوة ، قال :

أنا السيف إلا أن للسيف نبوةً ومثلي لا تنبو عليك مضاربه

وقد رمق سماء هذا المعنى حافظ ابراهيم فقال :

لا تلـم كفي إذا السيف نبا صحّ مني العـزم والدهـر أبى

(كسفا) : قطعاً يقال : كسفت الثوب قطعته وقال الزجاج كسف الشيء بمعنى غطاه قيل ولا يعرف هذا لغيره وفي الأساس : « وهـذه كِسفة وكِسْف وكِسَف من السحب وأعطـني كسفة من الثوب : قطعـة » .

(قبيلا) : كفيلاً بما تقول شاهـداً بصحته وقيل مقابلة وعياناً وقيل هو جمع قبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون بصحة ما تقول واللغة تحتمل الجميع .

(زخرف) ذهب وهو المراد هنا ولها معان شتى منها حسن الشيء وزخرف الكلام أباطيله المموهة وزخرف الأرض ألوان نباتها والجمع زخارف وزخرف الشيء حسنه وزينه ، والكلام موّهه بالكذب .

الاعراب :

(وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل ولن حرف نفي ونصب واستقبال ونؤمن نصب بها وفاعل نؤمن مستتر تقديره نحن ولك متعلقان بنؤمن وحتى حرف غاية وجر وتفجر فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعـد حتى ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ومن الأرض متعلقان بتفجر وينبوعاً

مفعول به • (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً) أو حرف عطف وتكون عطف على تفجر وهو المطلب الثاني من مطالبهم الستة• ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكون المقدم ، وجنة اسمها المؤخر ، فتفجر : الفاء عطف وتفجر عطف على تكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والأنهار مفعول به وخلالها ظرف متعلق بمحذوف حال أي كائنة خلالها وتفجيراً مفعول مطلق • (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) أو حرف عطف وتسقط عطف على ما تقدم وهو المطلب الثالث والسماء مفعول به والكاف حرف جر أو اسم بمعنى مثل وهي مع ما المصدرية المؤولة بمصدر نعت لمصدر محذوف أو نصب على الحال وعلينا متعلقان بتسقط وكسفاً حال من السماء والاشارة الى قوله تعالى « إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء » • (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) وهذا هو المطلب الرابع من مطالبهم المتعنتة وبالله متعلقان بتأتي والملائكة عطف على الله وقبيلاً حال من الله والملائكة وقد تقدم معناها في باب اللغة • (أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء) وهذان هما المطلبان الخامس والسادس • ولك خبر يكون المقدم وبيت اسم يكون المؤخر ومن زخرف متعلقان بمحذوف صفة لبيت أو حرف عطف وترقى عطف على ما تقدم وبه تكتمل المطالب الستة المتعنتة وفي السماء جار ومجرور متعلقان بترقى ومعنى الرقي الصعود في السماء • (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) الواو عاطفة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ونؤمن منصوب بها وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن ولرقيك متعلقان بنؤمن وحتى حرف غاية وجر وتنزل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وعلينا متعلقان بتنزل وكتاباً مفعول به وجملة نقرؤه نعت لكتاباً أو حال مقدرة من نا في علينا • (قل سبحان

ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) قل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت أي قل في الرد على العناد واللجاج وسبحان ربي مفعول مطلق والجملة مقول القول ومعناها التعجب من هذا اللجاج وتنزيه الله سبحانه عن أن يشاركه أحد في قدرته وهل حرف استفهام معناه النفي والانكار وكنت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وإلا أداة حصر وبشراً خبر كنت أو حال ورسولاً نعت أو خبر كنت .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

الاعراب :

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية ومنع فعل ماض والناس مفعول به مقدم وأن ومافي حيزها في محل نصب مفعول به ثان لمنع وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بمنع أي وما منع الناس الايمان وقت مجيء الهدى وجملة جاءهم الهدى مضاف اليها الظرف . (إلا أن قالوا : أبعث الله بشراً رسولاً) إلا أداة حصر وأن ومافي حيزها في محل رفع فاعل منع والهمزة للاستفهام الانكاري وما أنكروه هو المنكر ، وبعث الله فعل وفاعل وبشراً حال من رسولاً لأنه كان نعتاً له وتقدم عليه كما هي القاعدة ورسولاً مفعول به . (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون

مطمئنين) قل فعل أمر ولو شرطية وكان فعل ماض ناقص وفي الأرض متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وملائكة اسمها المؤخر وجملة يمشون صفة لملائكة ومطمئنين حال ويجوز في كان التمام وملائكة هي الفاعل (لنزّلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) اللام واقعة في جواب لو ونزّلنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بنزلنا ومن السماء متعلقان بنزلنا أيضاً وملكاً حال من رسولاً ، ورسولاً مفعول نزلنا . (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) كفى فعل ماض والباء حرف جر زائد والله مجرور بالباء لفظاً وهو فاعل كفى محلاً وشهيداً تمييز وبيني الظرف متعلق بشهيداً وبينكم عطف على الظرف الأول. (إنه كان بعباده خبيراً بصيراً) إن واسمها وجملة كان خبرها وخبيراً بصيراً خبران لكان .

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

الاعراب :

(ومن يهد الله فهو المهتـدي) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم ليهد ، ويهد فعل الشرط والله فاعل فهو الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية وهو مبتدأ والمهتدي خبره وتحذف الياء في رسم المصحف وجملة هو المهتدي في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من على الأصح • (ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) الواو عاطفة والجملة معطوفة على سابقتها ولهم متعلقان بأولياء ومن دونه حال • (ونحشرهم يوم القيامة عـلى وجوههم عمياً وبكماً وصماً) ونحشرهم الواو استئنافية ونحشرهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ويوم القيامة متعلق بنحشرهم وعلى وجوههم حال من الهـاء في نحشرهـم وعمياً وما عطف عليـه أحوال أيضاً • (مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً) مأواهم جهنم جملة مستأنفة مؤلفة من مبتدأ وخبر وكلما ظرف متضمن معنى الشرط وقد تقدم وهو متعلق بالجواب وهو زدناهم وسعيراً مفعول به ثان وجملة كلما خبت حال من جهنم • (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) ذلك اسم اشارة مبتدأ وجزاؤهم خبره وبأنهم أن ومافي حيزها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بجزاؤهم ويجوز أن يكون جزاؤهم بـدلاً من ذلك وبأنهـم هو الخبر وجملة كفروا خبر أن وبآياتنا متعلقـان بكفروا (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقـاً جـديداً) الهمزة للاستفهام الانكاري وإذا ظرف مستقبلوكنا عظاماً كان واسمها وخبرها ورفاتاً عطف على عظاماً والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبر إنا وخلقاً حال وجديداً نعت ولك أن تجعـل خلقاً مفعولاً مطلقاً من معنى الفعل أي نبعث بعثاً جديداً •

(أولم يروا أن الله الــذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) الهمزة للاستفهام الانكاري للرد على إنكارهم ، والواو عاطفة على محذوف وقد تقدم تحقيقه كثـيراً وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا والــذي صفــة لله وجملة خلق السموات والارض صلة وقادر خبر أن وعلى أن متعلقان بقادر ومثلهم صفة للمفعول المحذوف أي خلقاً مثلهم وتقرير ذلك أن مثل الشيء مساوياً له في حاله فجاز أن يعبر به عن الشيء نفسه • (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) الواو عاطفة وجعل معطوف على أولم يروا لأنه في تقدير قد رأوا والمعنى قد علموا بالدلائل العقلية أن من قدر على خلق السموات والأرض هو قادر على خلق أمثالهم وجعل أجل لهم ، ولهم متعلقان بمحذوف مفعول جعل الثاني وأجلاً مفعول جعل لأول ولا ريب فيه الجملة صفة لأجلاً ولا نافية للجنس وريب اسمها المبني على الفتح وفيه خبرها • (فأبى الظالمون إلا كفوراً) تقدم تقريره قريباً فجدد به عهداً • (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) لو شرطية وحقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من تقدير فعل يفسره ما بعده أي لو تملكون فلما أضمر عــلى شريطة التفسير انفصل الضمير فأنتم تأكيد للفاعل المستتر في الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعــده وسيأتي بحث ذلك مفصلاً في باب الفوائد • وغلط من أعرب أنتم فاعلاً لأن ضمير المخاطب لا يجوز إظهاره وجملة تملكون مفسرة لا محل لها وخزائن رحمة ربي مفعول به •

(إذن لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتوراً) اذن حرف جواب وجزاء مهمل ، ولأمسكتم اللام واقعة في جواب لو والجملة لا محل لها وخشية الانفاق مفعول لأجله والواو حالية وكان الانسان قتوراً كان واسمها وخبرها والجملة نصب على الحال وسيرد تقرير هذا المعنى في باب الفوائد •

الفوائـد :

١ ـ « لو » والاسم بعدها :

تقدم القول في غير موضع من هذا الكتاب أن الشرط لا يكون إلا بالأفعال لأنك تعلق وجود غيرها على وجودها والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود شيء على وجودها ولذلك لا يلي حرف الشرط إلا الفعل ويقبح أن يتقدم الاسم فيه على الفعـل ، ولو داخلة في هذا التحديد وإذا وقع بعدها الاسم وبعده الفعل فالاسم محمول على فعل قبله مضمر يفسره الظاهر وذلك لاقتضائها الفعل دون الاسم ومن كلام حاتم « لو ذات سوار لطمتني » على تقدير لو لطمتني ذات سوار .

٢ ـ معنى « وكان الانسان قتورا » :

أورد بعض المتعنتين سؤالاً اعترض فيه على قوله تعالى « وكان الانسان قتوراً » وقال على طريق التعنت والجدل اللفظي : كيف يصح هذا السلب الكلي ؟ وكيف يكون عمـوم الجنس الانساني ممسكاً بخيلاً ونحن نرى من بني الانسان الجواد الكريم ؟ والجواب في غاية البساطة وهو أن بناء أمر الانسان في الأصل قائم على الحاجة والبخل بما يحتاج إليه للحفاظ عـلى ما فيه قوام معيشته وملاك أمره وكسب الذكر الجميل والثناء العطر غاية لما يبذله حتى أن من بينهم ـ كما قال المعترض ـ لا الجواد الكريـم فحسب بل الـذي يرى بذل النفس والنفيس على حد قوله :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بهـا
والجود بالنفس أقصى غايـة الجود

٣ ــ ذهب بعض المتأخرين من النحاة الى قياس إذاً الظرفية على إذ في إلحاق التنوين بها و « إذاً » ذا حذفت الجملة التي تضاف هي اليها عوض عنها التنوين كقوله تعالى « وإذاً لآتيناهم » و « اذاً لأمسكتم » و « إذاً لأذقناك » و « إذاً لا يلبثون » و « إنكم إذاً لمن المقربين » قالوا وليست إذاً في هذه الأمثلة الناصبة للمضارع لأن تلك تختص به ولذا عملت فيه ولا يعمل إلا ما يختص وهذه لا تختص به بل تدخل على الماضي وعلى الاسم وممن ذكر هذا الكافجي وأبو حيان في تذكرته والزركشي في البرهان وما نحسبه بعيداً قالوا « وتقول لمن قال أنا آتيك إذاً أكرمك » بالرفع على معنى إذا أتيتني أكرمتك فحذف أتيتني وعوض التنوين من الجملة فسقطت الألف لالتقاء الساكنين .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

اللغـــة :

(بصائر) : عبر وبينات جمع بصيرة قال قس بن ساعدة الإيادي :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر

وله فراسة ذات بصيرة وذات بصائر وهي الصادقة ورأيت عليك ذات البصائر قال الكميت :

ورأوا عليك ومنك في المـهد النهى ذات البصائر

(مثبوراً) هالكاً أو مصروفاً عن الخير وفي المصباح : « وثبر الله الكافر ثبوراً من باب قعد أهلكه وثبر هو يتعدى ويلزم » .

(لفيفاً) : قيل هو مصدر لف يلف لفيفاً نحو النذير والنكير من لف الشيء يلفه لفاً والألف المتداني الفخذين أو عظيم البطن وقيل هو اسم جمع لا واحد له من لفظه والمعنى جئنا بكم جميعاً .

الاعراب :

(ولقـد آتينا موسى تسع آيات بينات) الواو استئنافية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وآتينا فعل وفاعل وموسى مفعول به أول وتسع آيات مفعول به ثان وبينات صفة للعدد فهي منصوبة أو صفة للمعدود فهي مجرورة وقد تقدم ذكر هذه الآيات وما فيها من خلاف ونوجزها هنا في رواية ابن عباس قال : هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي تنتق على بني إسرائيل وعن الحسن

هي الطوفان والسنون ونقص الثمـرات مكان الحجر والبحر والطور وقيل غير ذلك مما لا علاقه له بكتابنا هـذا • (فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون : إني لأظنك يا موسى مسحوراً) الفاء الفصيحة إذا كان الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لموسى فتكون عاطفة على قول محذوف أي فقلنا له اسأل بني إسرائيل أي اسأل فرعون، وبني إسرائيل مفعول ثان وإذ ظرف لما مضى متعلق بآتينا عـلى الأول وبالقول المقدر على الثاني وجملة جاءهـم مضافة إليها الظرف فقال له عطف على مقدر أي إذجاءهم وبلغهم الرسالة ، فقال له فرعون فعل وفاعل وله متعلقان بقال ، وإني ان واسمها واللام المزحلقة وأظنك فعل مضارع وفاعل مستتر تقـديره أنا ومفعول به ويا موسى يا حرف نداء وموسى منادى مفرد علم ومسحوراً مفعول به ثان أي سحرت فخولط عقلك واختـل كلامك • (قال لقـد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) قال فعل ماض وفاعله مستتر أي موسى واللام جواب للقسم المحذوف وعلمت فعل وفاعل وما نافية وأنزل فعل ماض وهؤلاء مفعول به أي الآيات التي جئت بها وإلا أداة حصـر ورب السموات والارض فاعل وبصائر حال أي أنزلها بصائر وإنما احتجنا الى هـذا التقدير لأن ما بعد إلا لا يكون معمولاً لما قبلها وأجازه بعضهم فهي حـال من هؤلاء • (وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجملة أظنك خبر إن ويا فرعون نداء ومثبوراً مفعول ثان لأظنك • (فأراد أن يستفزهم من الارض) الفاء عاطفة وأراد فعل وفاعل مستتر أي فرعون وأن ومافي حيزها مصدر مؤول مفعول أراد ومن الارض متعلقان بيستفزهم • (فأغرقناه ومن معه جميعاً) الفاء عاطفة وأغرقناه فعل وفاعل ومفعول به ومن الواو واو المعية ومن مفعول معه ويجوز عطفه على الهاء وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد ومعه

ظرف مكان صلة من وجميعاً حال • ﴿ وقلنا من بعـده لبني إسرائيل ﴾ وقلنا عطف على ما تقدم ومن بعده حال ولبني إسرائيل متعلقان بقلنا • ﴿ اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ جملة اسكنوا مقول القول والارض مفعول به على السعة وقد تقدم تفصيل ذلك فإذا الفاء عاطفة واذا ظرف مستقبل وجاء وعد الآخرة فعـل وفاعل وجملة جئنا لا محل لها وبكم متعلقان بجئنا ولفيفاً حال •

الفوائـد :

حالات المفعول معه :

للمفعول معه خمس حالات :

١ ـ وجوب العطف نحو : كل رجل وعمله ونحو اشترك زيد وعمرو لأن الاشتراك لايتأتى الا من اثنين •

٢ ـ ترجيح العطف نحو : جاء زيد وعمرو ، لأنه الأصل •

٣ ـ وجوب المفعول معه نحو : مالك وزيداً ، لامتناع العطف ، ونحو : مات زيـد وطلوع الشمس لأن العطف يقتضي التشريك وهو باطل هنا •

٤ ـ ترجيح المفعول معه نحو قوله :

فكونوا أنتـم وبني أبيكـم ... مكان الكليتـين من الطحال

ونحو قمت وزيداً ، ففي المثـال الأول يكون المعنى مع العطف كونوا لهم وليكونوا لكـم وذلك خلاف المقصود وفي المثـال الثاني

لا يحسن العطف على الضمير المتصل المرفوع إلا بعد توكيده بضمير منفصل .

٥ - امتناع كليهما نحو :

علفتها تبناً وماء بارداً   حتى غدت همالة عيناها

وقول الآخر :

إذا ما الغانيات برزن يوماً   وزججن الحواجب والعيونا

أما امتناع العطف فلانتفاء المشاركة لأن الماء لا يشاركه التبن في العلف والعيون لا تشارك الحواجب في التزجيج لأن تزجيج الحواجب تدقيقها وتطويلها يقال رجل أزج وامرأة زجاء إذا كانت حاجباهما دقيقين طويلين وأما امتناع المفعول معه فلانتفاء المعية في البيت الأول لأن الماء لا يصاحب التبن في العلف وانتفاء فائدة الاعلام بمصاحبة العيون للحواجب في البيت الثاني إذ أن المعلوم أن العيون مصاحبة للحواجب فلا فائدة في الاعلام بذلك ويجب في ذلك إضمار فعل ناصب للاسم الواقع بعد الواو على أنه مفعول به أي علفتها تبناً وسقيتها ماء بارداً ، وزججن الحواجب وكحلن العيون .

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

اللغـــة :

(مكث) بتثليث الميم أي تطاول في المدة وعلى مهل وتؤدة ولم ترد قراءة بالكسر .

(الأذقان) : جمع ذقن وهو مجتمـع اللحيتين وسيأتي تفصيل واسع في باب البلاغة .

(تخافت) : تسر ، يقال خفت الصوت من بابي ضرب وجلس إذا سكن ويعدى بالباء فيقال خفت الرجـل بصوته إذا لم يرفعه وخافت بقراءته مخافتــه إذا لم يرفع صوته بهـا وخفت الزرع ونحوه مات فهو خافت .

الاعراب :

(وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الكلام هنا مرتبط بما تقدم من كلامه تعالى عن القرآن وقوله : « قل لئن اجتمعت الانس والجن » الخ على طريق الاستطراد المتبع في أساليب العرب حيث ينتقلون من الصدد الذي هم فيه إلى غيره ثم يعودون إليه ، وعلى كل فالواو استئنافية وبالحق متعلقان بأنزلناه وأنزلناه فعل وفاعل ومفعول به وبالحق متعلقان بنزل فالباء سببية فيهما ولك أن تجعلها للملابسة فيتعلق الجار والمجرور بمحذوف حال أي ملتبساً والحال من المفعول به أو ملتبسين بالحق فالحال من الفاعل وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب البلاغة . (وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً) الواو عاطفة وما نافية وأرسلناك فعل وفاعل ومفعول به وإلا أداة حصر ومبشراً حال ونذيراً معطوف عليه وسيأتي الحديث عن هذا القصر في باب البلاغة . (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) وقرآناً منصوب على الاشتغال بفعل محذوف يفسره ما بعده فتكون جملة فرقناه مفسرة أي جعلنا نزوله مفرقاً منجماً حسب الحوادث والوقائع ومقتضيات الاحوال، ولتقرأه اللام للتعليل وتقرأه مضارع منصوب بأن مضمرة والجار والمجرور متعلقان بفرقناه وفرقناه فعل وفاعل ومفعول به وعلى الناس متعلقان بتقرأه وعلى مكث في موضع الحال من الفاعل أي مترينثاً متمهلاً وشيئاً بعد شيئاً رعاية لمصالح العباد ومعايشهم ، ونزلناه فعل وفاعل ومفعول به وتنزيلاً مفعول مطلق . (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) جملة آمنوا مقول القول والأمر للاحتقار أي سواء علينا إيمانكم أو عدمه فما أنتم بمن يؤبه لهم أو لا تؤمنوا وأو حرف عطف ولا ناهية وتؤمنوا مجزوم بلا . (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون

للأذقان سجداً) ان واسمها وجملة أوتوا العلم صلة والعلم مفعول ثان لأوتوا والأول نائب الفاعل وهو الواو ومن قبله حال والجملة تعليلية للقول على سبيل التسلية له صلى الله عليه وسلم واذا ظرف مستقبل متعلق بيخرون وجملة يتلى مضاف اليها الظرف وعليهم متعلقان بيتلى وجملة يخرون لا محل لها لأنها جواب إذا وللأذقان متعلقان بيخرون وسجداً حال • (ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً) ويقولون عطف على يخرون وسبحان ربنا مفعول مطلق وإن مخففة مهملة واسمها ضمير الشأن وجملة كان خبرها ووعد ربنا اسم كان واللام الفارقة ومفعولاً خبرها • (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً) الجملة معطوفة على سابقتها وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة وجملة يبكون حالية والواو للحال ويزيدهم فعل وفاعل مستتر والهاء مفعول به أول وخشوعاً مفعول به ثان وسيأتي سر هذين الحالين المتتابعين في باب البلاغة • (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سمعوا محمداً يدعو مرة في سجوده ويقول يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمداً ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين اثنين فنزلت ، وجملة ادعوا الله مقول القول والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهي تنصب مفعولين حذف أحدهما استغناء عنه للعلم به ولفظ الجلالة مفعول به وأو للتخيير فهي عاطفة وادعوا معطوف على ادعوا الأولى والرحمن مفعول به أي سموه بهذا الاسم أو بذاك (أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أياً شرطية وهي منصوبة بتدعوا على أنها مفعول مقدم وما زائدة للابهام المؤكد وتدعوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وله خبر مقدم والأسماء مبتدأ مؤخر والحسنى صفة وقيل ما شرطية وجمع بين أداتي الشرط للتأكيد ولاختلاف اللفظين ولا داعي لهذا وستأتي الأسماء

الحسنى في باب الفوائد • (ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً) الواو عاطفة ولا ناهية وتجهر مضارع مجزوم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت نهي عن المجاهرة تفادياً لشتائمهم وهذا من محاسن الأخلاق ولا تخافت عطف على ولا تجهر أي لا تجعلها غير مسموعة لمن خلفك من المصلين وابتغ فعل أمر بني على حذف حرف العلة وبين ظرف متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً وذاك مضاف للظرف والاشارة إلى اثنين وهما المجاهرة والمخافتة ولذلك صح دخول بين ، وسبيلاً مفعول ابتغ • (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) جملة الحمد لله مقول القول والحمد مبتدأ ولله خبر والـذي صفة وجملة لم يتخذ ولداً صلة وترتيب الحمد على عدم اتخاذ الولد لأن من كان هذا وصفه فهو القادر ولا شك على إسباغ النعم وايلائها أما صاحب الولد فهو مستهدف للتلهي بولده عن غيرهم والاشتغال بهم عمن سواهم • (ولم يكن له شريك في الملك) عطف على لم يتخذ ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم وله خبرها المقدم وشريك اسمها المؤخر وفي الملك متعلقان بشريك ونفي الشريك أدعى الى الحمد لعدم وجود المزاحم الذي تتعارض إرادته معه • (ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) عطف على ما تقدم ونفي النصير يدل على الاستغناء وإنما يستغني القوي القادر على زيادة الإنعام ومن الذل متعلقان بولي أي ناصر وكبّره عطف على قل وهو فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به وتكبيراً مفعول مطلق للتأكيد •

البلاغـة :

حفلت خواتم سورة الاسراء بطائفـة من فنون البلاغة نوجزها فيما يلي فأولها :

١ ـ الذكر أو التصريح :

بقوله تعالى « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » فإنه لو ترك الإظهار وعدل عنه الى الإضمار كما يقتضي السياق فقال : وبالحق أنزلناه وبه نزل ، لم يكن فيه من الفخمية ما فيه الآن ويسميه بعضهم بالتصريح ويورد عليه شاهداً قول البحتري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ دد والمجـد والمكارم مثـلا

والمعنى قد طلبنا مثلاً فلم نجده وحذف لأن هذا المدح إنما يتم في المثـل وأما الطلب فكالشيء الـذي يذكر ليبنى عليـه الغرض المطلوب وإذا كان ذلك كذلك فقد قال قد طلبنا مثلاً في السؤدد والمجد فلم نجده ومنه قوله تعالى « قل هو الله أحـد الله الصمـد » فلو ترك الإظهار إلى الإضمار فقـال : قـل هو الله وهو الصمـد ، لم يكن له الوقع الملائم .

٢ ـ فن الاستطراد :

الاستطراد : ذكر الحاتمي في قواعد الشعر : انه نقل هذه التسمية عن البحتري الشاعر وسماه ابن المعتز الخروج من معنى إلى معنى وعرفه غيره بأنه أن يكون المتكلم في غرض من الأغراض يوهم أنه مستمر فيه ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام فقد انتقل سبحانه من كلامه عن القرآن وان الانس والجن عاجزون عن الاتيان بمثله في فصاحته وبلاغته ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، انتقل إلى مافي منطوياته من مثـل وعبر وبصائر وانساق الكـلام إلى تعنت

الكافرين وتماديهم في اللجاج وسدورهم في الغي والمكابرة وطمس الحقائق وإنكار الوقائع ثم أورد شاهداً على ذلك ما لاقاه موسى من مكابرة فرعون وملئه وضرب مثلاً في المغبة التي نالها فرعون ومن معه ثم عاد الى الموضوع الذي شرع فيه وهو كون القرآن نازلاً بالحق واليه هادفاً ومن طريف الاستطراد قول عبد المطلب المشهور :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فإن تسلّت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

فقد استطرد من ذكر المجد إلى النوم وقد استغله الشعراء للهجاء قال بعضهم يهجو شعر خالد الكاتب :

وشادن بالدلال عاتبني ومنيتي في تدلل العاتب
فكان ردي عليه من خجلي أبرد من شعر خالد الكاتب

فما أجمل هذا الاستطراد ، لقد كان يتغزل بالشادن ، وليس ثمة أبرد ممن يعاتب الحلو الجميل ، ويرد عليه إذا تدلل أو عتب ، وان من يتكلف مثل هذا الرد لن يأتي إلا بالبارد من الكلام الذي يشبه شعر خالد الكاتب ، وجميل قول بعضهم يهجو قاضي القضاة منتقلاً من وصف البستان إلى ما هو بصدده قال :

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيراً رأت قاضي القضاة فنفشت أ • ذنابها

وأورد الباخرزي في دمية القصر للظاهر الحرمي هذه الأبيات يهجو فيها مغنياً اسمه البرقعيدي وهي :

وليل كوجه البرْقعيدي ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونه

قطعت دياجيه بنوم مشرّد كعقل سليمان بن فهد ودينه

على أولق فيه التفات كأنه أبو جابر في خبطه وجنونه

إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

٣ ـ القصر وطرقه :

وفي قوله : « وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » قصر إضافي ، والقصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص وينقسم إلى حقيقي وإضافي فالحقيقي ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة لا بحسب الإضافة الى شيء آخر نحو لا كاتب في المدينة إلا علي إذا لم يكن فيها غيره من الكتاب ، والإضافي ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة الى شيء معين نحو ما علي إلا قائم أي أن له صفة القيام لا صفة القعود وكل منهما ينقسم الى قصر صفة على موصوف نحو لا فارس إلا علي وقصر موصوف على صفة نحو وما محمد إلا رسول .

والقصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب الى ثلاثة أقسام قصر إفراد إذا اعتقد المخاطب الشركة وقصر قلب إذا اعتقد العكس وقصر تعيين إذا اعتقد واحداً غير معين .

وللقصر طرق أربع مشهورة وطرق كثيرة غير مشهورة أما الأربع المشهورة فهي :

آ ـ النفي والاستثناء وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة

الاستثناء مثل : لا يفوز إلا المجد فالفوز مقصور والمجد مقصور عليه وهو قصر صفة على موصوف •

ب ـ « انما » ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً وقد تقدم كلام عبد القاهر على انما نحو : انما الحياة تعب فالحياة مقصورة والتعب مقصور عليه وهو قصر موصوف على صفة •

ج ـ العطف بلا أو بل أو لكن فإن كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها نحو : الارض متحركة لا ثابتة وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما نحو ما الارض ثابتة بل متحركة وما الارض ثابتة لكن متحركة •

هـ ـ تقديم ما حقه التأخير وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم نحو على الرجال العاملين تثني •

وهناك طرق أخرى للقصر غير هذه الأربع منها ضمير الفصل نحو علي هو الشجاع ومنها التصريح بلفظ « وحده » الحالية أو ليس غير نحو أكرمت علياً وحده ولكنها لا تعدّ من طرقه الاصطلاحية •

٤ ـ التكرير المعنوي :

وقد تقدم بحث التكرير في اللفظ وهذا التكرير الذي نحن بصدده يتعلق بالمعنى فقد كرر الخرور للذقن وهو السقوط على الوجه لاختلاف الحالين فالأول خرورهم في حال كونهم ساجدين والثاني خرورهم في حال كونهم باكين أو الأول في حالة سماع القرآن أو قراءته والثاني في سائر الحالات ثم عقب الحالين بحال ثالثة وهي

زيادتهم خشوعاً كلما قرءوا وكلما سجدوا فاستوفى بذلك سائر أحوالهم
وهم الكملة الذين أوتوا العلم ومما لا بد من التنويه انه أتى بالحال
الأولى اسماً وهي قوله سجداً للدلالة على الاستمرار وأتى بالحال الثانية
فعلاً للدلالة على التجدد والحدوث فكأنما بكاؤهم يتجدد بتجدد
الأحوال الطارئة والعظات المتتالية وهذا موضع من التكرير مشكل
وتدق معرفته على الاغمار ومما ورد منه حديث حاطب بن بلتعة في غزوة
الفتح وذاك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب والزبير
والمقداد رضي الله عنهم فقال : اذهبوا الى روضة خاخ فإن بها ظعينة
معها كتاب فأتوني به ، قال علي رضي الله عنه : فخرجنا تتعادى بنا خيلنا
حتى أتينا الروضة واذا فيها الظعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو من حاطب بن بلتعة إلى ناس
من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له : ما هذا يا حاطب ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل عليّ إني
كنت امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من
المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني
ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي وما فعلت ذلك
كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « انه قد صدقكم » . فقوله : ما فعلت ذلك كفراً
ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن
يظنه بعض الجهال تكريراً لا فائدة فيه ، فإن الكفر والارتداد عن الدين
سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام وليس كذلك والذي يدل
عليه اللفظ هو اني لم أفعل ذلك وأنا كافر : أي باق على الكفر
ولا مرتداً : أي اني كفرت بعد إسلامي ، ولا رضاً بالكفر بعد الاسلام:
أي ولا إيثاراً لجانب الكفار على جانب المسلمين وهذا حسن حسن

واقع في مكانه ولكن هي مقتضيات الأحوال ومتشعبات لا يرود ثناياها إلا الطلعة المتذوق . ومما ورد شعراً من هذا التكرير المعنوي قول المقنع الكندي ونوردها كاملة لأهميتها :

يعاتبني في الدَّيْن قومي وإنما
ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

أسدّ به ما قد أخلوا وضيعوا
ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدا

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جداً

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وإن ضيعوا غيْبي حفظت غيوبهم
وإن هم هووا عني هويت لهم رشدا

وان زجروا طيراً بنحس تمر بي
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا

ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وليسوا الى نصري سراعاً وان هم
دعوني إلى نصر أتيتهم شدا

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً
وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

فإن كل لحم يؤكل للانسان هو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه أكلاً للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو الاغتياب وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه إهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائناً ما كان وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن الجاهل انه لا فائدة فيه .

الفوائد :

١ ـ الأسماء الحسنى :

« إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة وهي : هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت (أي المقتدر) الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ،

المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الأحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الاول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

٢ ـ الجهر والمخافتة وبيان السبب في ذلك :

بعد أن وجدت قريش أن دخولها في محاورات مع النبي لن يجديها شيئاً بعد أن تكررت هزيمتها أمام الحجج الرائعة والمعاجز الإلهية التي كان يبدهها بها ، وبعد أن شعرت أنه لا قبل لها بتحدي القرآن وسلطانه المقدس على النفوس قرّ رأيها على أن تلجأ الى ضرب آخر من المقاومة السلبية وذلك أن تمتنع تماماً عن سماع القرآن ، روى ابن اسحق : جعلوا إذا جهر الرسول بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له وكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقاً منهم فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع انهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

وروى ابن عباس انما أنزلت هذه الآية « ولا تجهر بصلاتك » الخ من أجل هؤلاء النفر .

واذا كان سادة قريش قد دعوا أهل مكة الى الانصراف عن سماع القرآن فما كانت بهم طاقة على تنفيذ هذا الأمر لما يحسون في أنفسهم من رقة ومن شغف لسماع هذا التنزيل الذي لا عهد لهم به .

وروى ابن اسحق أيضاً :

أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الأخنس أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال له :

ـ أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال :

ـ يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها

وسمعت أشياء ما عرفت معناهـا ولا ما يراد بها ، فقـال له الأخنس :

ـ وأنا والذي حلفت به كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته وقال له :

ـ يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال :

ـ ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وأعطـوا فأعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهـان قالوا هنا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه ، فقـام عنه الأخنس وتركه .

وهكذا كانت قريش في حيرة من أمرها : ترق قلوبهـا وتخشع أفئدتها للقرآن لإدراكها أسراره ونفاذها إلى بيانه وسبرها غوره بيد أن نزاع العصبية وشارات الرياسة وأوضاع الجاهلية كـل ذلك كان يحجبها عن الاسلام. وسيأتي المزيد من هذا البحث الطريف الجليل...

سورة الكهف

مكية وآياتها عشر ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

اللغــــة :

(عوجاً) : جاء في القاموس وغيره من معاجم اللغة : عوج بكسر الواو يعوج بفتحها عَوَجاً العود ونحوه انحنى ، والانسان ساء خلقه فهو أعوج والعِوَج بكسر ففتــح الاسم من عوج والالتواء وعــدم الاستقامة ولم تفرق هذه المعاجم بينهما وفي الأساس : « يقال في العود عَوَج وفي الرأي عِوَج » ففرق بينهما وهذا هو الحق بدليل الآية . فالعوج بكسر ففتح في المعاني كالعَوَج بفتحتين في الأعيــان ، وقال الشهاب في حاشيته عــلى البيضاوي : « يعني أن المكسور يكون فيما لا يدرك بالبصــر بل بالبصيرة والمفتوح فيما يدرك به » وقــال في الكشاف : والعوج بكسر ففتح في المعاني كالعوج بفتحتين في الأعيان . وسيأتي المزيد عنه في باب البلاغة .

(قيماً) : مستقيماً معتــدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيمــاً بمصالح العباد فيكون وصفاً للكتاب بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو قيماً على الكتب السابقة مصدقاً لها شاهداً بصحتها وفي القاموس والتاج واللسان : القيم على الأمر متوليه كقيم الوقف وغيره وقيم المرأة زوجها وأمر قيم مستقيم والديانة القيمة : المستقيمة وفي التنزيل « ذلك دين القيمة » أي دين الأمة القيمة ويتعدى بالباء وبعلى .

(باخع نفسك): مهلكها وقاتلها يقال : بخع الرجل نفسه يبخعها من باب نفــع بخعاً وبخوعاً أهلكهــا وجداً وسيأتي مزيــد بيان لها في باب البلاغة .

(صعيداً) : تراباً أو فتاتاً يضمحل بالريح لا اليابس الذي يرسب.

(جرزاً) بضمتين والجرز الـذي لا نبات فيه فهو حائل البهجة باطل الزينة يقال سنة جرز وسنون أجراز وجرز الجراد الأرض : أكل ما فيها والجروز المرأة الأكول قال الراجز :

إن العجـوز حيـة جروزا   تأكـل كل ليـلة قفيزا

وجرزه الزمان اجتاحه • قال تبع :

لا تسقني بيديك إن لم ألقها   جرزاً كـأن أشاءها مجروز

وفي أمثال العرب : « لن ترضى شانئة إلا بجرزة » وهو يضرب في العداوة وان المبغض لا يرضى إلا باستئصال من يبغضه •

الاعراب :

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) الحمد مبتدأ ولله متعلقان بمحذوف تقديره ثابت لله فهو الخبر والذي نعت وجملة أنزل صلة وعلى عبده متعلقان بأنزل والكتاب مفعول به والواو يجوز أن تكون عاطفة فالجملة معطوفة على أنزل داخلة في حيز الصلة ويجوز أن تكون اعتراضية فالجملة مغترضة بين الحال وهي قيماً وصاحبهـا وهو الكتاب ويجـوز أن تكون حالية فالجملة حـال من الكتاب فتكون قيماً حالاً متداخلة كما سيأتي • (قيماً لينـذر بأساً شديداً من لدنه) اضطربت أقوال النحـاة والمفسرين في اعراب قيماً اضطراباً شديداً وقد وقع اختيارنا على أن تكون حـالاً من الكتاب وجملة ولم يجعل معترضة واختار أبو البقاء أن تكون حالاً من الهاء في له والحال مؤكدة واختار الزمخشري أن تكون منصوبة بفعل مقدر

تقديره جعله قيماً وننقل عبارته لأهميتها : « فإن قلت بم انتصب قيماً ؟ قلت : الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب لأن قوله ولم يجعل معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة ، وتقديره ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة » وقد فطن حفص الى هذا الاضطراب في إعراب قيماً فوقف على تنوين عوجا مبدلاً له ألفا سكتة لطيفة من غير قطع نفس إشعاراً بأن قيماً ليس متصلاً بعوجاً وإنما هو من صفة الكتاب . وصرح أبو حيان في البحر بأن المفرد يبدل من الجملة كقوله تعالى « ولم يجعل له عوجاً قيما » فقيماً بدل من جملة ولم يجعل له عوجاً لأنها في معنى المفرد أي جعله مستقيماً . وهناك أعاريب أخرى ضربنا عنها صفحاً لأنها لا تخرج عن هذا النطاق .

ولينذر اللام للتعليل وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بأنزل وينذر ينصب مفعولين وحذف أولهما وتقديره الكافرين وبأساً مفعول به ثان وشديداً صفة ومن لدنه صفة ثانية أو متعلقان بقوله لينذر . (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ما كثين فيه أبداً) ويبشر عطف على لينذر والفاعل مستتر تقديره هو والمؤمنين مفعول به وجملة يعملون الصالحات صلة وأن وما في حيزها قيل هو مصدر مؤول مفعول به ثان ليبشر على رأي من يرى أن يبشر تتعدى لمفعولين وقيل هو مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بيبشر ولهم خبر ان المقدم وأجراً اسمها المؤخر وماكثين حال من الهاء في لهم أي مقيمين فيه وفيه متعلقان بماكثين وأبداً ظرف متعلق بماكثين أيضاً . (وينذر الذين

قالوا اتخذ الله ولداً) وينذر عطف على لينذر الأولى والذين مفعول ينذر الأول وحذف الثاني وهو الغرض المنذر به لأنه سبق ذكره وهو البأس فيكون في الكلام احتباك وجملة قالوا صلة وجملة اتخذ مقول القول والله فاعل وولداً مفعول به • (ما لهـم به من علم ولا لآبائهم) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير جهالتهم وانهم يقولون مالا يعرفون وما نافية ولهم خبر مقدم وبه متعلقان بعلم ومن حرف جر زائد وعلم مبتدأ مؤخر ولا الواو عاطفة ولا نافية ولآبائهم عطف على لهم • (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً) كبرت فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التأنيث والفاعل ضمير مستتر يعود عـلى مقالتهم المختلقة وهي قولهم اتخذ الله ولداً أي كبرت مقالتهم وكلمة تمييز والكلام مبني على أسلوب التعجب كأنه قيل : ما أكبرها كلمة وجملة تخرج نعت لكلمة ومن أفواههم متعلقان بتخرج ويجوز أن يكون الفاعل ضميراً مفسراً بنكرة وهي كلمة المنصوبة على التمييز فيكون الكلام للـذم المحض ويكون المخصوص بالذم محذوفاً تقديره هي أي الكلمة وكلا الوجهين مستقيم سائغ ، وإن نافية ويقولون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وإلا أداة حصر وكذباً فيه وجهان أظهرهما أنه نعت لمصدر محذوف أي إلا قولاً كذباً ، ويجوز أن يكون مفعولاً به لأنه يتضمن جملة وعليه يتمشى قول دعبل :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... الله يعلم اني لم أقـل فندا
إني لأغمض عيني ثم أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحدا

(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)
الفاء استئنافية ولعل حرف ترج ونصب وهي من أخوات ان والكاف اسمها وباخع خبرها ونفسك مفعول به وعلى آثارهـم متعلقان بباخع

وسيأتي مزيد بيان عنه في باب البلاغة وإن شرطية ولم يؤمنوا فعل الشرط وبهذا متعلقان بيؤمنوا والحديث بدل من اسم الاشارة وأسفاً مفعول لأجله أو على انه مصدر في موقع الحال وجواب الشرط محذوف دل عليه الترجي والتقدير فلا تحزن ولا تذهب نفسك عليهم حسرات .
(إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً) ان واسمها والجملة تعليل للنهي المقصود من الترجي وجملة جعلنا خبر إنا وما موصول مفعول به أول لجعلنا إن كانت بمعنى التصيير وعلى الارض صلة ما وزينة مفعول به ثان لجعلنا وان كانت بمعنى خلقنا فتكون زينةً حالاً ومن العجيب أن يعربها بعضهم مفعولاً لأجله مع أن الزينة ليست من المصادر القلبية مهما أسرفنا في التأويل ، ولها صفة لزينة ولنبلوهم اللام للتعليل ونبلوهم منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بجعلنا وأيهم اسم استفهام مبتدأ والهاء مضاف إليه وأحسن خبر وعملاً تمييز والجملة في محل نصب سادة مسد مفعولي نبلو لأنه في معنى نعلم وقد علق عن العمل بأي الاستفهامية ويجوز أن تكون أي موصولة بمعنى الذي وتعرب بدلاً من الهاء في نبلوهم،والتقدير: لنبلو الذي هو أحسن،وأحسن خبر لمبتدأ محذوف أي هو أحسن والجملة صلة للموصول وتكون الضمة في أي للبناء لأن شرطه موجود وهو أن تضاف ويحذف صدر صلتها أو تكون ضمتها ضمة إعراب على رأي بعض النحاة والضمير في نبلوهم يعود على سكان الارض كما يفهم من سياق الكلام أو على ما ولكنه بعيد لأنه يحتاج إلى تأويل ما بأنها خاصة بالعقلاء . (وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة وجاعلون خبرها وما مفعول به ثان لجاعلون وعليها صلة وصعيداً مفعول به ثان لجاعلون وجرزاً نعت لصعيداً ويجوز اعتبار الكلمتين بمعنى واحد نحو الرمان حلو حامض أي مز ، فهما

بمثابة المفعول الثاني ولعله أولى وسيأتي تحقيقه في موضعه من هذا الكتاب .

البلاغة :

اشتملت هذه الآيات على أفانين متعددة من فنون البلاغة نذكرها فيما يلي :

١ ــ التكرير :

١ ــ التكرير وقد تقدم ذكره في قوله تعالى « ولم يجعل له عوجاً قيماً » فإن نفي العوج معناه إثبات الاستقامة وإنما جنح الى التكرير لفائدة منقطعة النظير وهي التأكيد والبيان ، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ، مجمع على استقامته ومع ذلك فإن الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الاولى .

٢ ــ المطابقة :

فقد طابق سبحانه بين العوج والاستقامة فجاء الكلام حسناً لا مجال فيه لمنتقد كما حدث لأبي الطيب الذي أهمل المطابقة في قصيدة من أبدع قصائده وذلك انه أنشد في مجلس سيف الدولة قوله :

نظرت الى الذين أرى ملوكاً كأنك مستقيم في محال

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فقيل له : إن المحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت : كأنك مستقيم في اعوجاج كيف كنت تصنــع في البيت الثاني ؟ فقــال ولم يتوقف : « فإن البيض بعض دم الدجاج » فاستحسن هذا من بديهته .

نقول : إنما يستحسن هذا في سرعة البديهة وإلا أين قوله : فإن المسك بعض دم الغزال من قوله : فإن المسك بعض دم الدجاج .

ولما كنا نريد أن ننصف النقد نورد ما أخذه أحد خصوم المتنبي عليه من أنه كان لا يقيم للمطابقة وزناً وان ديدنه عدمها وذلك رغــم إعجابنا الشديد بشاعر الخلود وتفضيلنا إياه على جميع شعراء العربية في القديم والحديث ، قال الناقد القديم :

وأما عــدم المطابقة في شعر أبي الطيب المتنبي فكثير جــداً من ذلك قوله :

ولكــل عــين قرة في قربه   حتى كأن مغيبه الأقــذاء

القرة ضدها السخنة والاقذاء ليست ضدها وقوله أيضاً :

ولم يعظم لنقص كان فيه   ولم يزل الأمــير ولن يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قــال : ولم يكمل لنقص كان فيه ، لكان أمنع .

وكذلك قوله رغم سموه وابداعه :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها   سرور محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الإساءة وإنما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والاساءة ضد الاحسان .

وكذا قوله :

وانه المشير عليك فيّ بضدّه فالحر ممتحن بأولاد الزنـــا

والحرّ ضد اللئيم .

٣ ـ نفي الشيء بايجابه :

وذلك في قوله تعالى « وقالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم » وقد تقدم ذكر هذا الفن وله تسمية أخرى وهي عكس الظاهر وهو من مستطرفات علم البيان وذلك أن تذكر كلاماً يدل ظاهره عـلى أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلاً فإن لقائل أن يقول : ان اتخاذ الله ولداً هو في حد ذاته محال فكيف ساغ قوله «مالهم به من علم»؟ وهو يشبه الاعتراض في قوله تعالى « وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً » فإن ذلك كله وارد على سبيل التهكم وإلا فلا سلطان عـلى الشرك حتى ينزل ، والولد في حد ذاته محـال لا يستقيم تعلق العلم ولكنه ورد على سبيل التهكم والاستهزاء بهم ، ونظيره كما تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تثنى فلتاته » أي لا تذاع سقطاته وليس ثمة فلتات فتثنى وقول الشاعر يصف فلاة :

لا تفزع الأرنب أهوالهـا ولا ترى الضبّ بها ينجحر

فإن ظاهر هذا المعنى أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس ذلك كذلك بل المعنى انه لم يكن ثمة ضب أصلاً .

٤ ـ التشبيه التمثيلي البليغ المصون عن الابتذال :

وذلك في قوله تعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » فقد شبهه تعالى وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وأصروا على المكابرة والعناد واللجاج بالسفسطة الباطلة ثم ما تداخله من جراء ذلك من وجد وأسف على توليهم واشفاق عليهم لسوء المغاب التي تؤول اليها أمورهم . شبه ذلك سبحانه برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على فراقهم وأتى بهذه الصورة الفريدة صيانة لتشبيهه من الابتذال فإن التلهف على فراق الأحبة ، واستشعار الوجد أمر شائع تناوله الشعراء في أشعارهم ، وتحدثوا في قصائدهم عن لواعجهم ، وهذا مقياس يقاس به البليغ يترفع في تشبيهه المألوف عن العادي من التشبيه بتزاويقه وتحاسينه ويفيض عليه من روائه وكان المتنبي ، بنوع خاص ، يتفطن لذلك ويصون تشبيهه الذي لا مندوحة له عنه من الابتذال وسنورد لك نماذج من شعره لتعلم الى أي مدى بلغ هذا الشاعر الخالد .

فقد صور أبو الطيب موقفاً من مواقف الغزل اضطر فيه إلى تشبيه نفسه بالميت المتكلم ومحبوبته بالبدر المبتسم وكلا هذين التشبيهين وارد تناولته الشعراء فابتذل وذهبت جدته وإذن فليجعل من الحوار وسيلة إلى تصوير موقف رائع يحلو فيه التشبيه ويبدو معه جديداً كل الجدة قال :

نرى عظماً بالبين والصد أعظم ... وتتهم الواشين والدمع منهم

ومن لبّه مع غيره كيف حاله ... ومن سره في جفنه كيف يكتم

ولمـا التقينا والنوى ورقيبنا غفولان عنا ظلت أبكي وتبسم
فلم أر بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم تر قبـلي ميتاً يتكلـم

فهو بعد أن قرر أثر الصد وأن مسافته لا تقرب ولا تقطع لأن البين قد يقرب وقد تقطع مسافته اعترف بأنه غير قادر على كتمان رسيس هواه لأنه إذا كان عقلك مع غيرك فكيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك في جفنك فكيف تقدر على كتمانه ؟ يريد أن الدمع يظهره ثم صور الموقف فجعل حسناءه عابثة ازدهاها الدل ، واستخف بها النعيم ، فهي عابثة لاهية تبتسم وهو يحرق الأرم ، ويتكوى بنار الهجران على حد قولهم « ويل للشجي من الخلي » وهذا من أروع الشعر وأعذبه .

ونعود الى الآية فنقول ان الله تعالى أراد أن يسلي نبيه وأن يهدهد عنه ما ألم به من جوى وارتماض فعرض الموقف بصيغة الترجي وان كان المراد به النهي أي لا تبخع نفسك ولا تهلكها من أجل غمك على عدم إيمانهم وأتى بهذا التشبيه التمثيلي البديع والأسف المبالغة في الحزن .

الفوائد :

١ ـ نصب المفعول لأجله :

اشترط النحاة لنصب المفعول لأجله خمسة أمور وهي :

١ ـ كونه مصدراً .

٢ ـ كونه قلبياً من أفعال النفس الباطنة كالتعظيم والاحترام والاجلال والتحقير والخشية والخوف والجرأة والرغبة والرهبة

والحياء والوقاحة والشفقة والعلم والجهل ونحوها ويقابل أفعال الجوارح أي الحواس الظاهرة وما يتصل به كالقراءة والكتابة والقيام والقعود والوقوف والجلوس والمشي والنوم واليقظة وغيرها وذلك لأن العلة هي الحاملة على إيجاد الفعل والحامل على الشيء متقدم عليه وأفعال الجوارح ليست كذلك .

٣ ـ كونه علة لأنه الباعث على الفعل .

٤ ـ اتحاده مع الفعل المعلل به في الزمان فلا يجوز : تأهبت اليوم السفر غداً لأن زمن التأهب غير زمن السفر .

٥ ـ اتحاده مع الفعل المعلل به في الفاعل فلا يجوز : جئتك محبتك إياي لأن فاعل المجيء المتكلم وفاعل المحبة المخاطب .

ومتى فقد شرطاً من هذه الشروط وجب جره بحرف تعليل كاللام ومن والباء وفي ، وفيما يلي أمثلة لكل شرط مفقود :

١ ـ « والأرض وضعها للأنام » فالأنام علة للوضع ولكنه ليس مصدراً فلذلك جر باللام .

٢ ـ « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » فإملاق هو علة القتل ولكنه ليس مصدراً قلبياً فلذلك جر بمن .

٣ ـ قتلته صبراً ، فصبراً مصدراً ولكنه ليس علة فامتنع نصبه مفعولاً لأجله وامتنع جره باللام لأن اللام تفيد العلية .

٤ ـ قول امرىء القيس :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها　　لدى الستر إلا لبسة المتفضل

فالنوم وإن كان علة لخلع الثياب لكن وقت الخلع سابق على وقت النوم فلذلك جر باللام ، هذا والنوم ليس مصدراً قلبياً أيضاً ففي الاستشهاد به على عدم اتحاد الزمن فقط تسامح .

٥ ـ قول أبي صخر الهذلي :

وإني لتعروني لـذكراك هزة   كما انتفض العصفور بلّله القطر

فالذكرى علة عن الهزة ففاعل العرو الهزة وفاعل الذكرى هو المتكلم فلذلك جر باللام . ونعود الى الآية فقوله « زينة لها » علة للجعل ولكنه ليس قلبياً لأنها من اعمال اليد ، فلذلك استغربنا اعراب بعضهم لها مفعولاً لأجله إلا بتقدير فعل الإرادة أي إرادة الزينة ولكن هذا التكلف لا يجوز وفيه مندوحة باعرابها مفعولاً ثانياً لجعلنا كما تقدم أو حالاً .

ابدال المفرد من الجملة :

قلنا في الاعراب ان أبا حيان اختار اعراب قيماً بدلاً من جملة لم يجعل لها عوجاً لأنها في معنى المفرد . وأقول ان النحاة صرحوا بابدال الجملة من المفرد بدل كل كقول الفرزدق :

إلى الله أشكو بالمدينة حاجة   وبالشام أخرى كيف يلتقيان

أبدل جملة كيف يلتقيان من حاجة وأخرى وهما مفردان وانما صح ذلك لرجوع الضمير الى مفرد فهل يجوز العكس ؟ ومعنى البيت الى الله أشكو هاتين الحالين تعذر التقائهما فتعذر مصدر مضاف الى فاعله وهو بدل من هاتين قال الدماميني ويحتمل أن يكون كيف يلتقيان جملة مستأنفة نبه بها على سبب الشكوى وهو استبعاد اجتماع

هاتين الحاجتين والشام بـلاد سميت بشام بن نوح فإنه بالشين المعجمة بالسريانية أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز وقد يذكر ، كذا في القاموس •

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

اللغـــة :

(الكهف) الغار في الجبل قيل : مطلق الغار وقيل : هو ما اتسع في الجبل فإن لم يتسع فهو غار والجمع كهوف وفي القاموس : « الكهف هو كالبيت المنقور في الجبـل فاذا صغر فهو الغار ، الملجأ والجمـع كهوف » وفي الأساس : « لجئوا الى كهف والى كهوف وهي الغيران وتكهّف الجبل : صارت فيه كهـوف ومن المجاز فلان كهف قومه : ملجؤهم وتقول : أولئك معاقلهم وكهوفهم » •

(الرقيم) في القاموس : الرقيم : الكتاب ، المرقوم ورقم يرقم من باب نصر الكتاب بينه وأعجمه بوضع النقط والحركات وغير ذلك ورقم الثوب خططه والبعير : كواه ، والخبز : نقشه ويقولون : فلان يرقم على الماء لمن يكون ذا حـذق في الأمور » قيل هو لوح كتب فيه

أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة • وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقيل اسم للقرية التي خرجوا منها وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف وقيل هو اسم كلبهم ، قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بهـا إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف همد

والوصيد فناء البيت وبابه وعتبته والبيت يحتملها والهمد جمع هامد أي راقـد يقول : ليس في تلك الصحـراء إلا الكلب حالة كونه مجاوراً لفناء غارهم وإلا القوم حال كونهم رقوداً في الكهف •

وقال الزجاج : إن الفتية لما هربوا من أهلهـم خوفاً عـلى دينهم ففقـدوهم فخبروا الملك خبرهم فأمر بلـوح من رصاص فكتبت فيه أسماءهم وألقـاه في خزانته وقال : انه سيكون له شأن فذلك اللوح هو الرقيم •

وقال في أماليه : اعلم أن في الرقيم خمسة أقوال أحدها هذا الذي روي عن ابن عباس رحمه الله أنه لوح كتب فيه أسماؤهم والآخر ان الرقيم هو الدواة يروى ذلك عن مجاهد وقال هو بلغة الروم وحكى ذلك ابن دريد قال ولا أدري ما صحته والثالث ان الرقيم القرية وهو يروى عن كعب والرابـع أن الرقيـم الوادي والخامس ما روي عن الضحاك وقتادة انهما قالا الرقيم الكتاب والى هـذا يذهب أهل اللغة ويقولون : هو فعيل بمعنى مفعول يقال رقمت الكتاب أي كتبته فهو مرقوم ورقيم كما قال عز وجل « كتاب مرقوم » •

الاعراب :

(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) أم منقطعة وقد تقدم ذكرها والغالب أن تفسر ببل والهمزة وتفسر ببل وحدها وبالهمزة وحدها أي أظننت أن قصة أهل الكهف عجب في بابها أو لا تظن أنها أعجب الآيات بل من الآيات ما هو أعجب منها • وحسبت فعل وفاعل وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسبت وأن واسمها والرقيم عطف على الكهف وجملة كانوا خبر أن ومن آياتنا حال وعجباً خبر كانوا والاستفهام هنا للانكار والنفي وليس المراد نفي العجب عن قصة أهل الكهف فهي عجب كما ذكرنا ولكن القصد نفي كونها أعجب الآيات ثم شرع في سرد قصتهم فقال : (إذ أوى الفتية الى الكهف) الظرف الماضي يتعلق باذكر محذوفاً وجملة أوى في محل جر باضافة الظرف اليها والفتية فاعل أوى والى الكهف متعلقان بأوى خائفين على أنفسهم من الكفار لأنهم كانوا مؤمنين وقصتهم مستفيضة في جميع المطولات وقد صنف الكاتب القصصي المعاصر توفيق الحكيم مسرحية أهل الكهف فارجع اليها لأنها من أمتع القصص •

(فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) فقالوا عطف على أوى وربنا منادى وآتنا فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعول به ومن لدنك حال لأنه كان صفة لرحمة وتقدم عليها ورحمة مفعول به وهيء عطف على آتنا ولنا متعلقان بهيء ومن أمرنا حال ورشداً مفعول به • (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً) الفاء عاطفة وضربنا فعل وفاعل وعلى آذانهم متعلقان بضربنا ومفعول ضربنا محذوف تقديره

حجاباً مانعاً لهم من السماع وفي الكهف حال وسنين ظرف لضربنا وعدداً نعت لسنين أو مفعول مطلق لفعل محذوف فهو إما مصدر فيجوز فيه الوجهان واما فعل بمعنى مفعول فلا يجوز فيه إلا النعت •

(ثم بعثناهم لنعلم أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً) ثم حرف عطف للتراخي وبعثناهم فعل وفاعل ومفعول به ولنعلم يجوز أن تكون اللام للتعليل أو للعاقبة وعلى كل حال نعلم مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها وسيأتي في باب البلاغة معنى العلم باحصائهم والله عالم بذلك وأيّ اسم استفهام مبتدأ ولهذا علق نعلم عن العمل والحزبين مضاف اليه وأحصى فعل ماض وفاعله يعود على أي الحزبين ولما لبثوا اللام حرف جر وما مصدرية ولبثوا فعل وفاعل وما وما بعدها مصدر مؤول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان بأحصى وأمداً مفعول به واختلف النحاة هل يجوز أن يكون أحصى اسم تفضيل أم لا ، أما القائلون بالجواز فأعربوا أحصى خبر أي ، وأمداً تمييز، أو مفعول لفعل محذوف أي أحصى أمداً وستأتي مناقشة هذه الآراء في باب الفوائد •

البلاغة :

في هذه الآيات أفانين من البلاغة تذهل العقول وتكشف النقاب عن بيان القرآن البديع وهذا هو التفصيل :

١ ـ الاستعارة التصريحية :

في قوله تعالى « فضربنا على آذانهم » فقد استعار الحجاب المانع على آذانهم للزوم النوم وخص الآذان لأنه بالضرب عليها يحصل عليها ، فالصور البيانية لا تتجسد إلا باعتمادها على أسس جمالية ونفسية قريبة

من البحوث الحديثة وقد ذكر الجماليون الاحساسات التي يصح نعتها بالجمال على أتم وجه هي الاحساسات البصرية حتى لقد عرف ديكارت الجمال بقولــه : « هو ما يروق في العين فالعين حاسة النور وحاجـة الانسان الى النور راجع إلى حاجته الى الحياة إذ تتعلق به بعض العناصر التي تمد الجسم بالحياة والنشاط والحركة والمتعة والسرور » وسيأتي ما اعتمده القرآن من الصور البصرية ولا يقف الأمر عند حاسة البصر بل حاسة السمع هي التي أوجدت أرفـع الفنون : الشعر والموسيقى والبلاغة قال الرماني في كتابه « النكت في إعجاز القرآن »: « واحساس السمع في قوله تعالى « فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عـددا » وحقيقته منعناهم الاحساس بآذانهم من غـير صمم » فكأن الاستعارة قصدت الى هذا التصوير السمعي وإبراز فقدان حاسة السمع دون سائر الحواس ودون الدلالة على الصمم النهائي وستأتي تتمة هذه الصورة المهولة صورة الضرب على الآذان في قوله تعالى في سورة يس « يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا » •

٢ ـ التعليق :

وذلك في قوله :« ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا » ليس المراد أن يعلم الله شيئاً هو داخل في نطاق علمه ولكنه أراد ما تعلق العلم به من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً وليكون ذلك من الألطاف الخفية على المؤمنين في زمانهم أو ليحدث تعلق علمنا تعلقاً حالياً أي نعلم أن الأمر واقع في الحال بعد أن علمنا قبل أنه سيقع في مستقبل الزمان أما المراد بالحزبين اللذين اختلفا فقـال الفراء : إن طائفتين من المسلمين في زمان أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم

وقيل المراد بالحزبين نفس أصحاب الكهف لأنهم اختلفوا فيما بينهم في المـــدة التي لبثوها نائمين وروي عن ابن عباس : أن المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك ، وأصحاب الكهف الى غير ذلك من أقوال لا يتسع المجال لإيرادها .

الفوائـد :

١ ــ رجحنا أن تكون « أحصى » في قولــه تعــالى « لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » فعلاً ماضياً لأن بناء اسم التفضيل من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس اما نحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذاق فشاذ والقياس على الشاذ في غــير القرآن ممتنع فكيف به كما أن اعراب أمداً لا يصح إلا بكون «أحصى» فعلاً ماضياً وإذا جعلناه اسم تفضيل احتجنا الى تقدير فعل لأن اسم التفضيل لا يعمل على أن بعض النحاة جعل بناء اسم التفضيل من المزيد في الهمزة قياساً فتقول في أكرم فعلاً فلان أكرم من فلان على رأيهم وزعم هؤلاء النحاة أن سيبويه قال به وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وانما هو تعويض همزة بهمزة، هذا وقد اختار كون أحصى للتفضيل الزجاج والتبريزي واختار أبو علي الفارسي والزمخشري كونه فعلاً ماضياً وعليه درجنا .

٢ ــ ما يقوله المبرد عن أي :

قال المبرد في حديثه عن أيّ « ألا ترى أن معناها أذا أم ذا ، وقال عز وجل « لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً » لأن معناها أهذا أم هذا وقال تعالى: «فلينظر أيها أزكى طعاماً» على مافسرت لك وتقول: أعلم أيهم ضرب زيداً ، وأعلم أيهم ضرب زيد تنصب أياً بضرب لأن زيــداً

فاعل فانما هذا لما بعده وكـذلك ما أضيف الى اسم من هذه الاسماء المستفهم بها نحو قد علمت غلامُ أيهم في الدار وقد عرفت غلامُ من في الدار وقد علمت غلام من ضربت فتنصبه بضربت فعـلى هذا مجرى الباب » وخلاصة ما أراد المبرد أن يقولـه في هذه اللمحـة المنيدة أن أدوات الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها .

وقال ابن هشام في المغني انه وهـم أي كونه اسم تفضيل لأن شرط التمييز المنصوب بعد أفعل أن يكون كونه فاعلاً في المعنى كزيد أكثر مالاً بخلاف مال زيد أكثر مال ففي المثال الأول فاعل الكثرة في المعنى المال لا زيد وقال في الخلاصة :

والفاعل المعنى انصبن بأفعـلا مفضـلاً كأنت أعـلى منزلا

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الاعراب :

(نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحق) نحن مبتدأ وجملة نقص خبر وعليك متعلقان بنقص ونبأهم مفعول به وبالحق حال من فاعل نقص أو من مفعوله وهو النبأ فالباء للملابسة • (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) الجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصتهم وان واسمها وخبرها وجملة آمنوا بربهم خبر وزدناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وهدى مفعول به ثان أو تمييز • (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض) وربطنا عطف على زدناهم وعلى قلوبهم متعلقان بربطنا وإذ ظرف ماض متعلق بربطنا وجملة قاموا مضاف اليها الظرف فقالوا عطف على قاموا وربنا مبتدأ ورب السموات والأرض خبره • (لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذن شططاً) لن حرف نفي ونصب واستقبال وندعو منصوب بلن ومن دونه حال لأنه كان صفة لإلهاً وتقدم عليه ولقد اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وقلنا فعل وفاعل وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وشططاً مفعول مطلق أي قولاً ذا شطط فهو نعت للمصدر المحذوف بتقدير المضاف ويجوز أن يكون مفعولاً به لأن الشطط فيه معنى الجملة وقال سيبويه ما نصه بالحرف « نصبه على الحال من ضمير مصدر قلنا » والشطط هو الافراط في الظلم والإبعاد فيه من شط إذا بعد فقول سيبويه له وجه كبير من الصحة ، قالوا ذلك وهم قيام بين يدي الملك الجبار دقيانوس • (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) هؤلاء مبتدأ وقومنا بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان وجملة اتخذوا خبر ومن دونه حال وآلهة مفعول به ومعنى الخبر هنا الانكار ويجوز أن تعرب هؤلاء مبتدأ وقومنا هو الخبر وجملة اتخذوا في موضع نصب على الحال •

(لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً)
لولا حرف تحضيض ويأتون فعل مضارع وفاعل والجملة مستأنفة وعليهم أي على عبادتهم متعلقان بمحذوف حال وبسلطان متعلقان بيأتون وبيّن صفة فمن أظلم الفاء استئنافية ومن اسم استفهام معناه النفي والانكار مبتدأ وأظلم خبره وممن متعلقان بأظلم وجملة افترى صلة وعلى الله متعلقان بافترى وكذباً مفعول به .

البلاغة :

في قوله تعالى « وربطنا على قلوبهم » استعارة تصريحية تبعية تشبه « فضربنا على آذانهم » لأن الربط هو الشد بالحبل والمراد قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الاوطان والفرار بالدين الى الكهوف والغيران وافتراش صعيدها وجسرناهم على قول الحق والجهر به أمام دقيانوس الجبار .

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ * وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

اللغـــة :

(مرفقا): بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس وقد قرىء بهما ماترتفقون به من غداء وعشاء أي تنتفعون قال في أساس البلاغة: « وارتفقت به: انتفعت ومالي فيه مَرفق ومِرفق وما فيها مِرفق من مرافق الدار نحو المتوضأ والمطبخ » وقيل بالكسر في الميم هو لليـــد وبالفتح للأمر وقد يستعمل كل منهما موضع الآخر حكاه الأزهري عن ثعلب وقال بعضهم: هما لغتان فيما يرتفق به فأما الجارحة فبكسر الميم فقط وفي القاموس والتاج وغيرهما: « المرفق بكسر الميم وفتح الفاء والمرفق بفتح الميم وكسر الفاء الموصل بين الساعد والعضد وما ارتفقت به فهما لغتان » .

(تزاور) : أي تمايل أصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي أو حذفها وقد قرىء بهما وقرىء تزورّ وتزوارّ وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره إذا مال اليه والزور الميل عن الصدق .

(تقرضهم) : تقطعهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة مأخوذ من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة :

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالاً وعن أيمانهن الفوارس

وقبله :

نظرت بجرعاء السبية نظرة

ضحى وسواد العين في الماء شامس

وجرعاء السبية اسم موضع وسواد العين الخ جملة حالية أي الدمع كثير الحركة والاضطراب من شمس الفرس إذا جمح وساء خلقه والظعن جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج ويقرضن أي يقطعن وأجواز جمع جوز وهو المجاز والطريق أي يفصلنه عنهن والفوارس اسم موضع لا جمع فارس .

وقال الفارسي : ومعنى تقرضهم تعطيهم من ضوئها شيئاً كالقرض ثم يسترد بعد حين وهي تزول بسرعة أيضاً .

(فجوة) : متسع من الفجاء وهو تباعد ما بين الفخذين يقال رجل أفجى وامرأة فجواء والجمع فجاء كقصعة وقصاع وفي القاموس : « الفجوة : الفرجة بين الشيئين وساحة الدار وما اتسع من الارض والجمع فجوات وفجاء » .

(الوصيد) تقدم شرحه ونضيف اليه ما قاله صاحب القاموس : الوصيد العتبة فناء الدار ، الكهف وقال غيره والباب أيضاً وأنشد :

بأرض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

والبيت لزهير يقول : نزلت في أرض خالية من البناء ليس فيها بناء له وصيد أي باب يسد علي ويحجب عني الضيفان كأهل الحضر فنفي السد كناية عن نفي الوصيد من أصله فهو من باب نفي الشيء بإيجابه واحساني بها معروف لا ينكره أحد من الناس .

الاعراب :

(وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) خطاب من بعضهم لبعض حين صمموا على الفرار بدينهم فإذ منصوب بمضمر تقديره قال بعضهم لبعض وجملة اعتزلتموهم في محل جر بإضافة الظرف اليها وهي فعل وفاعل ومفعول به وما يعبدون : الواو حرف عطف وما معطوف على الهاء أي اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم فما موصولية أو مصدرية فيقدر وعبادتهم وإلا أداة استثناء والله مستثنى متصل على تقدير كونهم مشركين ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الأوثان وقيل الواو اعتراضية وما نافية والجملة معترضة وهي إخبار من الله عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله ولا مانع من ذلك . قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل كذا وهو قول ضعيف لأنه يعني أن إذ تفيد الشرطية والمعروف انها لا تفيدها إلا مقترنة مع ما . (فأووا الى الكهف) الفاء هي الفصيحة أي ان شئتم النجاة بدينكم فأووا وأووا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والى الكهف متعلقان به . (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً) ينشر فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب ولكم متعلقان بينشر وربكم فاعل ينشر ومن رحمته صفة لمفعول ينشر المحذوف أي ينشر لكم نجاحاً من رحمته ويهيىء عطف على ينشر ولكم متعلقان بيهيىء ومن أمركم حال لأنه كان

صفة لمرفقاً ومرفقــاً مفعول به • (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين) في الكلام ايجاز بحذف عدة جمل وتقدير الكلام فأووا الى الكهف كما قرروا بينهم وشعروا بالتعب فناموا واسترسلوا في النوم ، وأجاب الله دعاءهم إذ قالوا : « ربنا آتنا من لدنك رحمــة وهيىء لنا من أمرنا رشداً » فالواو استئنافية وترى فعل مضارع وفاعله أنت والشمس مفعول به وإذا ظرف مستقبل متعلق بتزاور وهو الجواب وتزاور فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هي والجملة لا محل لها وعن كهفهم متعلقان بتزاور وذات اليمين ظرف متعلق بتزاور (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة لهـا في اعرابها • (وهــم في فجوة منه ذلك من آيات الله) الواو للحال وهم مبتدأ،وفي فجوة خبر ومنه صفة لفجوة وذلك مبتدأ ومن آيات الله خبر• (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) من شرطية في محل نصب مفعول مقدم ويهد فعل الشرط مجزوم وعــلامة جزمه حذف حرف العلة والفاء رابطة للجواب لأنه جملة اسمية وهو مبتــدأ والمهتدي خبره وحذفت الياء بخط المصحف ومن يضلــل فلن تجد له ولياً مرشداً عطف على ما تقدم والجملة مماثلة لسابقتها • (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) الواو استئنافية وتحسبهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول وأيقاظــاً مفعول به ثان وهم الواو حالية وهم مبتدأ ورقود خبر والجملة في محل نصب حال • (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) ونقلبهم الواو عاطفة ونقلبهم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وذات اليمين ظرف متعلق بنقلبهم وذات الشمال عطف على ذات اليمين وكلبهم الواو للحال وكلبهم مبتدأ وباسط خبر وذراعيه مفعول به وبالوصيد متعلقان بباسط • (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) لو شرطية واطلعت فعل وفاعل

وعليهم متعلقان باطلعت ولوليت اللام واقعة في جواب لو ووليت فعل وفاعل ومنهم متعلقان بفراراً وفراراً مفعول مطلق من معنى الفعل قبله لأنه مرادفه ويجوز أن يعرب مصدر في موضع الحال أي فاراً ، ولملئت عطف على لوليت ومنهم متعلقان برعباً ورعباً تمييز ورجح أبو حيان أن يكون مفعولاً ثانياً لملئت .

البلاغة :

في قوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود تشبيه وطباق أما الطباق فهو ظاهر بين أيقاظ ورقود وأما التشبيه فهو قسم من أقسام التشبيه جاءت فيه الأداة فعلاً من أفعال الشك واليقين تقول حسبت زيداً في جرأته الأسد وعمراً في جوده الغمام فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد وعمرو بالغمام وفي الآية حاصلة تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالايقاظ في بعض صفاتهم لأنه قيل انهم كانوا مفتحي العيون في حال نومهم .

الفوائد :

استدل الكسائي بقوله « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » على أن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ولو كان بمعنى الماضي ومنع البصريون ذلك وقالوا لا حجة للكسائي ومن تبعه في أن اسم الفاعل هنا بمعنى الماضي وعمل في ذراعيه النصب وانه على ارادة حكاية الحال الماضية أي انه يقدر الهيئة الواقعة في الزمن الماضي واقعة في حال التكلم والمعنى يبسط ذراعيه فيصح وقوع المضارع موقعه بدليل أن الواو في وكلبهم واو الحال ولذا قال سبحانه ونقلبهم بالمضارع الدال على الحال ولم يقل وقلبناهم بالماضي .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

اللغــة :

(بورقكم) الوَرِق بفتح الواو وكسر الراء الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذ أنفاً من ذهب » والكلاب بالضم اسم ماء كانت عنده الوقعة كما في الصحاح قال :

أعطيتني وَرَقاً لم تعطني وَرِقاً   قل لي بلا ورِق ما ينفع الورَق؟

(أزكى) : أطيب وفي القاموس : زكا يزكو زَكاء وزُكوّاً الزرع نما والارض طابت والزكي ما كان نامياً طيباً صالحاً .

الاعراب :

(وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) الكاف نعت لمصدر محذوف

أي كما أنمناهم هذه النومة الطويلة كذلك بعثناهم ، وبعثناهم فعل وفاعل ومفعول به، ليتساءلوا اللام للتعليل ويتساءلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والظرف متعلق بمحذوف حال . (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال قائل فعل وفاعل وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والمميز المنصوب محذوف تقديره كم يوماً بدليل الجواب عليه ومنهم صفة لقائل ، قالوا فعل وفاعل وجملة لبثنا مقول القول ويوماً ظرف متعلق بلبثنا أو حرف عطف ، بعض يوم عطف على يوماً وأو هنا للشك منهم . (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) قالوا فعل وفاعل وربكم مبتدأ وأعلم خبره ، بما جار ومجرور متعلقان بأعلم ولبثتم صلة ما وما أجمل تفويضهم أمر العلم بمدة اللبث الى الله ، وما ينطوي عليه هذا التفويض من حسن الأدب فقد استرابوا في أمرهم بعد أن راعوا الى أنفسهم ونظروا الى طول شعورهم وأظفارهم . (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً) الفاء عاطفة على محذوف أي فدعوا التساؤل وخذوا فيما هو أهم وأجدى لنا في موقفنا هذا فابعثوا ، وأحدكم مفعول به وبورقكم متعلقان بابعثوا أو بمحذوف حال من أحدكم والباء للملابسة أي ملتبساً بها ومصاحباً لها وهذه نعت لورقكم وإلى المدينة متعلقان بابعثوا ، فلينظر الفاء عاطفة واللام لام الأمر وينظر مضارع مجزوم بلام الأمر وأيها يجوز أن تكون استفهامية ويجوز أن تكون موصولة وقد تقدم ذلك في قوله « أيهم أحسن عملاً » فجدد به عهداً وهي مبتدأ خبره أزكى وطعاماً تمييز محول عن المضاف اليه أي أيّ أطعمة المدينة أزكى وأحلّ وأرخص وأطيب . (فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً) الفاء عاطفة واللام لام الأمر ويأت مجزوم بلام الأمر والفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وبرزق متعلقان بيأتكم ومنه صفة لرزق

وليتلطف عطف على فليأتكم ولا الواو عاطفة ولا ناهية ويشعرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره هو وبكم متعلقان بيشعرن واحداً مفعول به . (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم) إن واسمها وإن شرطية ويظهروا فعل الشرط والواو فاعل وعليكم متعلقان بيظهروا ويرجموكم جواب الشرط أو يعيدوكم عطف على يرجموكم وفي ملتهم متعلقان بيعيدوكم أي يردوكم إلى ملتهم التي كنتم عليها قبل أن يهديكم الله أو المراد بالعود هنا الصيرورة على تقدير انهم لم يكونوا على ملتهم وايثار كلمة « في » على كلمة « الى » للدلالة على الاستقرار . (ولن تفلحوا إذن أبداً) الواو عاطفة ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتفلحوا فعل مضارع منصوب بلن والواو فاعل وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وأبداً ظرف متعلق بتفلحوا .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم

مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

اللغة :

(أعثرنا عليهم) : أطلعنا عليهم قومهم والمؤمنين وفي الأساس : « وعثر على كذا اطلع عليه وأعثره على كذا أطلعه وأعثره على أصحابه : دله عليهم ويقال للمتورط «وقع في عاثور» وفلان يبغي صاحبه العواثير وأصله : حفرة تحفر للأسد وغيره يعثر بها فيطيح فيها » .

(رجماً بالغيب) رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به وفي المصباح : الرجم بفتحتين الحجارة ورجمته رجماً من باب قتل ضربته بالرجم وهي الحجارة الصغار ورجمته بالقول رميته بالفحش قال تعالى : « رجماً بالغيب » أي ظناً من غير دليل ولا برهان كقول زهير بن أبي سلمى يصف الحرب :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

أي المظنون وسيرد في باب البلاغة مزيد من البحث حول هـذا التعبـير •

(تمار) : تجادل وفي القاموس : « مارى مراء ومماراة : جادل ونازع ولاجّ وتماريا تجادلا وامترى في الشيء : شك والمرية بكسر الميم والمرية بضمها : الجدل يقال مافي ذلك مرية أي جدل وشك » •

الاعراب :

(وكـذلك أعثرنا عليهم ليعلمـوا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) الكاف نعت لمصدر محذوف أي وكما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا عليهم قومهم والمؤمنين ، وأعثرنا فعل وفاعل والمفعول به محذوف كما قدرناه في باب اللغة وعليهم متعلقان بأعثرنا وليعلموا اللام للتعليل ويعلموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وأن ومافي حيزهـا سدت مسد مفعولي ليعلمـوا وأن واسمها وحق خبرها وأن الساعة عطف وان واسمها ولا نافية للجنس وريب اسمها وفيها خبرها وجملة لا واسمها وخبرها في محل رفع خبر أن والمراد بوعد الله البعث لأن من قدر على إنامتهم هذه النومة الطويلة وبعثهم بعدها قادر على أن يحييهم بعد الموت • (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) الظرف متعلق بأعثرنا أي أعثرنا عليهم قومهم حين يتنازعون ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول : تبعث الأرواح دون الأجساد وبعضهـم يقول : تبعث الأجساد مع الأرواح وجملة يتنازعون في محل جر باضافة الظرف اليها وبينهم ظرف مكان متعلق بيتنازعون وأمرهم نصب بنزع الخافض أي في أمرهم وقيل تنازعوا تنصب مفعولاً إذا كانت بمعنى التجاذب فيكون في الكلام استعارة • (فقالوا ابنوا عليهم بنياناً) الفاء عاطفة وقالوا فعل

وفاعل وجملة ابنوا مقول القول وهو فعل أمر وفاعل وعليهم متعلقان بابنوا وبنياناً مفعول به أي قالوا ذلك حين توفى الله أصحاب الكهف وأكثر الروايات على أنهم ماتوا حين حدث تمليخا حامل الورق حديثهم موتاً حقيقياً ورجع من كان يساوره الشك في بعث الأجساد الى اليقين أي ابنوا عليهم بنياناً ضناً بتربتهم ومحافظة عليها وجملة ابنوا عليهم بنياناً مقول قولهم • (ربهم أعلم بهم) الجملة إما تتمة لمقولهم قالوا ذلك تفويضاً للعلم الى الله سبحانه وقيل هو مقول كلام لله سبحانه رداً لقول المتنازعين فيهم أي دعوا ما أنتم فيه من التنازع فإني أعلم بهم منكم والكلام مبتدأ وخبر وبهم متعلقان بأعلم • (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذنّ عليهم مسجداً) قال الذين فعل وفاعل وجملة غلبوا صلة الموصول وعلى أمرهم متعلقان بغلبوا وهم المؤمنون وكانت الكلمة لهم آنذاك ولنتخذن اللام موطئة للقسم وتتخذن فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره نحن وعليهم حال ومسجداً مفعول به • (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب) السين للاستقبال اشارة الى أن النزاع في أمرهم حصل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أي في المستقبل البعيد بالنسبة لقصتهم ويقولون فعل مضارع وفاعل والضمير يعود الى الخائضين في قصتهم زمن النبي من أهل الكتاب والمؤمنين • قال أبو حيان : « وجاء بسين الاستقبال لأنه كأنه في الكلام طي وإدماج ، والتقدير فإذا أجبتهم عن سؤالهم وقصصت عليهم قصةأهل الكهف فسلهم عن عددهم فإنهم إذا سألتهم سيقولون ولم يأت بالسين فيما بعده لأنه معطوف على المستقبل فدخل في الاستقبال أو لأنه أريد به معنى الاستقبال الذي هو صالح له» وثلاثة خبر لمبتدأ محذوف أي هم ثلاثة أشخاص وانما قدرنا أشخاصاً لأن رابعهم اسم فاعل أضيف الى الضمير والمعنى أنه ربعهم أي جعلهم

أربعة وصيرهم إلى هذا العدد فلــو قدر ثلاثة رجال استحال أن يصير ثلاثة رجال أربعــة لاختلاف الجنسين ، ورابعهم مبتدأ وكلبهــم خبر وجملة ثلاثة مقول القول وجملة رابعهم كلبهم في محل نصب على الحال أي حال كون كلبهم جاعلهــم أربعة بانضمامه اليهــم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم عطف على الجملة السابقة وهي مماثلة في اعرابها ورجماً منصوب على المصدرية بفعل محذوف أي يرجمون رجماً والمعنى يرمون رمياً بالخبر الخفي المظنون أو على الحال بمعنى راجمين وبالغيب متعلقان برجماً • (ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم) الواو عاطفة ويقولون فعل وفاعل وسبعة خبر لمبتدأ محذوف والواو فيها أقوال تربو على الحصر وقد شغلت العلماء والأدباء فصنّفوا فيها المطولات وسنأتي على ذكرها وخلاصة ما قيل فيها في باب الفوائد وأولى ما يقره المنطق أن تكون هي الواو التي تدخل عــلى الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيهاً لها بالجملة الواقعة حالاً بعد المعرفة نحو جاء زيد ومعه رجل آخر وذلك لتأكيد لصوق الصفــة بالموصوف بمعنى أن اتصافه بها أمر مستقر راسخ في الأذهان وهــذا ما اختــاره الزمخشري وابن هشام وانتظر التفاصيل وجملة ثامنهم كلبهم صفة لسبعة وقد ردّ أبو حيان هذا القول وعبارته :

« وكون الواو تدخل على الجملة الواقعة صفة دالة على لصوق الصفة بالموصوف وعلى ثبوت اتصاله بها شيء لا يعرفه النحويون بل قرروا انه لا تعطف الصفة التي ليست بجملة على صفة أخرى إلا إذا اختلفت المعاني حتى يكون العطف دالاً عــلى المغايرة وأما إذا لم يختلف فلا يجوز العطف في هذه الأسماء المفردة وأما الجمل التي تقع صفة فهي أبعد من أن يجوز ذلك فيها وقد ردوا على من ذهب الى أن قول سيبويه: وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل هو على ان وليس باسم ولا فعل صفة لقوله لمعنى وان الواو دخلت في الجملة بأن ذلك ليس من كلام

العرب مررت برجل ويأكل على تقدير الصفة واما قوله تعالى : « إلا ولها كتاب معلوم » فالجملة حالية » • (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل) ربي مبتدأ وأعلم خبره والجملة مقول القول وبعدتهم متعلقان بأعلم وجملة ما يعلمهم حالية وما نافية ويعلمهم فعل مضارع ومفعول به وإلا أداة حصر وقليل فاعل يعلمهم والتفضيل بالنسبة للكيفية لأن مراتب اليقين متفاوتة في القوة وليس التفضيل بالنسبة إلى الطائفتين الأولين الذين جنحا الى الرجم بالغيب والحدس والتخمين دون الحقيقة والاطلاع على الواقع • (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) الفاء الفصيحة أي إن عرفت هذا وحق لك أن تعرفه فلا تجـادل ، ولا ناهية وتمار مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة وإلا أداة حصر ومراء مفعول مطلق وظاهراً صفة• (ولاتستفت فيهم منهم أحداً) الواو عاطفة ولاناهية وتستفت مجزوم بها وعلامة جزمه حذف حرف العلة أيضاً والفاعـل مستتر تقديره أنت وفيهم متعلقان بتستفت ومنهـم حال لأنه كان في الأصل صفة لأحداً وأحداً مفعول به لأن فيما أوحي إليك مندوحة لك عن السؤال•(ولاتقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) الواو حرف عطف ولا ناهية وتقولن فعل مضارع مبني للفتح لاتصاله بنون التوكيد في محل جزم بلا والفاعل مستتر تقديره أنت ولشيء متعلقان بتقولن أي لأجل شيء تقدم عليه وتهتم به وقيل اللام بمعنى في وقد تقدم ذكر ذلك وكسرت همزة إن لسبقهـا بالقول وان واسمها مقول القول وفاعل خبر إن وذلك مفعول لفاعل وغداً ظرف متعلق بفاعل وإلا أن يشاء الله استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقل لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالمشيئة والتعليق عليها فأن وما بعدها حال والتقدير لا تقولن أفعل غداً إلا قائلاً إن شاء الله وقيل التقدير إلا بأن يشاء الله فالمصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور في موضع

النصب على الحال أي إلا متلبساً بقول إن شاء الله وقيل إن الاستثناء منقطع وموضع أن يشاء الله نصب على الاستثناء .

وقد أجاد في إعراب هذه الآية أبو البقاء العكبري ونصه : « في المستثنى منه ثلاثة أوجه أحدها هو من النهي والمعنى لا تقولن افعل غداً إلا أن يؤذن لك في القول والثاني هو من فاعل تقولن أي لا تقولن اني فاعل غداً حتى تقرن به قول إن شاء الله والثالث انه منقطع وموضع أن يشاء الله نصب على وجهين أحدهما على الاستثناء والتقدير لا تقولن ذلك في وقت إلا وقت أن يشاء الله أي يأذن فحذف الوقت وهو مراد والثاني هو حال والتقدير لا تقولن افعل غداً إلا قائلاً إن شاء الله فحذف القول وهو كثير وجعل قوله أن يشاء في معنى إن شاء وهو مما حمل على المعنى وقيل : التقدير إلا بأن يشاء الله أي متلبساً بقول إن شاء الله » والخلاصة ان الغرض من هذا النهي عن هذا القول هو عدم اقترانه بقول المشيئة وهذا نهي تأديب حين قالت اليهود لقريش سلوا محمداً عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال أئتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش ، وسيأتي في باب الفوائد ذكر انقطاع الوحي .

(واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً) واذكر عطف على ما تقدم وربك مفعول به ولا بد من حذف مضاف أي مشيئة ربك واذا ظرف متعلق باذكر أي اذا فرط منك نسيان وجملة نسيت في محل جر بإضافة الظرف اليها وجوابها محذوف دل عليه ما قبله أي فاذكر وقل عطف على اذكر وعسى من أفعال الرجاء واسمها مستتر تقديره هو وأن يهديني أن ومافي حيزها هي الخبر وربي فاعل يهديني ولأقرب متعلق بيهديني ومن هذا متعلقان بأقرب ورشداً تمييز

أو مفعول مطلق أي يهديني هداية فيكون ملاقياً لعامله بهـذا المعنى والأول أقرب أي لشيء أقرب ارشاداً للناس ودلالة على ذلك والاشارة في قوله هذا لما تقدم من نبأ أصحاب الكهف وقصتهـم العجيبة التي اختتمت الآن. (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) ولبثوا عطف على ما تقدم حسماً للخلاف وإماطة للشبهة الناجمة عن الاختلاف في أمرهم ومدة لبثهم وفي كهفهـم متعلقان بلبثوا وثلاث ظرف ومائة مضاف اليـه وسنين عطف بيان لثلاثمائة أو بدل ولا يصـح أن يكون تمييزاً لأن تمييز المـائة مجرور وجره بالاضافـة والتنوين مانع منها وسيأتي بحث العدد مفصلاً في باب الفوائد وازدادوا فعل وفاعل وتسعاً مفعول به أي تسع سنين . (قل الله أعلم بما لبثوا) الله مبتـدأ وأعلم خبر والجملة مقول القول وبما متعلقـان بأعلـم وجملة لبثوا صلة الموصول أي بالزمن الذي لبثوه . (له غيب السموات والارض أبصر بهوأسمع)له خبر مقدموغيبالسموات والارض مبتدأ مؤخر وأبصر صيغة تعجب وهو فعل ماض أتى على صيغة الأمر ومعناه الخبر والباء مزيدة في الفاعـل اصلاحاً للفظ وسيأتي البحث في صيغتي التعجب في باب البلاغة واسمع عطف على ابصر . (مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً) ما نافية ولهم خبر مقدم ومن دونه حال ومن حرف جر زائد وولي مبتدأ مؤخر محلاً ولا الواو عاطفة ولا نافية ويشرك فعل مضارع وفاعل مستتر وفي حكمه متعلقان بيشرك وأحداً مفعول به .

البلاغـة :

الكلام يطول جداً على هذه الآيات وما اشتملت عليـه من فنون بلاغية وسنجنح الى الاختصار ما أمكن فنقول :

١ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « يتنازعون بينهم أمرهم » استعارة مكنية فقد شبه أمرهم بشيء كثر النزاع حوله ثم حذف ذلك الشيء واستعير النزاع القائم حوله .

وفي قوله تعالى « رجماً بالغيب » استعارة مكنية أيضاً فقد شبه الغيب والخفاء بشيء يرمى بالحجارة واستعير الرجم له .

٢ ـ واو الثمانية والخلاف المشتجر حولها :

وعدناك بأن نأتي بالأقوال حول الواو الداخلة على ثامنهم في قوله تعالى « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » وقد قدمنا في الاعراب ما اخترناه من هذه الاقوال فقال عدد من كبار الادباء انها واو الثمانية قال ابن هشام : « واو الثمانية ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعلبي وزعموا أن العرب إذا عدوا قالوا ستة سبعة وثمانية إيذاناً بأن السبعة عدد تام وان ما بعده عدد مستأنف واستدلوا على ذلك بآيات احداها « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » الى قوله سبحانه « وثامنهم كلبهم » وقيل هي في ذلك لعطف جملة على جملة إذ التقدير هم سبعة ثم قيل الجميع كلامهم وقيل العطف من كلام الله تعالى والمعنى نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم وان هذا تصديق لهذه المقالة كما ان رجماً بالغيب تكذيب لتلك المقالة » وبعد كلام طويل قال : « وأقول لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها اذ ليس فيها ذكر عدد البتة وانما فيها ذكر الأبواب وهي جمع لايدل على عدد خاص ثم الواو ليست داخلة عليه بل على جملة هو فيها ».

وقال آخرون في الرد على من زعم وجود واو الثمانية : وهو أن في اللغة واواً تصحب الثمانية وتختص بها فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك « والناهون عن المنكر » وهو الثامن من قوله تعالى « التائبون » وهذا مردود أيضاً بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ومواردهما كقوله : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله : وأمر بالمعروف وانه عن المنكر ، وربما عد بعضهم من ذلك الواو في ثيبات وأبكاراً لأنه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فإن هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات أبكاراً لم يستدل الكلام فقد وضح أن المراد في جميع هذه المواضع المعدودة ورادة لغير ما زعمه هؤلاء .

قلت : لو سقطت الواو من أبكار لاختل المعنى لأنهن لا يكنّ ثيبات أبكاراً في وقت معاً فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة . هذا وقد كان القاضي الفاضل صاحب الطريقة المصنوعة في الانشاء يعتقد زيادة الواو في هذه الآية ويتبجح باستخراجها ويقول هي واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبو الجود المقري فبين له أنه واهم وان الضرورة تدعو الى دخولها وإلا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال أرشدتنا يا أبا الجود .

هذا وممن أيد وجود واو الثمانية الإمام فخر الدين الرازي وقال العلامة الكافيجي قولاً طريفاً منصفاً في هذا الصدد نورده بنصّه : « هي في التحقيق واو العطف لكن لما اختص استعمالها بمحل مخصوص وتضمنت أمراً غريباً واعتباراً لطيفاً ناسب أن تسمى باسم غير جنسها

فسميت واو الثمانية لمناسبة بينها وبين سبعة وذلك لأن السبعة عندهم عقد تام كعقود العشرات لاشتمالها على أكثر مراتب أصول الأعداد فان الثمانية عقد مستأنف فكان بينهما اتصال من وجه وانفصال من وجه وهذا هو المقتضي للعطف وهذا المعنى ليس موجوداً بين السبعة والستة. وأقول : ان توجيه تمام السبعة هو أن العدد إما فرد وإما مركب من فردين وهو الزوج أو من زوج وفرد أو من زوجين والثلاثة الأول من الثلاثة فان في ضمنها الواحد والاثنين والآخر من الأربعة . ومجموع الثلاثة والأربعة سبعة فتمت بها الأصول وما يأتي تكرار فالثمانية زوج وزوج قد مضى والتسعة زوج وفرد وهكذا .

هذا وسيأتي المزيد من هذا البحث عند الكلام على « وفتحت أبوابها » وعلى « ثيبات وأبكاراً » فقد طال البحث جداً .

الفوائد :

١ ـ أحكام العدد وتمييزه :

مميز العدد على ضربين منصوب ومجرور فالمجرور على ضربين مفرد ومجموع فالمفرد مميز المائة والألف والمجموع مميز الثلاثة الى العشرة والمنصوب مميز أحد عشر الى تسعة وتسعين ولا يكون إلا مفرداً ومما شذ عن ذلك قولهم ثلاثمائة الى تسعمائة اجتزءوا بلفظ الواحد عن الجمع وقد رجع الى القياس من قال :

ثلاث مئين للملوك وفى بها ... ردائي وجلت عن وجوه الاهاتم

فجاء بتمييز الثلاث جمعاً من لفظ المائة على ما يقتضيه القياس وإن كان

شاذاً في الاستعمال ويجوز في التمييز حينئذ وجهان أحدهما الاتباع على البدل نحو ثلاثة أثواب والنصب على التمييز نحو ثلاثة أثواباً وقوله تعالى ثلاثمائة سنين نصب على البدل أو عطف البيان لثلاثمائة •

هذا رأي أبي اسحق الزجاج قال : ولا يجوز أن يكون تمييزاً لأنه لو كان تمييزاً لوجب أن يكون أقل ما لبثوا تسعمائة سنة لأن المفسر يكون لكل واحد من العدد وكل واحد سنون وهو جمع والجمع أقل ما يكون ثلاثة فيكونون قد لبثوا تسعمائة سنة وأجاز الفراء أن يكون سنين تمييزاً على حد قوله :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأعصم

قال وذلك انه جاء في التمييز سوداً وهو جمع لأن الصفة والموصوف شيء واحد والمذهب الأول لأن الثواني يجوز فيها مالا يجوز في الأوائل ألا ترى أنك تقول يا زيد الطويل ولو قلت يا الطويل لم يجز •

هذا والبيت لعنترة من معلقته التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

وقبل البيت المستشهد به :

ما راعني إلا حمولة أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم

وراعني أفزعني والحمولة : الإبل التي يحمل عليها ووسط ظرف وإذا لم يكن ظرفاً حركت السين فقلت وسط الدار واسع ، وتسف :

تأكل يقال : سففت الدواء أسفه ، والحلوبة المحلوبة تستعمل في الواحد والجمع على لفظ واحد ، والخوافي أواخر ريش الجناح مما يلي الظهر ، والأسحم الأسود ، واثنتان مرفوع بالابتـداء وأربعون معطوف عليه وقوله سوداً نعت لحلوبة لأنها في معنى الجمـع والمعنى من الحلائب والكاف في قولـه كخافية في موضع نصب والمعنى سوداً مثـل خافية الغراب الأسحم ومما ذكرناه في تفسير الحلوبة وصلاحيتها للاطلاق على الواحد والجمع تعلم مافي قولهم ان الشاهد في هذا البيت جواز وصف المميز المفرد بالجمع وادعائهم ان حلوبة مفرد مميز للعدد وانه وصف بالجمع وهو سود الذي هو جمع سوداء وزعم الأعلم ان قوله سوداً ليس بوصف وانما هو حال من قوله اثنتان واربعون قال : « وهو حال من نكرة ويجوز رفعه على النعت ولا يكون نعتاً لحلوبة لأنها مفردة إذا كانت تمييزاً للعدد وسوداً جمع ولا ينعت الواحـد بالجمع » وليس بشيء لأنهم غفلوا عن السر وهو إطلاق حلوبة على الواحد والجمع •

هذا ونلخص فيما يلي أحكام العدد عامة :

ألفاظ العـدد من ثلاثة إلى تسعة تكون عـلى عكس المعدود في التذكير والتأنيث سواء كانت مفردة كقوله تعالى « سخرها عليهم سبع ليـال وثمانية أيام حسوماً » أو مركبة كخمسة عشر قلماً وست عشرة ورقة أو معطوفاً كثلاثة وعشرين يوماً وأربع عشرين ساعة ، وأما واحد واثنان منهما على وفق المعدود في الأحوال الثلاثة ، وأما مائة وألف فلا يتغير لفظهمـا في التذكير والتأنيث ، وكـذلك ألفاظ العقود كعشرين وثلاثين إلا عشرة فهي على عكس معدودها إذا كانت مفردة ، وعلى وفقه إذا كانت مركبة •

هذا ويصاغ من اسم العدد وصف على وزن فاعل مطابق لموصوفه،
أما تعريف العدد ، فالمضاف تدخل الـ على المضاف إليه ، والمركب تدخل ألـ على جزئه الأول ، والمعطوف تدخل الـ على الجزأين •

واما اعراب الاعداد فعلى ثلاثة أشكال :

١ ـ بالحركات من واحد الى عشرة على أن تكون هذه مفردة غير مركبة ويستثنى منها العدد اثنان للمذكر واثنتان للمؤنث فانهما لفظان ملحقان بالمثنى •

وكذلك العددان مائة وألف •

٢ ـ بالحروف وهو العدد اثنان للمذكر واثنتان للمؤنث والعقود•

٣ ـ بالبناء على الفتح وهي الأعداد المركبة أي من أحد عشر الى تسعة عشر ومن الحادي عشر الى التاسع عشر ما عدا الجزء الاول من اثني عشر لأنه يلحق بالمثنى كما تقدم •

اسم الفاعل المشتق من العدد :

يستعمل اسم الفاعل المشتق من العدد على معنيين :

أحدهما : أن يكون المراد به واحداً من جماعة •

وثانيهما : أن يكون فاعلاً كسائر أسماء الفاعلين •

فالأول نحو ثاني اثنين وثالث ثلاثة قال الله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة » وقال عز وجل : « إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين» فما كان من هذا الضرب فإضافة محضة لأن معناه أحد

ثلاثة وبعض ثلاثة فكما أن إضافة هذا صحيحة فكذلك ما هو في معناه ولا يجوز فيه أن ينون وينصب في قول أكثر النحويين لأنه ليس مأخوذا من فعل عامل وأما الثاني وهو ما يكون فاعلاً كسائر أسماء الفاعلين نحو ثالث اثنين ورابع ثلاثة وخامس أربعة فهذا غير الوجه الأول إنما معناه هو الذي جعل الاثنين ثلاثة بنفسه فمعناه الفعل كأنه قال الذي ثلثهم وربعهم وخمسهم وعلى هذا قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم » ومثله : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ..... رجماً بالغيب » ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وعلى هذا الوجه يجوز أن ينون وينصب ما بعـده فتقول : هذا ثالث اثنين ورابع ثلاثة لأنه مأخوذ ثلثهم وربعهم فهو بمنزلة هذا ضارب زيداً والأول أكثر قال سيبويه : قلما تريد العرب هذا يعني خامس أربعة فإن أضفته فهو بمنزلة ضارب زيد فتكون الاضافة غير محضة هذا إذا أريد به الحال أو الاستقبال فان أريد به الماضي لم يجز فيه إلا حذف التنوين والإضافة كما كان كذلك في قولك هذا ضارب زيد أمس .

٢ ـ التعجب وصيغه في العربية :

التعجب انفعال يحدث في النفس عنـد الشعور بأمر خفي سببه ولهذا يقال : إذا ظهر السبب بطل العجب ولا يطلق على الله انه متعجب إذ لا شيء يخفى عليه وما وقع مما ظاهره ذلك في القرآن فمحمول على انه مصروف الى المخاطب نحو قوله تعالى فما أصبرهم على النار أي أن حالهم في ذلك اليوم ينبغي لك أيها المخاطب أن تتعجب وقيل التعجب هو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية فيه ، وقوله تعـالى هنا « أبصر به وأسمع » ذهب العلماء فيه ثلاثة مذاهب :

١ ـ انه بلفظ الأمر ومعناه الخبر والباء مزيدة في الفاعل إصلاحاً

للفظ فإن قلت كيف تكون الهاء فاعلاً وهي ضمير نصب أو جر قلت إنما هو اصطلاح وساغ ذلك لوجود الباء لفظاً قبلهـا ولأن الباء إنما زيدت ليصير على صورة المفعول .

٢ ـ ان الفاعل ضمير المصدر .

٣ ـ ان الفاعل ضمير المخاطب واحتـج القائلون بذلك على انه لا يعهد استعمال الأمر في الماضي وانما التزم إفراده وتذكيره فلم يثن ولم يجمع ولم يؤنث لأنه كلام جرى مجرى المثل وهـذه إحدى صيغ التعجب القياسية .

والثانية ما أفعله وهاتان الصيغتان هما المبوب لهما في كتب النحو وهما القياسيتان ومعنى ما كما قال سيبويه انها نكرة تامة بمعنى شيء وابتدىء بهـا لتضمنها معنى التعجب وما بعدها من الجملة الفعلية في موضع رفع خبرها وهذا هو المذهب الصحيح لأن قصد المتعجب الإعلام بأن المتعجب منه ذو مزية إدراكها جلي وسبب الاختصاص بها خفي فاستحقت الجملة المعبر بها عن ذلك أن تفتتح بنكرة غير مختصة ليحصل بذلك ابهام متلو بافهام .

وهنالك صيغ أخرى للتعجب واردة في الكتاب والحديث ولسان العرب فمن الكتاب « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم » ومن الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة « سبحان الله ان المؤمن لا ينجس » ومن كلام العرب « لله دره فارساً » ولكن النحاة لم يبوبوا لهذه الصيغ لأنها لم تدل على التعجب بالوضع بل بالقرينة .

مسائل هامة :

١ ـ لا يتعجب الا من معرفة أو نكرة مختصة فلا يقال ما أسعد رجلاً لأنه لا فائدة من ذلك .

٢ ً ـ يجوز حـذف المتعجب منه إذا كان ضميراً كقول علي بن أبي طالب كما قيل :

جزى الله عني والجزاء بفضله ربيعـة خيراً ما أعف وأكرما

أي ما أعفها وأكرمها وإنما قلنا كما قيل لأن هذا البيت لم يثبت لعلي وفي القاموس في مادة «ودق» نقلاً عن المازني وصوبه الزمخشري انه لم يصح انه تكلم بشيء من الشعر غير بيتين وهما قوله :

تلكم قريش تمنـاني لتقتلني فلا وربك لا برّوا ولا ظفروا
وإن هلكت فرهن ذمتي لهـم بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وفي باب أفعل به إن كان معطوفاً على آخر مذكور معـه كما في الآية : « أبصر به وأسمع » وانما حذف مع كونه فاعلاً لأن لزومه للجر كساه صورة الفضلة وشذ حذفه دون أن يعطف على مثله كقول عروة ابن الورد :

فـذلك إن يلق المنية يلقهـا حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر

فحذف المتعجب منه ولم يكن معطوفاً على مثله .

هذا ولا يبنى هذان الفعلان إلا مما اجتمعت فيه ثمانية شروط :

١ ً ـ أن يكون فعلاً وشذ قولهم ما أذرع المرأة بنوه من قولهم امرأة ذراع والذراع كسحاب: الخفيفة اليدين بالغزل وروى ابن القطاع في الأفعال ذرعت المرأة خفت يدها في العمـل فهي ذراع وعلى هـذا لا شذوذ في قولهم ما أذرع المرأة ومن ذلك قولهم ما أجـدره بكذا

وما أقمنه بكذا فالأول بنوه من قولهم هو قمين بكذا والثاني من قولهم هو جدير بكذا والمعنى فيهما ما أحقه بكذا ولا فعل لهما ولكن قال في القاموس « وقد جدر ككرم جدارة وإنه لمجدرة أن يفعل ومجدور أي مخلقة وجدره جعله جديراً » وطاح كلام النحاة من أساسه .

٢ ـ أن يكون الفعل ثلاثياً فلا يبنيان من رباعي مجرد ولا مزيد فيه ولا ثلاثي مزيد بحرف أو حرفين أو ثلاثة إلا وزن أفعل فقيل يجوز بناؤهما منه سواء كانت الهمزة فيه للنقل أم لا نحو ما أظلم الليل وما أقفر هذا المكان وقيل هو شاذ يحفظ ماسمع منه كما تقدم ولايقاس عليه وقالوا : ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف وما أتقاه لله وشذ كذلك ما أخصره لأنه من اختصر .

٣ ـ أن يكون الفعل متصرفاً لأن التصرف فيما لا يتصرف نقض لوضعه وشذ ما أعساه وأعسى به .

٤ ـ أن يكون معناه قابلاً للتفاضل أو التفاوت فلا يبنيان من نحو فني ومات وغرق لأنه لا مزية فيه لبعض فاعليه على بعض حتى يتعجب منه .

٥ ـ أن يكون مبنياً للمعلوم فلا يبنيان من المبني للمجهول وبعضهم استثنى ما كان ملازماً للبناء على المجهول نحو عنيت بحاجتك وزهي علينا فيجيز التعجب لعدم اللبس فتقول ما أعناه بحاجتك وما أزهاه علينا .

٦ ـ أن يكون تاماً فلا يبنيان من نحو كان وكاد وصار لأنهن نواقص وحكى ابن السراج والزجاج : ما أكون زيداً قائماً .

٧ ـ أن يكون مثبتاً فلا يبنيان من منفي سواء كان ملازماً للنفي نحو ما عاج بالدواء أي ما انتفع به ومضارعه يعيج ملازم للنفي أيضاً

كذا قال النحاة وطاح كلامهم بوروده غير منفي ، روى أبو علي القالي في نوادره : أنشدنا ثعلب عن ابن الاعرابي :

ولم أر شيئاً بعد ليـــلى ألذه ولا مشرباً أروى به فأعيـــج

أي أنتفع به أم غير ملازم للنفي لئلا يلتبس المنفي بالمثبت •

٨ً ـ أن لا يكون اسم فاعله على وزن أفعل فعلاء فلا يبنيان من نحو عرج فهو أعرج من العيوب وشهل فهو أشهل من المحاسن وخضر الزرع فهو أخضر من الألوان ولمي فهـو ألمى من الحلي لأن الألوان والعيوب والمحاسن الظاهرة جرت مجرى الخلق الثابتة التي لا تزيـد ولا تنقص كاليد والرجل وسائر الأعضاء في عدم التعجب منها •

شرط تاسع :

وهناك شرط تاسع أغفله الكثير من النحاة مع أنه مهم جداً وهو أن لا يستغنى عنه بالمصوغ من غيره نحو قال من القائلة فانهم لا يقولون ما أقيله استغناء بقولهـم ما أكثر قائلته ، ذكره سيبويه ونحو سكر وقعد وجلس فانهـم لا يقولون ما أسكره وأقعـده وأجلسه استغناء بقولهم ما أشد سكره وأكثر قعـوده وجلوسه وزادّ ابن عصفور قام وغضب ونام ، وحكى سيبويه ما أنومه وقالوا أنوم من فهد •

كيف يتم التوصل الى التعجب مما فقد بعض الشروط :

ويتوصل الى التعجب من الزائد على الثلاثي ومما وصفه على أفعل فعلاء بما أشد ونحوه وبنصب مصدرهما بعده وبأشدد ونحوه وبجر مصدرهما بعده فتقول ما أشد انطلاقـه أو حمرته وأشـدد بانطلاقه وحمرته والمنفي والمبني للمجهول يكون مصدرهما مؤولاً لا صريحاً

نحو ما أكثر أن لا يقوم وما أشد ما ضرب واشدد بهما وأما الناقص فيؤتى بمصدره إن كان له مصدر على نحو ماتقدم نحو ما أشد صيرورته جميلاً وأما الجامدة وغير القابل للتفاوت فلا يتعجبْ منهما البتة .

٣ ـ القول في أحد ، والفرق بين الأحد والواحد :

أحد أكمل من الواحد ألا ترى أنك اذا قلت : فلان لا يقوم له واحد جاز في المعنى أن يقوم له اثنان فأكثر بخلاف قولك لا يقوم له أحد وفي

الأحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار أحد فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والإنس فيعم الناس وغيرهم بخلاف ليس في الدار واحد فإنه مخصوص بالآدميين .

ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الواحـد فيستعمل في النفي والاثبات نحو « قل هو الله أحد » أي واحد ، وأول « فابعثوا أحدكم بورقكم» وبخلافهما فلا يستعمل إلا في النفي تقول ماجاءني من أحد ومنه قوله تعالى : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد » وواحد يستعمل فيهما مطلقاً وأحد يستعمل في المذكر والمؤنث قال تعالى « لستنّ كأحد من النساء » بخلاف الواحـد فلا يقال كواحد من النساء بل كواحدة ، وأحد يصلح للأفراد والجمع ولهذا وصف به في قوله « من أحـد عنه حاجزين » بخلاف الواحـد والأحد له جمع من لفظـه وهو الأحدون والآحاد وليس للواحد جمع من لفظه فلا يقال واحدون بل اثنان وثلاثة، والأحد ممتنع من الدخول في شيء من الحساب بخلاف الواحد فتلخص من ذلك سبعة فروق .

٤ ـ قصة انقطاع الوحي لفترة محدودة :

ولا بد هنا من تفصيل قصة انقطاع الوحي فقد ذكر الرواة أن قريشاً لجأت الى وسيلة رهيبة لتكافح بها تأثير القرآن فأوفدت الى يهود يثرب فداً يسألها عن الوسائل التي تستطيع أن تقاوم بها هذا الذي جاء به محمد فطلب منهم اليهود أن يسألوا النبي عن أمور فلما عادوا الى مكة ذهبوا اليه وقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وأخبرنا عن الروح ما هي ؟ فقال لهم النبي :

ـ أخبركم عما سألتم غداً •

وكان رسول الله ينتظر أن ينزل عليه وحي فيه جواب ما سألت عنه قريش ولكن الوحي أبطأ على النبي خمسة عشر يوماً وطارت قريش فرحاً بعجزه عن الجواب وقالت وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه وقد أحزن النبي انقطاع الوحي عنه حزناً شديداً وزاد في قلقه ما كان يتكلم به أهل مكة وفي ختام هذا اليوم نزل جبريل فابتدره بقوله :

ـ لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظناً فرد عليه جبريل بالآية الكريمة : « وما تتنزل إلا بأمر ربك ، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا » ثم أخذ جبريل يلقن النبي سورة « الكهف » وفيها ـ كما سيأتي ـ رد على ما سألت قريش وتفصيل رائع لكثير من الأمور التي تشغل الأذهان إذ ذاك وقد أخذت عليهم اجابات سورة الكهف السبيل فلم يحيروا رداً ولا جواباً •

وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

اللغـــة :

(ملتحداً) : ملتجأ تجنح اليه لائذاً إن هممت بالتبديل للقرآن وفي المصباح : « قال أبو عبيدة : ألحد إلحاداً جادل وماری ولحد جار وظلم وألحد في الحرم استحل حرمته وانتهكها والملتحــد بالفتح اسم الموضع وهو الملجــأ » وفي القاموس : « التحد عن الدين بمعنى ألحد والتحد إلى كذا مال والتحد إلى فلان التجأ » .

(ولا تعد عيناك) لا تنصرف يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيد فحق الكلام أن يقــال بالنصب أي لا تعد عينيك وانما عدل الى الرفــع لأنه أراد صاحب العينين فهو من المجاز وسيأتي مزيد شرح له في باب البلاغة .

(فرطاً) : بضمتين أي مجاوزاً الحد وقد تقدم شرح هذه المادة مفصلاً .

الاعراب :

﴿ واتل ما أوحي اليك من كتاب ربك ﴾ الواو عاطفة واتل فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر تقديره أنت وما مفعول به وجملة أوحي صلة واليك متعلقان بأوحي ومن كتاب ربك حال من ما ﴿ لا مُبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً ﴾ لا نافية للجنس ومبدل اسمها مبني على الفتح ولكلماته خبر والجملة حالية ولن تجد عطف ومن دونه حال وملتحداً مفعول به . ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾ واصبر عطف وهو فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ونفسك مفعول به ومعنى الصبر هنا حبس النفس وتثبيتها وفي المختــار : الصبر حبس النفس عن الجزع وبابه ضرب وصبره حبسه قال تعالى : « واصبر نفسك » وقال أبو ذؤيب يرثي ابنه :

فصبرت عارفة لذلك حَسرة ترسو إذا نفس الجبان تطلــع

أي حبست نفساً عارفة لذلك البلاء وضمّن عارفة معنى صابرة فعداه باللام وجسرة أي قوية صلبة ويروى حرة تسكن إذا طلعت نفس الجبان من مستقرها وطارت شعاعاً . ومع الــذين ظرف مكان متعلق باصبر وجملة يدعون ربهم صلة وربهم مفعول به وبالغــداة والعشي متعلقان بيدعون وجملة يريدون وجهه حال . ﴿ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ عطف على واصبر ولا ناهية وتعد مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف حرف العلة وعيناك فاعــل وعنهم متعلقان بتعد وجملة تريد زينة الحياة الدنيا حال والدنيا صفة وسيأتي القول مفصلاً عنها في باب الفوائد . ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ الواو عاطفة على ما تقدم ولا ناهية وتطع مجزوم بها والفاعل مستتر ومن مفعول به وجملة أغفلنا صلة وقلبه مفعول به وعن

ذكرنا متعلقان بأغفلنا واتبع هواه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به والواو عاطفة وكان واسمها وخبرها •

البلاغـة :

المجاز العقلي :

في قوله « ولا تعد عيناك » مجاز عقلي لأنه أسند فعل عدا أي تجاوز الى العينين ومن حقه أن يسندهما إليه لأن عدا متعد بنفسه كما تقدم وانما جنح الى المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة فكأن عينيه ثابتتان في الرنو إليهـم وكأنما أدركتا مالا تدركـان وأحستا بوجوب النظر الى هؤلاء وصبر النفس ورياضتها على ملازمتهم •

وقيل هو من باب التضمين فقد ضمن عدا معنى نبا وعلا من قولهم نبت عينه عنه إذا اقتحمته ولم تعلق به والغرض من هذا التضمين اعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من اعطاء معنى مفرد أي لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم وهو جميل أيضاً •

الفوائـد :

القاعدة في اسم التفضيل انه اذا كان مقترناً بأل امتنع وصله بمن الجارة فلا يقال فلان الأفضل من فلان ووجبت مطابقته لما قبله إفراداً وتثنية وجمعاً وتذكيراً وتأنيثاً وقد شذ وصله بمن في قول الشاعر :

ولست بالأكثر منهـم حصى وإنمـــا العزة للكـــاثر

وإذا تجرد من أل والاضافة فلا بد من إفراده وتذكيره في جميع

أحواله وأن تتصل به من المجارة ولو تقديراً نحو قوله تعالى « وللآخرة خير وأبقى » •

وإذا أضيف الى نكرة وجب إفراده وتذكيره وامتنع وصله بمن الجارة •

واذا أضيف الى معرفة امتنع وصله بمن الجارة وجاز فيه وجهان : الإفراد والتذكير كالمضاف الى نكرة ومطابقته لما قبله وقد ورد الاستعمالان في القرآن فمن الأول« ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » ولم يقل أحرصي الناس ومن الثاني « وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها » •

حكم الدنيا : هذا والقياس أن تأتي الدنيا بالألف واللام لأنها صفة في الأصل على وزن فعلى والمذكر الأدنى له فمن حقها المطابقة كما أتت في الآية التي نحن بصددها على أنهم استعملوها استعمال الأسماء فهم لا يكادون يذكرون معها الموصوف فاستعملوها بغير ألف ولام كسائر الاسماء قال العجاج :

يومَ ترى النفوس ما اعدتِ ... من نزل إذا الأمور غبّت
في سعي دنيا طالما قد مدت ... حتى انقضى قضاؤها فأدتِ

وقال بشامة بن حزن النهشلي وقيل للمرقش الأكبر :

وإن دعوت الى جلى ومكرمة ... يوماً سراة كرام الناس فادعينا

فقيل جلى مؤنث أجل على حد الأكبر والكبرى وبذلك يجري مجرى دنيا في سيرورة الاستعمال استعمال الأسماء وقيل هو مصدر

كالرجعى والبشرى بمعنى الرجوع والبشارة فأما قول أبي نواس الحسن ابن هانيء يصف الخمر :

كــأن صغرى وكبرى من فواقعهــــا
حصباء در عـــلى أرض من الــذهب

فقد عابه بعضهم لكونه استعملها نكرة وهذا الضرب من الصفات لا يستعمل إلا معرفة والاعتــذار عنه انه استعملهــا استعمال الأسماء لكثرة ما يجيء منه بغير تقــدم موصوف ويجوز أن يكون لم يرد فيه التفضيل بل معنى الفاعل كأنه قال كأن صغيرة وكبيرة من فواقعها على حد قوله تعالى « وهو أهون عليه » وقيل ان « من » المذكورة زائدة وكبرى مضافة الى فواقعهــا لكن يرد عــلى هــذا أن زيــادة من في الموجب لا تجوز .

وقــال ابن الأثير في المثــل السـائر : « ألا ترى أن أبا نواس كان معدوداً في طبقات العلماء مع تقدمــه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال في صفة الخمر :

كــأن صغرى وكبرى من فواقعهــــا
حصباء در عـــلى أرض من الــذهب

وهذا لا يخفى على أبي نواس فإنه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه في شيء لأنه أمر نقلي يحمله ناقله فيه على النقل من غــير تصرف وقول أبي نواس « صغرى وكبرى » غير جائز فإن فعلى أفعل لا يجوز حذف الألف واللام منها وانما يجوز حذفها من فعــلي التي لا أفعل لها نحو حبلى إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة وهاهنا قد عريت

عن الاضافة وعن الألف واللام فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته » •

ورد ابن أبي حديد في كتاب « الفلك الدائر » على هذا القول بأن قال : « لا ينكر أن كثيراً من أئمة العربية طعن في هـذا البيت ولكن انتصر لأبي نواس كثير منهم فقالوا : وجدنا فُعلى أفعل في غير موضع واردة بغير لام ولا إضافة ولا من مثل دنيا في قول الراجز : في سعي دنيا طالما قد مدت ، وقول الآخر : وإن دعوت الى جلى ومكرمة ، وقول الآخر لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة ، وقالوا : طوبى لك • وفي البيت وجه آخر وهو أن تكون من في قولـه من فواقعها زائدة عـلى مذهب أبي الحسن الأخفش في زيادة من في الواجب فإنه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى : « فيها من برد » أي فيها برد وهذا يرجح أن يكون صغرى وكبرى في البيت مضافتين » •

وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس : هذا عجيب من مثل هـذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا وأخواتها فكل وجوهها مذكورة في كتب النحاة بما يغني عن الإطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى ، وأما قوله بزيادة من فكأنـه يظن أن من إذا كانت زائدة كان الجر بالإضافة أو كانت الإضافة باقية وهذا لا وجه له وإنما الجر بحرف الجر لأن حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المتضايفين فلم يقل به إلا في مثل لا أبالك على شذوذ وليس هذا منه ولا يريد الأخفش بقوله ان من تزاد في الواجب ما أراد ابن أبي الحديـد » ومثله قول العروضيين فاصلة صغرى وفاصلة كبرى أي صغيرة وكبـيرة لا يريدون التفضيل وانما يريدون الاسم وقول أبي تمام يصف الربيع :

دنيـا معاش للورى حتى إذا حـل الربيع فإنما هي منظـر

غلبت الاسمية عليها حتى لم يعد يلمح لأصل التفضيل فيها •

ونتهز الفرصة لنورد أبياتاً من القصيدة التي منها هـذا البيت لأبي نواس لحسنها ، ومطلعها :

ساع بكأس إلى ناس على طرب كلاهمـا عجب في منظر عجب

قامت تريني وستر الليـــل منسـدل

صبحاً تولـــد بين المــــاء والعنب

كأن صغرى وكبرى •••• البيت وبعده

كأن تركـاً صفوفـاً في جوانبهـــا

تواتر الرمي بالنشـاب من كثـــب

في كف ساقيـــة ناهيـك ساقيـــة

في حسن قـــدّ وفي ظرف وفي أدب

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

اللغـــة :

(اعتدنا) : أعددنا وهيأنا وفي القاموس « عتّد وأعتد الشيء : هيأه وأعده وعتُد الشيء يعتُد من باب ظرف وجمل عَتاداً تهيأ، وتعتّد في صنعته تأنّق فيها والعتاد : ما أعد لأمر ما ، وكل ما هيء من سلاح وآلة حرب والجمع أعتُد وعُتُد وأعتدة » .

(سرادقها) : السرادق بضم السين وكسر الدال : الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت والخيمة والغبار والدخان المرتفع المحيط بالشيء والجمع سرادقات وفي الكشاف « شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخول النار وقيل حائط من نار يطيف بهم » وقال الراغب : « السرادق : فارسي معرب وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث حروفه ألف بعدها حرفان إلا هذا وفي المختار : السرادق مفرد والجمع سرادقات الذي يمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف أي قطن فهو سرادق ويقال بيت مسردق . قال الجوهري : والسرادق واحد السرادقات وهي التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق ومنه قول رؤبة :

يا حكم بن المنـــذر بن جارود سرادق المجـد عليك ممدود

وقال الشاعر :

هو المدخل النعمان بيتاً سماؤه صدور الفيول بعد بيت مسردق

يقوله سلام بن جندل لما قتـــل ملك الفرس ملك العرب النعمان ابن المنذر تحت أرجل الفيلة .

(المهل) : بضم الميـم اسم يجمـع معدنيات الجواهر كالفضة والحديد والصفر ، ما كان منها ذائباً ، القطران الرقيق ، الزيت الرقيق ، السم ، القيـح أو صديد الميت خاصة ، ما يتحات عن الخبز من الرماد وقيل هو كعكر الزيت أي ما بقي في الإناء منه والخلاصة هو اسم جامع لكل المستقذرات التي تغثى منها النفس وتتألم وتنفر .

(مرتفقاً) : تقدم ذكر هذه المادة في هذه السورة وهي هنا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا الآتي وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء وقد يكون من وادي قوله :

إني أرقت فبت الليـــل مرتفقاً كأن عيني فيها الصاب مذبوح

والارتفاق الاتكاء على المرفق مع نصب الساعد وهي هيئة المتحزن المتحسّر ، والصاب نبت مرّ كالحنظل ، والمذبوح المشقوق وهو كناية عن البكاء وانصباب الدموع والبيت لأبي ذؤيب الهذلي .

(السندس) : ما رقّ من الديباج .

(الاستبرق) : ما غلظ من الديباج والاستبرق يونانية والسندس

فارسية وقيل هندية وقد تقدم ذكرهما في جدول أحصينا فيه الألفاظ الأعجمية .

الاعراب :

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الحق خبر لمبتدأ محذوف ومن ربكم حال ويجوز أن يكون الحق مبتدأ ومن ربكم خبره ، فمن شاء الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ وشاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره هو والفاء رابطة للجواب لأن الجملة طلبية واللام لام الأمر ويؤمن مضارع مجزوم بلام الأمر ومن شاء فليكفر عطف على سابقتها . (إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها) إن واسمها وجملة أعتدنا خبرها وللظالمين متعلقان بأعتدنا وناراً مفعول به وأحاط بهم سرادقها الجملة صفة لنار، وأحاط فعل ماض وبهم متعلقان بأحاط وسرادقها فاعل أحاط . . (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الواو عاطفة وإن شرطية ويستغيثوا فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل ويغاثوا جواب الشرط وبماء متعلقان بيغاثوا وكالمهل صفة لماء وجملة يشوي الوجود صفة ثانية أو حال والوجوه مفعول به . (بئس الشراب وساءت مرتفقاً) بئس فعل ماض جامد من أفعال الذم، والشراب فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي هي وساءت عطف على بئس ومرتفقاً تمييز محول عن الفاعل أي مرتفقها ولا تلتفت لمن أعربهـا مصدراً . (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملاً) إن واسمها وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا ، إنا لا نضيع يجوز أن تكون هـذه الجملة خبر إن أو يجوز أن تجعلها معترضة وان واسمها وجملة لا نضيع خبرها وفاعل نضيع مستتر تقديره نحن وأجر مفعول

به ومن موصول مضاف اليه وجملة أحسن صلة وعملاً تمييز ويجوز أن يكون مفعولاً به وفاعل أحسن ضمير هو الرابط اذا جعلت إنا لا نضيع خبر إن الذين أو الرابط هو تكرر الظاهر بمعناه . (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار) الجملة خبر ثان لإن الذين أو خبر إذا جعلت جملة إنا لا نضيع معترضة وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم وجنات عدن مبتدأ مؤخر والمبتدأ الثاني وخبره خبر أولئك وجملة تجري من تحتهم الأنهار حال من جنات أو صفة لها فصار لهم بذلك نوعان من الثواب من خمسة أنواع والثلاثة الباقية هي : (يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك) يحلون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وفيها حال أي حال كونهم في الجنة أو متعلقان بيحلون ومن أساور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول محذوف أي حلياً من ذهب ، ومن ذهب صفة لأساور ويلبسون عطف على يحلون والواو فاعل وثياباً مفعول به وخضراً صفة ومن سندس صفة أو حال من ثياباً واستبرق عطف على سندس ومتكئين حال من أولئك وفيها حال أيضاً فهي متداخلة وعلى الأرائك متعلقان بمتكئين فتمت بذلك النعم السوابغ الخمس . (نعم الثواب وحسنت مرتفقاً) تقدم اعراب نظيرتها فجدد به عهداً .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون كثيرة من البلاغة تقدم ذكر معظمها فنكتفي بالاشارة اليها :

١ ـ التهكم :

في قوله تعالى « يغاثوا بماء كالمهل » فقد سمى أعلى أنواع العذاب

إغاثة والإغاثة هي الإنقاذ من العذاب تهكماً بهم وتشفياً منهم والتهكم فن طريف من فنونهم من تهكمت البئر إذا تهدمت أو من التهكم بمعنى الغضب الشديد أو الندم على أمر فائت فالبشارة فيه إنذار والوعد معه وعيد والإجلال للمخاطب المتهكم به تحقير وهذه الآية من أحسن شواهده إذ جعل الإغاثة ضد الإغاثة نفسها ففيه الى جانب التهكم مشاكلة أيضاً وقد افتتن الشعراء بهذا المعنى وأخذه بعضهم بلفظه فأجاد من جهة وأسف من جهة التركيب وذلك بقوله يهجو بخيلاً :

أبات الضيوف على سطحه ... فبات يريهم نجوم السماء
وقد فتت الجوع أكبادهم ... وان يستغيثوا يغاثوا بماء

وقد برع فيه من شعرائنا ابن الرومي وأوردنا نماذج من تهكمه ونورد الآن أبياتاً له يتهكم فيها بصاحب لحية طويلة :

ارع فيها الموسى فإنك منها ... يشهد الله في اثام كبير
أيما كوسج يراها فيلقى ... ربه بعدها صحيح الضمير
هو أحرى بأن يشك ويغرى ... باتهام الحكم في التقدير
لحية أهملت فسالت وفاضت ... فإليها تشير كف المشير
ما رأتها عين امرىء ما رآها ... قط إلا أهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها ... من رأى وجه منكر ونكير
فاتق الله ذا الجلال وغير ... منكراً فيك ممكن التغيير
أو فقصر منها فحسبك منها ... نصف شبر علامة التذكير

ومغالطته بادية من دخيلة احساسه بهيبة اللحية حتى البحتري لم تسلم لحيته من هجوه إذ يقول :

البحتري ذنوب الوجـــه تعرفـــه
وما رأينـا ذنوب الوجـــه ذا أدب

٢ ـ التشبيه المؤكد :

في قوله تعالى « إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » فقـد شبه النار المحيطة بهـم بالسرادق المضروب على من يحتويهم وأضيف السرادق الى النار فذلك هو التشبيه المؤكد وهو أن يضاف المشبه الى المشبه به كقول بعضهم :

والريح تعبث بالغصون وقـــد جرى
ذهب الأصيــل عــلى لجين المـاء

فقد أضاف الأصيل وهو المشبه الى الـذهب وهو المشبه به كما أضاف الماء الذي هو المشبه الى اللجين الذي هو المشبه به وقـد رمقه شوقي فقال في وصف دمشق :

دخلتهـــا وحواشيها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقيان

والمراد بالتشبيه المؤكـد قوله لجين المـاء أما حواشيها زمردة والشمس عقيان فهو من التشبيه البليغ المضمر الأداة .

٣ ـ المشاكلة :

وذلك في قوله « وساءت مرتفقاً » فقـد ذكر الارتفاق مشاكلة لقوله فيما بعد في وصف أهل الجنة « وحسنت مرتفقاً » لأن ارتفاق

اليد في النار لا يصح بل فيها العذاب والضرر وقد ذكرنا في باب اللغة انه يجوز أن يكون الارتفاق ناشئاً عن الهم والعذاب كقول الهذلي المتقدم فلا مشاكلة ومن طريف المشاكلة قول بعضهم وقد دعاه إخوانه الى صبوح وليس لديه ثياب يلبسها فكتب اليهم :

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة
وأتى رسولهم إليّ خصيصا
قالوا التمس شيئاً نجد لك طبخة
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

ومن المفيد أن نشير الى تأنيث حسنت وساءت وذلك على المعنى أي ساءت النار مرتفقاً وحسنت الجنة مرتفقاً .

٤ ـ الاستتباع :

وهو فن جميل يتقصى الشيء الذي تتصدى للكتابة عنها باستقصاء الاوصاف المحيطة به والملائمة له فلا يكاد المتكلم يذكر معنى من المعاني أو يتناول غرضاً من الأغراض حتى يستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصفه فقد ذكر تعالى الجنة جزاء للذين آمنوا وعملوا الصالحات فوصفها بأن الانهار تجري خلالها من تحتهم ثم ذكر الأساور حلية لهم ونكرها لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس والاستبرق وهما ما رقّ وغلظ من ألبسة الحرير على عادة المترفين الذين يعدون ثياباً للصيف تصلح له وللشتاء لباساً أخرى تلائم حالات البرد الشديد وخص الاتكاء بالذكر لأنه هيئة المنعّمين المترفين المسترخين على المقاعد والسرر في الابهاء المتعة والقصور المنيفة فسبحان قائل هذا الكلام .

ومن الاستتباع في الشعر قول المتنبي :

نهبت من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

فقد استتبع مدحه بالشجاعة مدحه بأنه سبب لصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده لأنه سبب عمرانها ومثله قوله أيضاً :

الى كم ترد الرسل عما أتوا به كأنهم فيما وهبت ملام

فقد مدح سيف الدولة بالشجاعة أيضاً واستتبع في باقي البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات والمعنى انك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم اللائمين لك في العطاء أي كما انك لا تصغي الى ملامة لائم في سخائك فكذلك لا تقبل الهدنة وهذا من أروع ما تبتكره الأذهان ومن الفائدة أن نورد أبياتاً مختارة من هذه القصيدة التي قالها في مديح سيف الدولة وقد وردت عليه رسل الروم يطلبون الهدنة في سنة أربع واربعين وثلاثمائة وأولها :

أراع كذا ؟ كل الملوك همام وسح له رسل الملوك غمام ؟

يقول هل راع ملك جميع الملوك كما أرى من روعك إياهم وهل تقاطرت الرسل على ملك كما تقاطرت عليك جعل توالي الرسل عليه كسح الغمام وفي البيت براعة استهلال لأنه أشار فيه وهو مطلع القصيدة الى موضوع الرسل ، ثم قال :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً

وأيامها فيما يريد قيام

إذا زار سيف الدولة الروم غازياً

كفاها لمام لو كفاه لمام

فتى يتبع الأزمان في الناس خطوه

لكل زمان في يديه زمام

تنام لديك الرسل أمناً وغبطة

وأجفان رب الرسل ليس تنام

حذاراً لمعروري الجياد فجاءة

إلى الطعن قبلاً ما لهن لجام

تعطف فيه والأعنة شعرها

وتضرب فيه والسياط كلام

الى كم ترد الرسل عما أتوا به

كأنهم فيما وهبت ملام

وإن كنت لا تعطي الذمام طواعة

فعوذ الأعادي بالكريم ذمام

وإن نفوساً أممتك منيعة

وإن دماء أملتك حرام

وفيها يقول :

وشر الحمامين الزؤامين عيشة

يذل الذي يختارها ويضام

فلو كان صلحاً لم يكن بشفاعة
ولكنه ذل لهم وغرام

* وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ

أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ﴿٤٢﴾ ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ﴿٤٣﴾ هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا ﴿٤٤﴾

اللغـــة :

(أعناب) : جمـع عنب والعنبـة الحبة وفي القاموس وغيره : عنّب الكرم : صار ذا عنب والعنب ثمر الكرم وجمعه أعناب والحبـة منه عِنبَة .

(وحففناهما) : جعلنا النخل محيطاً بكل منهما . يقـال : حفه القوم إذا طافوا به وحففته بهم إذا جعلتهـم حافين حوله فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقـولك غشيه وغشيته به وفي الأساس : « حفّـوا به واحتفّوا أطافوا وهـم حافون به وحففته بالناس : جعلتهم حافّين به و « حُفّت الجنة بالمكـاره » « وحففناهما بنخل » ودخلت عليه وهو محفوف بخدمه ، وهودج محفف بالديباج ، قال امرؤ القيس :

رفعن حوايا واقتعدن قعائداً وحفّفن من حوك العراق المنمّق

وجلسوا حفافيه وحفافي سريره وهما جانباه وركبت في محفتها ، وهو رجـل محفوف بثوب ، وما بقي في شعر رأسه إلا حِفاف وهو طرّة حول رأسه وحفّت المرأة وجهها واحتفّته : أخذت شعره ، وحفّ الفرس والريح والطائر والسهـم حفيفاً وهو صوت مروره ولأغصان الشجرة حفيف » .

(ثمر) : أنواع من المال من ثمر مالـه اذا كثره بالتشديد وفي المصباح : الثمر بفتحتين والثمرة مثله فالأول مذكر ويجمع عـلى ثمار مثل جبل وجبال ثم يجمع على ثمر ككتاب وكتب ثم يجمع على أثمار مثـل عنق وأعناق والثاني مؤنث والجمـع ثمرات مثل قصبة وقصبات والثمر هو الحمـل الذي تخرجه الشجرة سواء أكل أو لا فيقال ثمر الأراك وثمر العوسج وثمر الدوم وهو المقل كما يقال ثمر النخل وثمر العنب ، قال الأزهري : وأثمر الشجر أطلع ثمره أول ما يخرجه فهو مثمر ومن هنا قيل لما لا نفع فيه : ليس له ثمرة وفي الأساس : « وكان له ثمر » أي مال واثطر ثمر مالك ونماءه ومال ثمِر : مبارك فيه وأثمر القوم وثمروا ثموراً : كثر مالهم وثمّر ماله يثمّر كثر وفلان مجدود ما يثمّر له مال » والمراد في الآية انه كان الى جانب الجنتين الموصوفتين الأموال الداثرة من الـذهب والفضة وغـيرهما وكان وافر اليسار من كل وجـه .

(حسباناً) : إما أن تكون مصدراً كالغفران والبطلان فإن لحسب مصادر عديدة تقول حسبه بفتح السين يحسُبه بضمها حَسْباً وحساباً وحِسباناً وحُسباناً وحِسبة وحسابَة : عده ، وتقول : حسِبه بكسر السين يحسبه بكسـرها وفتحهـا حسباناً ومحسِبة ومحسَبَة : ظنه ، وتقول حسب بضم السين يحسُب بضمهـا أيضاً حَسَبَاً وحَسابة : كان ذا حسب وذا كـرم فهو حسيب ، فإلى أي الفروع ينتمي هـذا المصدر ؟ واضح مما تقدم أنه ينتمي إما الى حسَب يحسُب بمعنى العد والمعنى عندئذ يرسل عليها مقداراً من العذاب قدره الله وحسبه وهو تخريبها والإطاحة بها وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداه واما إن تكون حسباناً جمع حسبانة بضم الحاء وهي السهم أو الصاعقة وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك .

(زلقاً) : صفة لصعيداً أي ملساء لا تثبت عليه القدم وفي القاموس : الزلق بفتحتين والزلق بفتح فسكون أرض ملساء ليس بها شيء وصيرورتها كذلك لاستئصال نباتها .

(غوراً) : مصدر غار في الارض أي ذهب فلا سبيل اليه فهو بمعنى الفاعل أي غائراً في الأرض لا يدرك وزاد أبو نصر غئوراً وغارت عينه تغور غئوراً وغارت الشمس تغور غئوراً أيضاً والغَور الاسم يقال : سقطت في الغَوْر يعني الشمس وغار الرجل يغور غَوْراً إذا أتى الغور وزاد اللحياني : وأغار أيضاً وأنشد بيت الأعشى :

نبيٌّ يرى مالا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فهذا على ما قال اللحياني وكان الكسائي يقول : هو من الاغارة وهي السرعة وكان الأصمعي يقول : أغار ليس هو من الغَور إنما هو بمعنى عدا وقال اللحياني : يقال للفرس إنه لمغوار أي شديد العدو والجمع مغاوير والتفسير الأول الوجه لأنه قال وأنجدا فانه أراد أن الغور وأتى نجداً والغور تهامة وغار فلان على أهله يغار غيرة ورجل غيور من قوم غُيُر وامرأة غَيْرَى من نساء غَيَارَى وقال الأصمعي: فلان شديد الغار على أهله أي شديد الغَيرة وزاد اللحياني والغَيْر ، وقال أبو نصر : أغار فلان على بني فلان يُغير إغارة وقال اللحياني يقال للرجل : إنه لمغوار أي شديد الإغارة والجمع مغاوير وقال أبو نصر : يقال غارهم يغيرهم إذا مارهم والغيار المصدر قال عبد مناف بن ربعي الهذلي :

ماذا يَضيرُ ابنتي رِبْع عويلهما

لاترقدان ولا بؤسى لمن رقدا

يريد انه لا يغني بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً .

وقال أبو نصر : الغاران البطن والفرج يقال المرء يسعى لغاريه أي لبطنه وفرجه وقال أبو عبيدة : يقال لفم الانسان وفرجه الغاران ، وقال أبو نصر : الغار كالكهف في الجبل ويقال في أمثالهم « عسى الغوير أبؤساً » وأصله انه كان غار فيه ناس فانهار عليهم أو أتاهم فيه عدو فقتلوهم فيه فصار مثلاً لكل ما يخاف منه الشر وقيل ان الغوير اسم ماء بناحية السماوة قالته الزباء لما رأت قصيراً الذي جاء يأخذ بثأر جذيمة الأبرش عن طريق الغوير والغوير تصغير غار وخلاصة معنى المثل عسى أن يكون جاء البأس من الغار وحسبنا ما تقدم فهذه المادة لا يدرك غورها .

(خاوية على عروشها) : العروش في المصباح : « العرش شبه بيت من جريد يجعل فوقه الثمام والجمع عروش » فهو في الاصل صنع ليوضع عليه الكرم فإذا سقط سقط ما عليه وقد تقدم تقريره .

(الولاية) : بفتح الواو وبكسرها الملك والقهر والسلطة .

الاعراب :

(واضرب لهم مثلاً رجلين) تقدم في سورة البقرة أن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين لأنه بمعنى الجعل فاضرب فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ولهم متعلقان باضرب ومثلاً مفعول به ورجلين لك أن تجعلها بدلاً من مثلاً فيكون لهم بمثابة المفعول الثاني ومثلاً هو المفعول الأول ولك أن تجعل رجلين هي المفعول الثاني وسيأتي حديث الرجلين . (جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعاً) جملة جعلنا صفة لرجلين ولأحـدهما مفعول ثان لجعلنا وجنتين مفعول أول ومن أعناب صفة لجنتين وحففناهما عطف على جعلنا وهو فعل وفاعل ومفعول به وبنخـل متعلقان بحففناهما وجعلنا بينهما زرعاً عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيرتها • (كلتا الجنتين آتت أكلها ولـم تظلم منه شيئاً) كلتا مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة عـلى الألف لأنه اسم مقصور وسيأتي حكم كلا وكلتا في باب الفوائد وجملة آتت أكلها خبر كلتا وقد روعي لفظها فأتى الخبر مفرداً ولم تظلم عطف على آتت ومنه حال لأنه كان صفة لشيئاً وشيئاً إما مفعول به على أن تظلم بمعنى تنقص أو مفعول مطلق وقد تقدم تحقيق ذلك • ومن نوادر كلام العرب : قيل لأعرابي : أتأكل العنب ؟ قال : ما ظلمني أن آكله أي ما منعني قال أبو عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني : ومنه قول الله عز وجل : « ولم تظلم منه شيئاً » أي لم تمنع • (وفجرنا خلالهما نهراً) فجرنا فعل وفاعـل وخلالهما ظرف متعلق بفجرنا ونهـراً مفعول به • (وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره) الواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص وله خبر كان المقدم وثمر اسمها المؤخر فقال عطف عـلى وكان ولصاحبه متعلقان بقال والواو للحال وهو مبتدأ وجملة يحاوره خبر والجملة حالية والمراد به أحدهما • (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) الجملة مقول القول وسيأتي أنه قال ثلاث قولات منافية للحق في باب البلاغة وأنا مبتدأ وأكثر خبر ومنك متعلقان بأكثر ومالاً تمييز وأعز نفراً عطف على أكثر مالاً • (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً) ودخل جنته فعل وفاعل ومفعول به على السعة وهو الواو للحـال وهو مبتدأ وظالـم خبر والجملة حالية ولنفسه متعلقان بظالم ، وقال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو وجملة ما أظن مقول القول وان وما بعدها سدت مسد مفعولي أظن وهذه فاعل تبيد وأبداً

طرف زمان متعلق بتبيد . (وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) وما أظن عطف عـلى ما أظن الأولى والساعة مفعول به أول وقائمة مفعول به ثان وأراد وهو منكر للبعث : ما أحسب الساعة قائمة كما تزعم ، كما أن شكه في بيدودة جنته وأمواله ناشىء عن طول اغتراره وهيمنة الحرص عليه ، ولئن الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وان شرطية ورددت فعل ماضي مبني للمجهول في محـل جزم فعل الشرط والتاء نائب فاعـل ولأجدن اللام واقعة في جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم كما هي القاعدة على حد قول صاحب الخلاصة :

واحذف لـــدى اجتماع شرط وقسم

جواب ما أخرت فهـــو ملتـــزم

وخيراً مفعول به لأجدن ومنهـا متعلقان بخيراً ومنقلباً تمييز أي مرجعاً فهو مصدر ويجوز أن نعرب خيراً حال ومنقلباً مفعول أي منقلباً خيراً من منقلب هذه الـدنيا . (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) قال فعل ماض وله متعلقان به وصاحبه فاعل والواو للحال وهو مبتدأ وجملة يحاوره خبر والهمزة للاستفهام التوبيخي والتقريعي وكفرت فعل وفاعل وبالذي متعلقان بكفرت وجملة خلقك صلة ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقك وثم من نطفة عطف ، وثم حرف عطف وسواك فعل ماض وفاعل مستتر والكاف مفعول به ورجلاً حال وإنما ساغ مجيئه حالاً وهو غير مشتق لأنه بعد سواك إذ كان من الجائز أن يسويه غـير رجـل وسيأتي بحث ذلك مفصلاً في باب الفوائد ويجوز أن يعرب مفعولاً

ثانياً لسواك ، وأعربه بعضهم تمييز • (لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً) لكنا الاصل لكن أنا فألقيت حركة الهمزة المحذوفة على النون وأدغمت النون في النون والجيد حذف الألف في الوصل واثباتها في الوقف لأن أنا كذلك والألف فيه زائدة لبيان الحركة وانا مبتدأ وهو أي ضمير الشأن مبتدأ ثان والله مبتدأ ثالث وربي الخبر والياء عائدة على المبتدأ الأول ولا يجوز أن تكون لكن المشددة العاملة نصباً إذ لو كان كذلك لم يقع بعدها هو لأنه ضمير مرفوع ويجوز أن يكون اسم الله بدلاً من هو ومثل هذا التركيب قول القائل :

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب

وتقلينني لكن إياك لا أقلى

ولكن أصله لكن أنا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت ثم ادغمت النون في النون بعدها وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ ولو أجرى الوصل مجرى الوقف لثبتت وقدم المفعول وهو إياك للاهتمام ببراءتها من قلاه وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء وواضح ان قوله ترمينني بالطرف استعارة تصريحية لأنه شبه اطلاق البصر باطلاق الحجر • والواو استئنافية ولا نافية وأشرك فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا وبربي متعلقان بأشرك وأحداً مفعول به • (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) ولولا الواو عاطفة ولولا حرف تحضيض أي هلا وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بقلت وما شاء الله ما موصولة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هذا الذي شاءه الله من بدائع الجمال وتهاويل النعم وتعاجيب المنن والآلاء أو نعرب ما مبتدأ والخبر محذوف تقديره كان والجملة مقول القول وجملة شاء

الله صلة والعائد محذوف كما قدرناه ويجوز أن تكون شرطية منصوبة الموضع بفعل الشرط والجواب محـذوف أي كان والمعنى أي شيء شاءه الله كان والجملة كلها مقول القول ولا نافية للجنس وقوة اسمها المبني على الفتح وإلا أداة حصر وبالله خبر لا . (إن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً) إن شرطية وترني فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة والنون للوقاية والياء مفعول به وحذفت في رسم المصحف وأنا ضمير فصل وأقل مفعول به ثان لترني ويجوز أن تعرب أنا توكيداً للياء ومنك متعلقان بأقل ومالاً تمييز وولداً عطف عليه . (فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه اقترن بفعـل الرجاء وهو جامد وقد تقدمت مواضع وجوب ربط الجواب بالفـاء المجموعة في قول بعضهم :

اسمية طلبيـة وبجامـــد وبما ولن وبقـد وبالتنفيس

وربي اسم عسى وان وما في حيزها في محل نصب خبرها وخيراً مفعول ثان ليؤتيني ومن جنتك متعلقان بخير . (ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً) ويرسل عطف على يؤتيني والفاعل مستتر تقديره هو وعليها متعلقان بيرسل وحسباناً مفعول به فتصبح الفاء عاطفة على ما تقدم وتصبح فعل مضارع منصوب لأنه عطف على ما تقدم واسم تصبح مستتر تقديره هي وصعيداً خبر تصبح وزلقاً نعت لصعيد من باب الوصف بالمصدر . (أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً) أو حرف عطف ويصبح معطوف عـلى ما قبله وماؤها اسم يصبح وغوراً خبرها والفاء عاطـفة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويستطيع منصوب بلن والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وله متعلقان

بطلباً وطلباً مفعول به . (وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) الواو عاطفة على محذوف يقدر بحسب مدلول الكلام أي فانقضت الصواعق على جنته وغارت الامواه فيها وأحيط بثمره بالهلاك أيضاً وأحيط فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وبثمره متعلقان بأحيط فأصبح عطف واسمها مستتر تقديره هو وجملة يقلب كفيه خبرها وعلى ما متعلقان بيقلب لأنه ضمن معنى يندم وسيأتي سر هذا التعبير في باب البلاغة ويجوز أن يتعلق الجار والمجرور بمحذوف على أنه حال من فاعل كفيه أي نادماً . (وهي خاوية على عروشها ويقول : يا ليتني لم أشرك بربي أحداً) الواو للحال وهي مبتدأ وخاوية خبر وعلى عروشها خبر ثان وقد تقدم اعرابه ويقول عطف على يقلب أو الواو للحال وجملة يقول حال من فاعل يقلب وجملة يا ليتني لم أشرك مقول القول ولم حرف نفي وقلب وجزم وبربي متعلقان بأشرك وأحداً مفعول به وقوله يا ليتني تقدم بحثه مراراً وهو أن تكون يا للتنبيه أو للنداء والمنادى محذوف . (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً) الواو للعطف ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم وله خبرها المقدم وفئة اسمها المؤخر وجملة ينصرونه صفة لفئة وذكّرت الصفة وجمعت لأن الفئة تتضمن الجمع وهو يتضمن الذكور والإناث ومن دون الله حال والواو حرف عطف وما نافية وكان واسمها المستتر ومنتصراً خبرها . (هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً) هنالك اسم اشارة في محل نصب على الظرفية المكانية وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم والولاية مبتدأ مؤخر ولله متعلقان بما في معنى اسم الاشارة أو بمتعلقه والحق صفة لله ويجوز أن يتعلق اسم الاشارة بمعنى الاستقرار في لله والولاية مبتدأ ولله خبره أي مستقرة لله ويجوز أن يتعلق بالولاية نفسها لأنها مصدر بمعنى النصرة وهو مبتدأ

وخير خبر وثواباً تمييز وخـير عقباً عطف على خير ثواباً وعقبا بمعنى عاقبة .

البلاغـة :

حفلت هـذه الآية بأفانين متعـددة من فنون البلاغـة وهـذا هو التفصيل :

١ ـ التتميم والاحتراس والكناية :

التتميم أو التمام وقد تقدم بحثه مستوفى في سورة البقرة عند قوله تعالى : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » الآية وهو هنا في وصف الجنتين فإن قوله تعالى « واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين » يحتمل أن تكون الجنتان مجرد اجتماع شجر متكاثف يستر بظل غصونه الأرض كما تقتضيه الدلالة اللغوية على معنى الجنة أو يكون النفع منها ضئيلاً كشجر الأثل والخمط ونحوهما فيكون أسفه عليها أقل من أن تكون الجنتان من نخيل وأعناب ينتفع بما تثمرانه عليه ثم تمم ذلك أيضاً بقوله « وجعلنا بينهما زرعاً » لئلا يتوهم أن الانتفاع قاصر على النخيل والأعناب ولتكون كل من الجنتين جامعة للأقوات والفواكه متواصلة العمار على الشكل الحسن والترتيب الأنيق ثم تمم ذلك بقوله « وفجرنا خلالهما نهراً » للدلالة على ديمومة الانتفاع بهما فإن الماء هو سر الحياة وعامل النمو الاول في النباتات وإذن فقد استكمل هذا الرجل كل الملاذّ واستوفى ضروب النعم ، ثم تمم ذلك بقوله « كلتا الجنتين آتت آكلها » لاستحضار الصورة التامة للانتفاع بالموارد واحترس بقوله « ولم تظلم منه شيئاً » من أن يكون

ثمة نقص في الأكل الذي آتته وليكون كناية عن تمام الجنتين ونموهما دائماً وأبداً وانهما ليستا على عادة الأشجار حيث يتم ثمرها فتؤتيه ببعض السنين دون بعض أو تأتي بالثمر ناقصاًعاماً بعد عام فهي فيّاضة المورد في كل حين فقد استوفى وصف الجنتين هذه الفنون الثلاثة جميعاً •

٢ ـ اللف والنشر المشوش :

وذلك في قوله تعالى : « فقال لصاحبه وهو يحاوره » الآية وحاصل ما قاله هذا الكافر ثلاث مقالات شنيعة وهي : ١ ـ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ، ٢ ـ عندما دخل جنته متكبراً مزهواً ظالماً لنفسه قال وقد رنحه الغرور « ما أظن أن تبيد هذه أبداً » ، ٣ ـ والثالثة : بادئاً بالآخرة لأنها الأهم قائلاً « أكفرت بالذي خلقك » وثنى بالثانية ناصحاً لأنها تأتي في المرتبة بعدها فقال : « ولولا إذا دخلت جنتك » الخ وثلث بالأولى مقرعاً فقال « فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك » فهو لف ونشر مشوش وقد تقدم ذكره •

٣ ـ عودة الى التتميم والكناية :

ثم عاد الى التتميم فصور الاطاحة بالجنتين وبالثمر معاً فقال « وأحيط بثمره » ثم وصف حالته فقال « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كما كنى عن ذلك بعض الأنامل والسقوط في اليد •

قصة الرجلين الأخوين :

وهو أن أحد الرجلين اللذين ضرب بهما المثل وقد رويت قصتهما على طرق شتى وخلاصتها أن رجلين أخوين من بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر أرضاً بألف فقال المؤمن : اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه داراً بألف دينار ، فقال المؤمن : اللهم اني أشتري منك داراً في الجنة فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال : اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف فقال : اللهم إني اشتريت الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل غير ذلك وإنما أوردنا القصة على خلاف شرطنا في هذا الكتاب لطرافتها ولتكون نبراساً للمبدعين من الكتاب .

٤ ــ المبالغة :

وفي قوله تعالى « أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً » فن يقال له المبالغة والإفراط في الصفة كما سماها ابن المعتز والتسمية الأولى لقدامة وهو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده وقد جاءت المبالغة في الكتاب العزيز على ضروب نذكر ما ورد منها فيه :

أولاً ــ فمنها المبالغة في الصفة المعدولة وقد جاءت على ستة أمثلة:

آ ــ فعلان كرحمن ، عدل عن راحم للمبالغة ولا يوصف به إلا الله ولم تنعت العرب به أحداً في جاهلية ولا إسلام إلا مسيلمة الكذاب

نعتوه به مضافاً فقالوا رحمان اليمامــة وأنشد شاعر من بني حنيفــة يمدح به مسيلمة :

سموت بالمجـــد يابن الأكرمــين أباً

وأنت غيث انورى لا زلت رحمـــانا

ب ـ فعّال معدول عن فاعل للمبالغة كقوله تعالى « وإني لغفار لمن تاب » .

جـ ـ وفعول عدل عن فاعل للمبالغة كغفور وشكور .

د ـ فعيل عدل عن فاعل للمبالغة كعليم وحكيم .

وهذه الصيغ الأربــع وردت في القرآن وهناك صيغتان : مفعل كمطعن ومفعال كمطعام ومبطار .

ثانياً ـ إخراج الكلام مخرج الاخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة الاخبار عنه مجاز وقد جاء منه في القرآن قوله تعــالى « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » فجعل مجيء جلائل آياته مجيئاً له للمبالغة .

ثالثاً ـ إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع ليمتنع وقوع المشروط وقد تقدم ذكر هذا النوع في قوله تعــالى « ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » .

رابعاً ـ ما كان مجازاً فصار بالقرينة حقيقة كقوله تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » فإن قتران هذه الجملة بيكاد يصرفها الى الحقيقة فانقلبت من الامتناع الى الحقيقة والامكان .

خامساً ـ وقسم أتى بصيغة اسم التفضيل وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله تعالى « أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً » وهو الذي نحن في صدده .

سادساً ـ ما بولغ بصفته على طريق التشبيه كقوله تعالى « إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر » .

المبالغة في الشعر :

هذا ما ورد من المبالغة وضروبها في الكتاب العزيز . أما هي في الشعر ففنون تتشعب وأنواع اختلفت مقاييسها ومعاييرها كما اختلفت آراء الناس فيها فمنهم من يستجيدها ويراها الغاية القصوى في الجودة ومنهم نابغة بني ذبيان وهو القائل : « أشعر الناس من استجيد كذبه ، وضحك من رديئه » وقد أورد صاحب العمدة مثالاً على ذلك ما جرى بين النابغة وحسان بن ثابت ومطالبته حسان بن ثابت بالمبالغة واتهامه بالتقصير في قوله :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وهي مشهورة مستفيضة في كتب الأدب وأورد صاحب العمدة من أبيات المبالغة التي اختلفت الآراء فيها قول امرىء القيس :

كأن المدام وصوب الغمام
وريح الخزامى ونشر القطُر

يُعَلّ به برد انيابها

إذا غرد الطائر المستحرّ

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغير الأفواه بعد النوم فكيف تظنها أول النوم ؟ وفي أول الليل ، وقال امرؤ القيس :

تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال

وبين المكانين بعد أيام .

وقال أيضاً يصف نارها :

نظرت اليها والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشبّ لقفّال

يقول : نظرت إلى نار هذه المرأة تشب لقفال والنجوم كأنها مصابيح رهبان وانما يرجع القفال من الغزو والغارات وجه الصباح فإذا رأوها من مسافة أيام وجه الصباح وقد خمد سناها وكل موقدها فكيف كانت أول الليل ؟ وشبه النجوم بمصابيح الرهبان لأنها في السحر يضعف نورها كما يضعف نور المصابيح الموقدة ليلها أجمع فربما نعسوا في ذلك الوقت .

تعريف آخر للمبالغة :

وذهب قوم الى أن المبالغة افراط في وصف الشيء الممكن عادة القريب وقوعه وسنورد من بديع المبالغة ما يستهوي الألباب فمن ذلك ماراوه أحمد بن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من أموره فقال لي مرة : يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة الى

منزلي استقبلتني جارية من جواري فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هواء لو رقد فيه المخمور صحا فكان ذلك مما يستظرفه ويستملح من الفتح بن خاقان وقد اقتبسه بعضهم فقال :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأنحلته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى ولو رقد المخمور فيه أفاقا

وذهب أبو تمام في المبالغة مذهباً عجيباً فقال وأبدع متغزلاً :

تلقّاه طيفي في الكرى فتجنّبا وقبلت يوماً ظله فتغضّبا
وخبر أني قد مررت ببابه لأخلس منه نظرة فتحجّبا
ولو مرت الريح الصبا عند أذنه بذكري لسب الريح أو لتعتّبا
ولم تجرمني خطرة بضميره فتظهر إلا كنت فيه مسببا
وما زاده عندي قبيح فعاله ولا الصدّ والإعراض إلا تحببا

وله أيضاً :

قد قصرنا دونك الأبصار خوفاً أن تذوبا
كلما زدناك لحظاً زدتنا حسناً وطيبا
مرضت ألحاظ عينيك فأمرضت القلوبا

الفوائد :

١ ـ كلا وكلتا :

كلا وكلتا لفظان يعربان إعراب المثنى إن أضيفا الى الضمير فإن

أضيفا إلى الاسم الظاهر أعربا إعراب الاسم المقصور أي بحركات مقدرة على الألف على كل حال وهما اسمان ملازمان للاضافة ولفظهما مفرد ومعناهما مثنى ولذلك يجوز الإخبار عنهما بما يحمل ضمير المفرد باعتبار لفظهما وضمير المثنى باعتبار معناهما وقد اجتمعا في قول الشاعر:

كلاهما حين جدّ الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

إلا أن اعتبار اللفظ أكثر وبه جاء القرآن الكريم قال تعالى: « كلتا الجنتين آتت أكلها » قال ابن هشام في مغني اللبيب: « وقد سئلت قديماً عن قول القائل: زيد وعمر كلاهما قائم أو كلاهما قائمان فكتبت إن قدر كلاهما توكيد قيل قائمان لأنه خبر عن زيد وعمرو وإن قدر مبتدأ فالوجهان، والمختار الافراد ويتعين مراعاة اللفظ في نحو: كلاهما محب لصاحبه لأن معناه كل واحد منهما وقوله:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشدّ تغانيا

ومن الأبيات التي أتى فيها ذكر « كلتا » قول حسان بن ثابت:

إن التي ناولتني فرددتها قتلت، قتلت، فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني بزجاجة أرخاهما للمفصل

أخبر عن التي بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى، وما معنى كلتاهما حلب العصير ولم يذكر إلا خمرة واحدة وأخبر عن كلتاهما بأرخاهما والصحيح الإخبار عنهما بمفرد لأنهم لحنوا من قال: كلا الرجلين قاما وكلتا المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك

قوله تعالى « كلتا الجنتين آتت أكلها » وأيضاً فالرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد .

وأجاب الحريري وغيره عن هذه الاعتراضات بأن قال : أما قوله : ان التي ناولتني فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقي الذي كان ناوله كأساً ممزوجة لأنه يقال : قتلت الخمرة إذا مزجتها فكأنه أراد أن يعلمه أنه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله : قتلت وقوله أرخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمي مفصلاً لأنه يفصل به بين الحق والباطل .

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري : اجتمع قوم على شراب فغناهم المغني البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة القاضي عبيد الله بن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال إن التي فوحّد ثم قال كلتاهما فثنّى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بني شقرة وعبيد الله يصلي فلما أتم صلاته شرحوا له وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم : إن التي عنى بها الخمر الممزوجة بالماء ثم قال من بعد : كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب ، والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات في قوله تعالى : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً » .

٢ ـ الحال الثابتة :

الأصل في الحال أن تكون منتقلة لأنها مأخوذة من التحول وهو التنقل وتقع ثابتة في مواضع يرجع اليها في المطولات ومنها أن يدل عاملها على تجدد ذات صاحبها وحدوثه أو تجدد صفة له : نحو « ثم سوّاك رجلاً » إذ كان من الجائز أن يسويه غير رجل وقولهم خلق الله

الزرافة يديها أطول من رجليها فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجليها متعلقان بأطول لأنه اسم تفضيل وعامل الحال خلق وهو يدل على تجدد المخلوق .

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ

عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ * مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

اللغــة :

(هشيماً) : يابساً متفرق الأجزاء وقـال الزمخشري الهشيم : ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة ، وقال ابن قتيبة : كـل ما كان رطباً ويبس فهو هشيم ، ويقال صارت الأرض هشيماً أي صار ما عليها من النبات والشجر قد يبس وتكسّر وللهاء مـع الشين فاء وعيناً خاصة التكسر والتحطيم والرخاوة وكل ما هو غير مقاوم فالهش الرخو اللين من كل شيء وخبزة هشة : رخوة المكسر ويقال فلان هشّ المكسر أي سهل الجانب فيما يطلب عنـده من الحوائـج يكون ذلك مدحاً وذماً والهشيش كالهشيم وهشـر الناقة حلب مافي ضرعها أجمـع وشجرة هشرة وهَشْور : يسقط ورقها سريعـاً والهيشر من الرجـال الرخو الضعيف الطويـل والهَشْم من الجبـال الرخوة وتهشمت الأرض أجدبت لانقطاع المطر عنها .

(تذروه) : تفرقه وتنثره وذرت الريح التراب وأذرت العين دمعها وعيناه تذريان الـدموع وطعنته فأذريته عن فرسه وأذراه الفرس عن ظهره رمى به وذرا حدّ نابه : انسحقت أسنانه وسقطت أعاليها ، وبلغني عنه ذَرْوٌ من قول أي طرف منه وأخذ في ذرو من الحديث إذا عرّض ولم يصرح قال صخر بن حبناء :

أتاني عن مغـيرة ذروُ قول وعن عيسى فقلت له كـذاك

(نغادر) : نترك يقال غادر وأغدره إذا تركه ومنه الغـدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل والغـديرة الشعر الذي نزل حتى طال والجمع غدائر .

الاعراب :

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) الواو استئنافية واضرب فعـل أمر ولهم متعلقان باضرب ومثل الحياة الدنيا مفعول به أول والكاف مفعول به ثاني وجملة أنزلناه من السماء صفة لماء ويجوز أن تكون اضرب بمعنى اذكر فينصب مفعولاً واحداً فتكون الكاف خبراً لمبتدأ محذوف أو متعلقة بمعنى المصدر أي ضرباً كماء . (فاختلط به نبات الأرض) الفاء حرف عطف واختلط فعل ماض وبه متعلقان باختلط ونبات الأرض فاعـل وسيأتي سر هـذا التشبيه في في باب البلاغة . (فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً) فأصبح عطف على اختلط واسم أصبح مستتر يعود على نبات الأرض وهشيماً خبر أصبح وجملة تذروه الرياح صفة لقولـه هشيماً وكان الواو استئنافية أو حالية وكان واسمها ومقتدراً خبرها وعلى كل شيء متعلقان بمقتدراً . (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) المال مبتدأ والبنون عطف عـلى المال وزينة الحياة مضاف اليه والـدنيا صفة . (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) الواو استئنافية والباقيات مبتدأ والصالحات صفة وخير خبر الباقيات والتفضيل ليس عـلى بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خـير أو هو عـلى بابه في زعـم الجاهلين والمغرورين وعند ربك متعلقان بمحذوف حال وثواباً تمييز وخير أملاً عطف على خير ثواباً . (ويوم نسير الجبال وترى الأرض

بارزة) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة نسير مضاف اليها الظرف والفاعل مستتر تقديره نحن والجبال مفعول به وترى الأرض عطف على ما تقدم وفاعل ترى مستتر تقديره أنت والأرض مفعول به وبارزة حال لأن الرؤية بصرية • (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً) الواو هنا للحال وحشرناهم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل نصب حال أي تفعل التسيير في حال حشرهم ليشاهدوا بأعينهم تلك الأهوال أو الواو عاطفة وأريد بالماضي المستقبل أي ونحشرهم ومن المفيد أن نورد هنا ما قاله الزمخشري بهذا الصدد وهو : « فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام » فلم الفاء حرف عطف ولم حرف نفي وقلب وجزم ونغادر فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله مستتر تقديره نحن ومنهم حال لأنه كان صفة لأحداً وأحداً مفعول به (وعرضوا على ربك صفاً) الواو عاطفة على وحشرناهم داخلة في حيزها وعرضوا فعل ماضي مبني للمجهول والواو نائب فاعل وعلى ربك متعلقان بعرضوا وصفاً حال من الواو في وعرضوا • (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئتمونا فعل وفاعل ومفعول به ، وكما نعت لمصدر محذوف أو حال ، وخلقناكم فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها وأول مرة نصب على الظرف متعلق بخلقناكم وجملة لقد جئتمونا حالية أو مقول لقول محذوف • (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) بل حرف اضراب وزعمتم فعل وفاعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن حرف نفي ونصب واستقبال ونجعل مضارع منصوب بلن وفاعله مستتر تقديره نحن والجملة خبر أن ولكم مفعول به ثان وموعداً مفعول به أول لنجعل وموعداً يحتمل الزمان والمكان واذا كان الجعل مجرد الايجاد كانت لكم متعلقة به وموعداً هي المفعول به • (ووضع الكتاب فترى المجرمين

مشفقين مما فيه) الواو عاطفة ووضع فعل ماض مبني للمجهول والكتاب نائب فاعل فترى الفاء عاطفة وترى فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره أنت والمجرمين مفعول به أول ومشفقين مفعول به ثان والرؤية هنا علمية ولك أن تجعلها بصرية فتكون مشفقين حالاً ومما متعلقان بمشفقين وفيه متعلقان بمحذوف صلة الموصول . (ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) ويقولون عطف ويا حرف نداء وويلتنا منادى ينادون هلكتهم التي هلكوها وسيأتي مزيد بيان لهذا النداء في باب البلاغة وما اسم استفهام مبتدأ ولهذا خبره والكتاب بدل وجملة لا يغادر حالية وصغيرة مفعول به ولا كبيرة عطف على صغيرة وإلا أداة حصر وجملة أحصاها صفة لصغيرة ويجوز أن تكون مفعولاً ثانية ليغادر لأنها بمعنى ترك وهي تنصب مفعولين والمراد بالاستفهام هنا مجرد التعجب من الكتاب في هذا الاحصاء الدقيق . (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) الواو عاطفة ووجدوا فعل وفاعل وما مفعول به وجملة عملوا صلة أو مامصدرية والمصدر المؤول مفعول به أي وجدوا عملهم وحاضراً مفعول به ثان ولا يظلم الواو حالية ولا نافية ويظلم ربك أحداً فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل نصب على الحال . (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة قلنا مضافة للظرف وللملائكة متعلقان بقلنا واسجدوا فعل أمر وفاعل ولآدم متعلقان باسجدوا فسجدوا فعل وفاعل وإلا أداة استثناء وابليس مستثنى والاستثناء منقطع وقيل متصل وقد تقدم تقرير ذلك . (كان من الجن ففسق عن أمر ربه) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأنه جواب سؤال مقدر وهو لمَ لم يسجد فقيل : كان ، واسم كان مستتر

تقديره هو يعود على إبليس ومن الجن خبر ففسق عطف على كان وعن أمر ربه متعلقان بفسق (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عـدو بئس للظالمـين بدلا) الهمزة للاستفهـام الانكاري التعجبي وتتخذونه فعل مضارع وفاعل ومفعول به وذريته يجوز أن تكون الواو عاطفـة وذريته عطف على الهاء ويجوز أن تكون بمعنى مـع وذريته مفعول معه وأولياء مفعول به ثان ومن دوني متعلقان بمحذوف صفة لأولياء أو بتتخذونه وهم الواو للحـال وهم مبتـدأ ولكم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لعدو وعـدو خبر هم والجملة حال من مفعول تتخذونه أو فاعله وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الـذم وفاعله مضمر مفسر بنكرة وللظالمين متعلقان ببدلا وبدلا تمييز ويجوز أن يتعلق للظالمين بمحذوف حال والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس البدل إبليس وذريته . (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) ما نافية وأشهدتهم فعل وفاعل ومفعول به وخلق السموات والارض مفعول به ثان ولا خلق أنفسهـم عطف عـلى خلق السموات والارض . (وما كنت متخذ المضلين عضـداً) الواو عاطفة وما نافيـة وكنت كان واسمها ومتخـذ خبرها والمضلين مضاف اليه وفيـه وضع الظاهر موضع المضمر وعضداً مفعول به ثان لمتخذ وسيأتي الكلام عن هذا التشبيه في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ــ في قوله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض» الى آخر الآية تشبيه تمثيلي مقلوب أما التشبيه التمثيلي فهو تشبيـه الحيـاة الدنيا وما فيها من زخارف

تعجب المتلهي برؤيتها والمستمتع بزينتها حتى إذا أفاق من عمايته وجد أن ما كان يتلهى ويستمتع به باطل لا حقيقة ، بالنبات الذي اختلط به الماء الهاطل من السماء فربا والتف ، وزهاورف ، وأنبت من كل زوج بهيج ولم تكد العين تستمتع به والنفس تنشرح بمنظره حتى يبس وتصوّح ثم جف وذبل ثم أصبح هشيماً تذروه الرياح فكأنه ما كان ، وأما التشبيه المقلوب فقد كان من حق الكلام أن يقول فاختلط بنبات الارض ووجهه أنه لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته وبعبارة أوضح لما كان الاختلاط عبارة عن شيئين متداخلين صدق على كل منهما أنه مختلط ومختلط به لكن في عرف اللغة والاستعمال تدخل الباء على الكثير غير الطارىء فلذا جعل هذا من القلب،ولما كان القلب مقبولاً إذا كان فيه نكتة وهي أن كلاً منهما مختلط ومختلط به وهي المبالغة في كثرة حتى كأنه الأصل الكثير فالمراد بالعكس مما قدمناه آنفاً هو القلب وهذا من الممتع الرائع فاعرفه .

٢ ــ الاستعارة المكنية في قوله « يا ويلتنا » نداء الويلة قائم على تشبيهها بشخص يطلب إقباله كأنه قيل : يا هلاكنا أقبل فهذا أوانك .

٣ ــ التشبيه البليغ في قوله « وما كنتت متخذ المضلين عضداً » فقد شبه المضلين بالعضد الذي يتقوى به الانسان وأصله العضو الذي هو المرفق الى الكتف ولم يذكر الأداة وقد جعله بعضهم استعارة وهو خطأ لوجود ركني التشبيه وهما المشبه والمشبه به .

٤ ــ استعمال العام في النفي والخاص في الاثبات : وذلك في قوله تعالى : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » فإن وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة

فينبغي أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لأنه إذا لم يغادر صغيرة فمن الأولى أن لا يغادر كبيرة وأما إذا لم يغادر كبيرة فإنه يجوز أن يغادر صغيرة لأنه إذا لم يعف عن الصغيرة فينبغي القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة وإذا لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة .

٥ ـ وفي قوله تعالى « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فن الجمع وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر في حكم واحد وهو واضح في الآية ومنه في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : من أصبح آمناً في سربه ، معافىً في بدنه ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها . فجمع الأمن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها وهي النواحي والواحد حذفار ومنه في الشعر قول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيّ مفسده

وقول ابن خفاجة الأندلسي :

تعلقته ريان من خمر ريقه له رشفها دوني ولي دونه السكر

وطبنا معاً ثغراً وشعراً كأنما له منطقي ثغر له ولي ثغره شعر

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ

مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

اللغـــة :

(موبقاً) : اسم مكان أو مصدر ميمي من وبق يبق وبوقاً كوثب يثب وثوباً أو وبق يوبق وبقــاً كفرح يفرح فرحاً إذا هلك أي مهلكاً يشتركون فيــه وهو النار ، وفي القاموس وغـيره : وبق يبق من باب ضرب يضرب وبق يبق من باب علم يعلـم ووبق يوبق وَبَقاً ووبوقاً

ومَوْبقاً واستوبق هلك فهو وبق والموبق اهلك والموعـد والمحبس وكل شيء حال بين شيئين وعن الحسن : موبقاً عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك وقال الفراء : البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة .

(مصرفاً) : اسم مكان أو زمان وقال أبو البقاء أي انصرافاً فهي مصدر ميمي وفي الكشاف مصرفاً : معدلاً قال :

أزهير هل عن شيبة من مصرف

(جدلاً) : خصومة في الباطل قال الفرزدق :

ما أنت بالحكـم الترضى حكومتـــه

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجــدل

(قبلاً) : عياناً ومقابلة وفي القاموس : « رأيته قَبْلاً وقَبْلاً وقَبَلاً وقِبَلاً وقُبُلاً وقبيلاً وقبلياً أي عياناً ومقابلة .

قال الفراء : إن قبلاً جمع قبيل أي متفرقاً يتلو بعضه بعضاً وقيل: عياناً وقيل فجأة .

(ليدحضوا) : ليبطلوا ويزيلوا من ادحاض القدم وهو إزلاقها وازالتهـا عن موطئها وفي المختـار : دحضت حجته بطلت وبابه خضع وأدحضها الله ودحضت رجله زلقت وبابه قطع والادحاض الإزلاق » .

(موئلاً) : منجى وملجأ والاصل المرجع من وأل يئِل وَأْلاً ووءولاً إذا لجأ اليه وهو هنا مصدر ميمي وفي المصباح : وأل الى الله

يئل من باب وعد التجأ وباسم الفاعل سمي ومنه وائل بن حجر وهو صحابي وسحبان بن وائل ووأل رجع والى الله الموئل أي المرجع ٠

الاعراب :

(ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) الظرف متعلق بمحذوف تقديره أذكر وجملة يقول مضاف اليها الظرف ونادوا فعل أمر وفاعل وشركائي مفعول به والذين نعت وجملة زعمتم صلة والعائد محذوف أي زعمتموهم شركاء كما حذف المفعول الثاني لزعمتم أيضاً ٠ (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً) إما أن تعطف الجملة على محذوف مقدر أي فبادروا الى آلهتهم فدعوهم وإما أن تقدر الماضي بمعنى المستقبل ودعوهم فعل وفاعل ومفعول به فلم الفاء عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم ويستجيبوا مضارع مجزوم بلم والواو فاعل ولهم متعلقان بيستجيبوا وجعلنا فعل وفاعل وبينهم الظرف متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني وموبقاً هو المفعول الأول والمعنى صيرنا بين الأوثان وعابديها مكاناً يجتمعون فيه ليهلكوا معاً ٠ (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها) ورأى المجرمون النار فعل وفاعل ومفعول به فظنوا الفاء عاطفة وظنوا فعل وفاعل وإن واسمها وخبرها وسدت مسد مفعولي ظنوا أي تراءت لهم من مكان بعيد فأيقنوا أنهم واقعون فيها والظن هنا معناه اليقين لأن ذلك الحين ليس حين شك ٠ (ولم يجدوا عنها مصرفاً) الواو عاطفة ولم يجدوا عطف على ظنوا وعنها متعلقان بمصرفاً لأنه اسم مكان أو زمان مشتق أو مصدر ميمي بمعنى انصرافاً ومصرفاً مفعول به ٠ (ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق

وصرفنا فعل وفاعل وفي هذا متعلقان بصرفنا والقرآن بدل من هـذا وللناس متعلقان بصرفنا أيضاً ومن كـل صفة لموصوف محذوف هو مفعول صرفنا أي معنى غريباً بديعاً يشبه المثل بغرابته وطرافته ومثل مضاف اليه . (وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً) الواو عاطفة أو حالية وكان الإنسان كان واسمها وأكثر شيء خبرها وجدلاً تمييز يعني الإنسان أكثر المخلوقات الحية مجادلـة ولجاجاً باطـلاً (وما منـع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) الواو عاطفة وما نافية ومنع فعل ماض والناس مفعول به مقدم وأن يؤمنوا مصدر مؤول في موضع المفعول الثاني لمنع وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيؤمنوا وجملة جاءهم الهدى مضاف اليها الظرف . (ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً) ويستغفروا عطف عـلى يؤمنوا والواو فاعـل وربهم مفعول به وإلا أداة حصر وأن وما في حيزها فاعل منـع وتأتيهم فعـل مضارع ومفعول به مقدم وسنة الأولين فاعـل مؤخر وأو حرف عطف ويأتيهم العذاب عطف على تأتيهم سنة الأولين وقبلاً حال من الضمير أو العذاب ولا بد من تقدير مضاف محذوف قبل أن تأتيهم سنة الأولين تقديره انتظار الاتيان قالوا :« إنما احتيج الى تقدير المضاف إذ لا يمكن جعل اتيان سنة الأولين مانعاً من إيمانهم فإن المانع يقارن الممنوع وإتيان العذاب متأخر عن إيمانهم بمـدة طويلة » . (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) الواو عاطفة وما نافية ونرسل المرسلين فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وإلا أداة حصر ومبشرين حال ومنذرين عطف.

(ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) يجادل فعل مضارع والذين فاعل وكفروا صلة وبالباطل متعلقان بيجادل وليدحضوا اللام للتعليل ويدحضوا فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وبه متعلقان بيدحضوا والحق مفعول به . (واتخـذوا آياتي وما أنذروا

هزواً) الواو حالية أو استئنافية واتخذوا فعل وفاعل وآياتي مفعول به والواو حرف عطف وما اسم موصول معطوف على آياتي وجملة أنذروا صلة ، ويجوز جعل ما مصدرية والمصدر معطوف على آياتي ، وهزواً مفعول به ثان • (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ماقدمت يداه) الواو استئنافية ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وأظلم خبر وممن متعلقان بأظلم وجملة ذكر صلة وبآيات ربه متعلقان بذكر فأعرض عطف على ذكر وفاعله مستتر تقديره هو وعنها متعلقان بأعرض ونسي عطف على ما تقدم وما مفعول به وجملة قدمت صلة ويداه فاعل • (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) ان واسمها وجملة جعلنا خبرها وعلى قلوبهم في محل نصب مفعول به ثان لجعلنا وأكنة مفعول به أول وأن يفقهوه المصدر في محل نصب مفعول لأجله وفي آذانهم وقراً عطف على معمولي جعلنا • (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبداً) الواو حرف عطف وأن شرطية وتدعهم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والى الهدى متعلقان بتدعهم فلن الفاء رابطة ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويهتدوا نصب بلن والواو فاعل وإذن حرف جواب وجزاء وأبداً ظرف متعلق بيهتدوا • (وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) وربك الواو استئنافية وربك مبتدأ والغفور خبر وذو الرحمة خبر ثان ولو شرطية ويؤاخذهم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به وبما متعلقان بيؤاخذهم وجملة كسبوا صلة واللام رابطة وعجل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ولهم متعلقان بعجل والعذاب مفعول به • (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً) بل حرف اضراب ولهم خبر مقدم وموعد مبتدأ مؤخر ولن حرف نفي ونصب واستقبال ويجدوا فعل مضارع منصوب بلن ومن دونه متعلقان بمحذوف حال وموئلاً مفعول به • (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا)

تلك مبتدأ أو منصوب على الاشتغال والقرى بدل وجملة أهلكناهم خبر والمراد أهل القرى ويجوز إعراب القرى خبراً وجملة أهلكناهم إما حال وإما خبر ثان ، ولما ظرف بمعنى حين متعلق بأهلكناهم وجملة ظلموا مضافة للما . (وجعلنا لمهلكهم موعداً) وجعلنا فعل وفاعل ولمهلكهم حال أو متعلقان بموعداً وموعداً مفعول به . ومهلكهم مصدر ميمي مضاف إلى الفاعل إن كان لازماً أو مضاف الى المفعول إن كان متعدياً .

البلاغة :

في قوله تعالى « أو يأتيهم العذاب قبلاً » اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وقد أوردنا في باب اللغة معاني القبل وقد صنّف فيه أبو العباس محمد بن يزيد المبرد وأبو العميثل الاعرابي الذي صنف كتاباً مأثوراً عنه وهو مجرد حصر للألفاظ التي قد يتعدد مدلولها دون التزام منه لترتيب مافي سوق الكلمات وبدون تعليل أو محاولة لإيجاد أية صلة بين المعاني المختلفة إذ يقول : « القبل على سبعة أوجه : القبل في العين والقبل النشز من الأرض يستقبلك تقول رأيت شخصاً بذلك القبل والقبل أن ترى الهلال قبلاً فكان صغيراً والقبل أن يتكلم الرجل بكلام لم يكن استعدّ له يقال تكلم فلان قبلاً والقبل أن يورد الرجل إبله الماء ثم يستقي ويصب عليها فيقال سقاها قبلاً والقبل شيء شبيه بالصوف يعلق في أعناق الصبيان والقبل طي البئر في أعلاها » .

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ

سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾

اللغـــة :

(مجمع البحرين) : ملتقى البحرين وهو المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر وقد اختلفت أقوال المفسرين فيه ، فقيل ملتقى بحر الروم وبحر فارس ، وقيل غير ذلك مما يرجع اليه في المطولات •

(حقباً) : زمناً طويلاً والحقب ثمانون سنة وفي القاموس الحقب بضم الحاء والقاف ثمانون سنة أو أكثر ، والدهر والسنون ويجمع على أحقاب وحقاب وقيل الحقب بضم الحاء وسكون القاف،ويجمع على حقاب وفي المصباح : الحقب الدهر والجمع أحقاب مثل قفل وأقفال وضم القاف للاتباع لغة ويقال الحقب ثمانون عاماً والحقبة بمعنى المدة والجمع حقب مثل سدرة وقيل الحقبة مثل الحقب » •

(سرباً) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا نفاذ له وفي معاجم اللغة السَّرَب بفتحتين الحفير تحت الأرض والقناة يدخل منها الماء ويقال طريق سرب أي يتتابع فيه الناس •

(غداءنا) : هو ما يؤكل أول النهار •

الاعراب :

(وإذ قــال موسى لفتــاه لا أبرح حتى أبلــغ مجمــع البحرين أو أمضي حقباً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة التقاء موسى والخضر وما تخلــل ذلك من أعاجيب وسنأتي عــلى تفاصيلها في باب الفوائد والظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وقال موسى الجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها ولفتاه متعلقان بقال ولا نافية وأبرح فعل مضارع ناقص واسمهــا مستتر تقــديره أنا والخبر محذوف تقديره أسير ويحتمل أنها تامة فلا تستدعي خبراً بمعنى لاأزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه وحتى حرف غاية وجر وأبلغ منصوب بأن مضمرة بعد حتى ومجمع البحرين مفعول به وأو حرف عطف وأمضي معطوف على أبلغ وحقباً ظرف زمان متعلق بأمضي واختار أبو البقاء وغيره أن تكون بمعنى الى وأبلغ منصوب بأن مضمرة بعدها وما أحسبه صحيحاً . (فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً) الفاء عاطفة ولما ظرف بمعنى حين وجملة بلغا في محــل جر بإضافة الظرف اليها والألف فاعل ومجمع مفعول به وبينهما ظرف أضيف الى مجمع أي بين البحرين وجملة نسيا لا محل لها لأنها جواب لما وحوتهما مفعول به فاتخذوا الفاء عاطفــة واتخذ فعــل ماض وفاعله مستتر تقديره هو أي الحوت وسبيله مفعول به وسرباً مفعول به ثان وفي البحر متعلقان بمحذوف حال ، وفي الكلام تقديم وتأخير لأن اتخاذ الحوت سبيله في البحر قبــل النسيان . (فلما جاوزا قــال لفتاه آتنا غداءنا) الفاء عاطفة ولما ظرفية حينية وجملة جاوزا مضاف اليها الظرف والمفعول محذوف أي الموعــد وهو الصخرة وجملة قال لفتاه لا محل لها وجملة آتنا غــداءنا مقول القول وغــداءنا مفعول به ثان لآتنا .

(لقد لقينا من سفرنا هـذا نصبا) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ولقينا فعل وفاعـل ومن سفرنا متعلقان بلقينا وهذا صفة لسفرنا أو بدل منه ونصباً مفعول به للقينا . (قال : أرأيت إذ أوينا الى الصخرة) أرأيت تقدم الكلام عليها مطولاً وانها بمعنى أخبرني ومفعولا أرأيت محذوفان اختصاراً أي رأيت أمرنا ما عاقبته وهذا أسلوب معهود في الكلام المتداول بين الناس يقول أحدهم لصاحبه إذا ألمّ به خطب أرأيت ما نابني فالظرف متعلق بهذا المحذوف أي بنابني وسيأتي مزيد من بحث هذه الرؤية في باب البلاغة وجملة أوينا مضاف اليها الظرف والى الصخرة متعلقان بأوينا . (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) الفاء لتعليل الدهشة التي اعترتهما مما نابهما وان واسمها وجملة نسيت الحوت خبرها والواو اعتراضية والجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليـه وما نافية وأنسانيه فعـل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به أول والهـاء مفعول به ثان وإلا أداة حصر والشيطان فاعل أنسانيه وأن وما في حيزها بدل اشتمال من الهاء أي وما أنساني ذكـره إلا الشيطان .(واتخـذ سبيله في البحر عجبـا) الواو عاطفة واتخذ فعل ماض معطوف على نسيت وفاعله مستتر تقديره هو أي الحوت وسبيله مفعول به أول وفي البحر حال وعجباً مفعول به ثان لاتخذ أو مفعول مطلق لفعل محذوف وفي البحر هو المفعول الثاني أي قال موسى عجبت عجباً : حوت يؤكـل دهراً ثم يصير حياً بعـد ما أكل بعضاً .

البلاغـة :

في قوله « أرأيت » الرؤية هنا مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة وهي استعارة تصريحية تبعية لأنها أجريت في فعل وقد حذف

المشبه وأقيم المشبه به مقامه والاستفهام في أرأيت للتعجب كأنه يحاول إثارة العجب في نفس موسى مما رأى من المعاجز التي لا تدور في الخلد، ويكاد لا يصدقها العقل مما يمكن الرجوع اليه في التفاسير المطولة والروايات المنقولة مما يخرج بنا عن نطاق الكتاب وسنكتفي بسرد قصة لقاء موسى والخضر معتمدين على نص الحديث والتحليل المنطقي المعقول تاركين المجال لأصحاب المواهب القصصية عسى أن ينسجوا على منوال الكاتب القاص توفيق الحكيم .

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

الاعراب :

(قال ذلك ما كنا نبغي) ذلك مبتدأ وما خبر وجملة كنا صلة وكان واسمها وجملة نبغي خبرها وجملة ذلك الخ مقول القول وفي المصحف تحذف ياء نبغي لأنها من ياءات الزوائد . (فارتدا على آثارهما

قصصاً) الفاء عاطفة وارتدا فعل وفاعل وعلى آثارهما متعلقان بمحذوف حال أي رجعا أدراجهما ، وقصصاً مفعول مطلق لفعل محذوف أي يقصان قصصاً ويتبعان آثارهما اتباعاً ، ولك أن تجعلها حالاً أي فارتدا على آثارهما مقتصّين . (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) الفاء عاطفة ووجدا عبداً فعل وفاعل ومفعول به ومن عبادنا صفة لعبد وجملة آتيناه صفة ثانية ورحمة مفعول به ثان ومن عندنا صفة لرحمة وعلمناه فعل وفاعل ومفعول به ومن لدنا حال لأنه كان صفة لعلماً وتقدم عليه وعلماً مفعول به ثان لعلمناه ولو كان مفعولاً مطلقاً لكان تعليماً لأن فعله على فعّل بالتشديد وقياس مصدره التفعيل . (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً) قال فعل ماض وله متعلقان به وموسى فاعل وهل حرف استفهام واتبعك فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، على أن تعلمني أن وما في حيزها في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الكاف في هل اتبعك أي هل اتبعك حال كونك معلماً لي ومما متعلقان بتعلمني وجملة علمت صلة ورشداً مفعول ثان لتعلمني لأن الياء هي المفعول الأول ويجوز أن تعرب رشداً مفعولاً لأجله أي لأجل الرشاد أو مصدر في موضع نصب على الحال . (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) جملة إنك مقول القول وان واسمها ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتستطيع منصوب بلن ومعي ظرف مكان متعلق بمحذوف أي حال كونك معي وصبراً مفعول به . (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) وكيف الواو عاطفة وكيف اسم استفهام في محل نصب حال وتصبر فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وعلى ما متعلقان بتصبر وجملة لم تحط صلة وبه متعلقان بتحط وخبراً مفعول مطلق لتحط في المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تخبر وأعربها الزمخشري تمييزاً

محولاً عن الفاعل أي لم يحط به خبرك وليس ببعيد • (قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) ستجدني السين حرف استقبال وتجدني فعل مضارع مرفوع والنون للوقاية وفاعله مستتر تقديره أنت والياء ضمير متصل في محـل نصب مفعول به أول وإن شاء الله جملة معترضة وصابراً مفعول به ثان لتجدني وقد ذكر الرحمة احتراساً لما يأتي من قولـه « حتى إذا لقيا غـلاماً فقتله » ، وقتله للغلام يوهم اتصافه بالغلظة والجفاء ، وجملة ولا أعصي لك أمراً معطوفة على صابراً فهي في محل نصب أو معطوفة على ستجدني فلا محـل لها من الاعراب ولك متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لأمراً وإنما قيد موسى بالمشيئة لعلمه بشدة الأمر وصعوبته وان الحمية قـد تعترضه عندما يرى أمراً مغايراً وسيأتي تفصيل ذلك في حينه • (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) الفاء عاطفة وإن شرطية واتبعتني فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة ولا ناهية وتسألني مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والياء مفعول به وعن شيء متعلقـان بتسألني وحتى حرف غاية وجر وأحدث فعـل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ولك متعلقان بأحدث ومنه حال وذكراً مفعول به ولا بد من تقدير صفة محذوفة بعـد شيء أي شيء خفي عليك سره وغبي أمره •

الفوائـد :

١ ـ عند ولدن :

لدن وهي بمعنى عند فتكون اسماً لزمان الحضور ومكانه كما أن عند كذلك إلا أن لدن تختص بستة أمور :

١ ـ انها ملازمة لمبدأ الغايات الزمانية والمكانية وعند غير ملازمة فمن ثم يتعاقبان في نحو جئت من عنده من لدنه وفي الآية الكريمة وقد لا يتعاقبان في نحو جلست عنده لعـدم معنى الابتداء هنا وانما ترك التعاقب في الآية تفادياً لتكرار النظم •

٢ ـ ان الغالب في لدن استعمالها مجرورة بمن ونصبها قليل وجر عند بمن دون جر لدن في الكثرة •

٣ ـ انها مبنية على السكون بخلاف عند فانها معربة دائماً •

٤ ـ جواز إضافتها الى الجمل كقول القطامي :

صريـــع غوان راقهـــن ورقنـــه
لـــدن شبّ حتى شاب سود الذوائب

٥ ـ جواز إفرادها قبل غدوة كقوله :

وما زال مهري مزجر الكلب فيهـــم
لدن غـــــدوة حتى دنت لغـــروب

بنصب غـدوة على التمييز أو على التشبيه بالمفعول به • وبجرها على القياس •

٦ ـ انها لا تقع إلا فضلة بخلاف عند فانها قد تقع عمدة •

وقال بعضهم : إن عند في لسان العرب لما ظهر ولدن لما بطن فيكون المراد بالرحمة ماظهر من كراماته وبالعلـم الباطن الخفي المعلوم قطعاً بأنه خاص •

٢ ـ حديث النبي عن الخضر :

وقد آن أن نورد لك الحديث البليغ الذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن الخضر والحديث الآخر الذي تحدث به عن لقاء موسى والخضر :

الحديث الأول : روي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال : تصدق عليّ بارك الله فيك ، فقال الخضر : آمنت بالله ما شاء من أمر يكون ما عندي شيء أعطيكه فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت عليّ ، فإني نظرت السماحة في وجهك ، ورجوت البركة عندك فقال الخضر : آمنت بالله ما عندي شيء أعطيكه إلا أن تأخذني فتبيعني فقال المسكين : وهل يستقيم هذا ؟ قال : نعم ، أقول : لقد سألتني بأمر عظيم أما إني لا أخيبك بوجه ربي بعني قال : فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء ، فقال : إنما اشتريتني التماس خير عندي فأوصني بعمل ، قال : أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف ، قال : ليس يشقّ عليّ ، قال : قم فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر في اليوم فخرج الرجل لبعض حاجته ثم انصرف وقد نقل الحجارة في ساعة ، قال : أحسنت وأجملت وأطقت ما لم أرك تطيقه قال : ثم عرض للرجل سفر فقال : إني أحبك أميناً فاخلفني في أهلي خلافة حسنة ، قال : وأوصني بعمل ، قال : إني أكره أن أشق عليك ، قال : ليس يشقّ عليّ ، قال : فاضرب من اللَّبِنِ بيتي حتى أقدُم عليك ، قال : فمر الرجل لسفره ، قال فرجع الرجل وقد شيَّد بناءه ، قال : أسألك بوجه الله ما سببك ؟ وما أمرك ؟ قال : سألتني بوجه الله ووجه الله

أوقعني في هذه العبودية ، فقال الخضر سأخبرك من أنا ، أنا الخضر الـذي سمعت به سألني مسكين صدقة فلم يكن عنـدي شيء أعطيه فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتي فباعني وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فردّ سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلدة ولا لحم له يتقعقع ، فقال له الرجـل : آمنت بالله ، شَقَقْتُ عليك يا نبي الله ولم أعلم ، قال : لا بأس أحسنت وأتقنت ، فقال الرجل : بأبي أنت وأمي يا نبي الله احكم في أهلي ومالي بما شئت أو اختر فأخلّي سبيلك ، قال : أحبّ أن تخلّي سبيلي فأعبد ربي ، فخلّى سبيله ، فقال الخضر الحمد لله الذي أوثقني في العبودية ثم نجاني منها » .

لمحة تحليلية :

أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في هذا الحديث ، عن نبذة طريفة عن الخضر ، ومدى إيمانه العميق بالله ورغبته في ثوابه ورهبته من عقابه لتكون بمثابة معالـم الصبح لكـل مؤمن بما يعتقده حقاً وصواباً ، لا يبالي ما يتكبده في سبيل ترسيخ ما يعتقـده في النفوس كما انطوت النبذة على ميله إلى إجابة السائل الفقير المحتاج ولو ببيع نفسه قال أحدهم :

يجود بالنفس إذ ضنّ الجـواد بهـا
والجود بالنفس أقصى غايـة الجود

بثّ النـوال ولا تمنعك قلتـه
فكـلّ ما سـدّ فقراً فهو محمود

ثم أعطى الخضر نصيحة غالية تصلح للاحتذاء في مختلف ظروف الزمان والمكان، فحذر المسئولين من البخل خشية الوقوف يوم الحساب

حفاة عراة وهيئة أجسامهم رثة بالية تضطرب لرداءتها وقذارتها فكأن جسمه جلدة مثل الهيكل فقط يضطرب ويتحرك ولا تستدل عليه إلا بقعقعة خفيفة وأحسب أبا الطيب رمق سماء هذا المعنى حين قال واصفاً نحوله :

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وانظر بعد ذلك الى أبسمى مطلب يجنح اليه العقلاء : « تخلي سبيلي فأعبد ربي » وهذا بمثابة مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لكل انسان ليجود بماله في مشروعات الخير وليثق بالله الرزاق المنفق المخلف ، وليتحلى بشيم السخاء والعطاء ، وما أجمل قول أبي فراس الحمداني وقد تضمن هذه المعاني السامية كلها كما صور الفتوة أجمل تصوير :

غيري يغيره الفعال الجافي
ويحول عن شيم الكريم الوافي

إن الغنيّ هو الغنيّ بنفسه
ولو انه عاري المناكب حاف

ما كل ما فوق البسيطة كافياً
وإذا قنعت فكل شيء كاف

وتعاف لي طمع الحريص فتوتي
ومروءتي وقناعتي وعفافي

ومكارمي عـــدد النجـــوم ومنزلي
مأوى الكـــرام ومنزل الأضيـــاف

لا أرتضي وداً إذا هو لـــم يـــدم
عنـــد الجفـــاء وقلـــة الانصـــاف

الحديث الثاني في لقاء موسى والخضر :

ورد في صحيح مسلم : « عن أبي بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا أعلم ، قال : فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال موسى : أي رب كيف لي به ؟ فقيل له : احمل حوتاً في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم فانطلق وانطلق معه فتاه وهو يوشع بن نون فحمل موسى عليه السلام حوتاً في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرأى رجلاً مسجى عليه ثوب فسلم عليه موسى فقال له الخضر أنّى بأرضك السلام ؟ قال أنا موسى ، قال : موسى بني اسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه » .

وسيأتي في الآيات الآتية إيضاح أعمالهما ، هذا ولم يذكر يوشع ابن نون لأنه كان تابعاً لموسى فأدرج في مطاوي الحديث عنه ، أما أعمالهما فهي :

١ ــ خرق السفينة .

٢ ــ قتل الغلام .

٣ ـ اخراج كنز من جدار .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقصّ علينا من أخبارهما .

لماذا سمي الخضر ؟

وقال النووي : « وقد صح في البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة فإذا هي تهتز من خلفه خضراء ، وجمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا وكان الحوت سمكة مالحة والمكتل : القفة والزنبيل والطاقة وقوله « مسجى مغطى » و « أنى بأرضك السلام » بمعنى كيف أي السلام عجيب بدار الكفر هذه .

التأدب في طلب العلم :

وقال البيضاوي : « ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة (سيدنا موسى) أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطاً في أبواب الدين فإن الرسول ينبغي أن يكون أعلم ممن أرسل إليهم فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقاً وقد راعى في ذلك غاية التواضع والأدب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعاً له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله به عليه » .

هل الخضر حيّ ؟

هذا وقد زعم كثيرون أن الخضر حي وهذا غير صحيح إذ لا دليل عليه من كتاب منزل أو سنة ثابتة فيجب المصير اليه ولم ينقل عن أحد

ممن يوثق به ويعتمد على نقله انه رآه وأخبره انه الخضر صاحب موسى ومثل هذا لا يمكن الركون اليه والتعويل عليه والتصديق به إلا بأحد هذين الطريقين إما الخبر الصادق أو المشاهدة بالبصر وبدون ذلك فالتصديق بوجوده ضرب من الخلط ، والعادة المستمرة أن الانسان لا يعيش مثل هذا العمر الطويل فمن ادعى خلاف العادة في فرد من أفراد هذا النوع طولب بالدليل على ذلك وكل ما استند اليه القائلون بحياة الخضر الى الآن وانه يبقى حياً الى آخر الدنيا أحاديث لم يصح منها شيء عند أهل العلم وحكايات لفقها القصاصون ترويجاً لحالهم عند العامة ولذلك أنكر الامام المجتهد أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري وشيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الحنبلي صحة ذلك وكفى بقولهما على سعة علمهما بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحه وضعيفه حجة لنا فيما ذكرناه على أن القرآن يخالف ما ذهب اليه القائلون بحياته فإن الله جل شأنه قال في محكم كتابه « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » وقال لشرّ خلقه إبليس « انك من المنظرين » في جواب قوله « انظرني إلى يوم يبعثون » فجعل ذلك خصوصية لعدوه ابليس لامتحان خلقه به ولتتم لعنته عليه ولم يجعل ذلك لأحد غيره لا نعمة ولا نقمة فالقائل بغير ذلك غير مصيب فيما قاله والله أعلم .

أما لفظ الخضر فقد ضبطوه بكسر الخاء مع سكون الضاد وبفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه وكنيته أبو العباس واسمه بليا ، وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ
لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ
مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا
فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ
شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ
بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ
يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا
﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ

لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

اللغـــة :

(إمراً) : الإمر العظيم المنكر ، قال أبو عبيـدة : الإمر الداهيا العظيمة وأنشد :

قد لقي الأقران مني نكرا   داهيـة دهيا وأمراً إمرا

ويقال : أمر الإمر أي عظم وتفاقم وهـذه المادة اللغوية غريبة تقول الأمر بالفتح : طلب إحداث الشيء وجمعه أوامر والأمر الشأن وجمعه أمور وأولو الأمر أهل الرياسة والعلمـاء ، والإمّر والإمّر الضعيف الرأي ، والأمير الآمر ، فتتغير معانيها بتغير شكلها .

(ترهقني) : تكلفني وفي المختار : رهقه غشيه وبابه طرب وأرهقا عسراً كلفه إياه .

(زكية) : طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث ، وفي القاموس : زكا يزكو زكـاء وزكـوا ، وزكي يزكى زكىً الزرع نما والرجل صلح وتنعم وزكاه الله بالتشديد أنماه وطهّره وأصلحه ، وأخا زكاته وزكّى ماله أدّى عنه الزكاة ، وزكّى نفسه مدحها .

(نكراً) : بضم فسكون وبضمتين : المنكر وهو أبلغ من الإمر لأن معه القتل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه وتلافيه وقيل : الإمر أبلغ لأن قتل النفس بسبب الخرق أعظم من قتل نفس واحدة .

(يضيفوهما) : يقال ضافه إذا كان له ضيفاً وحقيقته من الميل ، يقال ضاف السهم عن الغرض وأضافه وضيفه جعله ضيفاً وهم ضيوف وأضياف وضيفان ، ومن المجاز : أضاف إليه أمراً إذا أسنده إليه واستكفأه وفلان أضيفت اليه الأمور وما هو إلا مضاف أي دعي ، ونزلت به مضوفة . قال :

وكنت إذا جاري دعا لمضوفة   أشمر حتى يبلغ الساق مئزري

الاعراب :

(فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في الأمور الثلاثة التي ألمعنا اليها والتي خفيت بواطنها عن موسى وبدت له ظواهرها مستنكرة ، ولا بد من تقدير محذوف أي فانطلقا يمشيان ومعهما تابعهما يوشع بن نون وقد اكتفى بذكر المتبوع عن التابع أي على ساحل البحر يطلبان سفينة تقلهما فوجدا سفينة فركباها فأخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي فجعل موسى يعارضه ويقول الخ . وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة ركبا في السفينة في محل جر بإضافة الظرف إليها ، وجملة خرقها جواب اذا وهو فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به . (قال : أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً) قال ـ أي موسى ـ أخرقتها والهمزة للاستفهام الإنكاري ،

لتغرق اللام للتعليل وتغرق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وأهلها مفعول به ، وسيأتي سر نسيان نفسه في باب البلاغة ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به وإمراً صفة. (قال:ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وإن واسمها وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها . (قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً) لا ناهية وتؤاخذني فعل مضارع مجزوم بلا والنون للوقاية والفاعل مستتر تقديره أنت والياء مفعول به ؛ ومن أمري حال لأنه كان في الأصل صفة لعسراً وعسراً مفعول به ثان لترهقني . (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً) فانطلقا الفاء للعطف وانطلقا فعل وفاعل وحتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة لقيا مضافة للظرف وهي شرط إذا وغلاماً مفعول به ، والفاء حرف عطف وقتله عطف على لقيا فهو داخل في حيز فعل الشرط بخلاف قوله « حتى إذا ركبا في السفينة خرقها » بغير فاء فقد جعله هنا جواباً والعلة في هذه المخالفة ، ان خرق السفينة لم يأت عقب الركوب مباشرة أما القتل فقد أتى عقب لقاء الغلام مباشرة ، وقال هو جواب إذا ، أقتلت : الهمزة للاستفهام الانكاري ونفساً مفعول به وزكية صفة ، وبغير نفس : الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الفاعل أو المفعول أي قتلته ظالماً أو مظلوماً أو متعلق بقتلت ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وجئت فعل وفاعل وشيئاً مفعول به ونكراً صفة . (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) الهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم وان واسمها وجملة لن تستطيع معي صبراً خبرها ، وقد زاد هنا لفظ لك لأن سبب العتاب أكثر وموجبه أقوى وقيل زاد لفظ لك

لقصد التأكيد كما تقول لمن توبخه : لك أقول وإياك أعني • (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) إن شرطية وسألتك فعل ماض وفاعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وعن شيء جار ومجرور متعلقان بسألتك وبعدها ظرف متعلق بمحذوف صفة لشيء ، والفاء رابطة لجواب الشرط ولا ناهية وتصاحبني مجزوم بلا والياء مفعول به • (قد بلغت من لدني عذراً) قد حرف تحقيق وبلغت فعل وفاعل ومن حرف جر ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر والجار والمجرور متعلقان ببلغت أو بمحذوف حال وعذراً مفعول به • (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) الفاء عاطفة وانطلقا فعل وفاعل وحتى حرف غاية وجر واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وأتيا فعل وفاعل وأهل مفعول به وقرية مضاف إليه ، قيل القرية هي انطاكية ومعنى استطعما أهلها طلبا منهم الطعام على سبيل الضيافة ، وجملة استطعما أهلها لا محل لها لأنها جواب إذا ، واختار ابن هشام أن تكون صفة لقرية ، وكرر الأهل للتأكيد من باب إقامة الظاهر مقام المضمر وقد تقدمت شواهده أو للتقصي ليشمل الاستطعام والامتناع من الإكرام جميع أهلها • (فأبوا أن يضيفوهما) الفاء عاطفة وأبوا فعل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول أبوا • (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) الفاء عاطفة ووجدا فعل وفاعل وفيها جار ومجرور متعلقان بوجدا وجداراً مفعول به وجملة يريد صفة لجداراً وفي معنى إسناد الإرادة للجدار بحث ممتع يطالعه القارىء في باب البلاغة وأن وما في حيزها مفعول يريد فأقامه الفاء عاطفة وأقامه فعل وفاعل مستتر ومفعول به أي رفعه ورممه وأصلحه • (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) لو حرف شرط غير جازم وشئت فعل وفاعل واللام واقعة في جواب لو واتخذت فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب لو

وعليه متعلقان بمحذوف حال وأجراً مفعول به . (قال هذا فراق بيني وبينك) هذا مبتدأ والاشارة الى الفراق المترتب على تكرار السؤال وفراق خبر وبيني مضاف إليه وساغت اضافة بين الى غير متعدد لتكرير بين بالعطف بالواو وبينك عطف على بيني . (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) السين حرف استقبال وأنبئك فعل وفاعل مستتر ومفعول به وبتأويل الباء حرف جر دخل على مضمون المفعولين الثاني والثالث وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وما اسم موصول مضاف الى تأويل ولم حرف نفي وقلب وجزم وتستطـع مضارع مجزوم بلم وصبراً مفعول به وعليـه متعلقان بصبراً أي سأنبئك سر ما فعلت في الامور الثلاثة . (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) أما حرف شرط وتفصيل والسفينة مبتدأ والفاء رابطة وكانت كان واسمها المستتر والتاء تاء التأنيث الساكنة و لمساكين خبر كانت والجملة خبر السفينة وجملة يعملون في البحر صفـة لمساكين وفي البحر متعلقـان بيعلمون.(فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) الفاء عاطفة وأردت فعل وفاعل وأن أعيبها المصدر المؤول مفعول أردت والواو للحال وكان فعل ماض ناقص ووراءهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهو بمعنى أمام ويجوز أن يكون بمعنى خلف وملك اسم كان المؤخر وجملة يأخذ صفة وكـل سفينة مفعول به وغصباً مفعول مطلق مبين لنوع الأخذ ويجوز أن يكون المصدر في موضع نصب على الحال وفي الكلام تقديم وتأخير سيأتي سره العجيب في باب البلاغة . (وأما الغـلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً) الواو عاطفة وأما حرف شرط وتفصيل والغلام مبتدأ فكان الفاء رابطة وكان واسمها وخبرها فخشينا الفاء عاطفة وخشينا فعـل وفاعل وأن وما في حيزها مفعول خشينا وطغياناً مفعول به ثان وكفراً عطف عـلى

طغياناً وجملة الجواب خبر الغلام وأسند الخشية الى نفسه لأن الله أطلعه على مآل الغلام لو تناهت به المدة وانفسح الأجل ، أو لأنه حكى قول الله . (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً) فأردنا عطف على خشينا وأردنا فعل وفاعل وأن يبدلهما أن وما في حيزها مفعول يبدلهما وخيراً منه مفعول ثان وزكاة تمييز أي صلاحاً وتقى وأقرب رحماً عطف على خيراً منه زكاة ورحماً تمييز أيضاً أي رحمة بوالديه .

قال أبو حيان : وانتصب رحماً على المفعول له وأجاز الزمخشري أن ينصب على المصدر بأراد قال لأنه في معنى رحمهما وأجاز أبو البقاء أن ينتصب على الحال وكلاهما متكلف . فتأمل .

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) الجملة معطوفة على ما تقدم والاعراب مماثل وفي المدينة صفة ثانية أو حال . (وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً) الواو عاطفة وكان فعل ماض ناقص وتحته ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وكنز اسمها المؤخر ولهما صفة وكان أبوهما صالحاً كان واسمها وخبرها . (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) فأراد عطف على ما تقدم وربك فاعل وأن يبلغا مفعول أراد وأشدهما مفعول به وقد تقدم تفسير الأشد ويستخرجا عطف على يبلغا والألف فاعل وكنزهما مفعول به ورحمة من ربك مفعول لأجله أي لولا أني أقمته لانقض وهوى وخرج الكنز من تحته قبل أن يصبحا قادرين على حفظ المال وتنميته واستثماره ولضاع بدداً . (وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) الواو عاطفة وما نافية وفعلته فعل وفاعل ومفعول به والضمير يعود على مجموع ما ذكر وعن أمري جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي صادراً عن أمري وإنما هو بأمر الله وإلهامه

إياي وذلك مبتدأ وتأويل خبر وما مضاف اليه ولم حرف نفي وقلب وجزم وتسطع أي تستطع فحذفت منه تاء الافتعال مجزوم بلم وعليه متعلقان بصبراً وصبراً مفعول به •

البلاغـة :

الفنون التي انطوت عليها الآيات الآنفة لا يتسع لها صدر هـذا الكتاب إذا نحن حاولنا استجلاء غوامضها واكتناه خوافيها فلنمض في استقصائها جانحين إلى لغة النظر فأولها :

١ ــ نسيان نفسه عندما قال : « **أخرقتها لتغرق أهلها** » وهو بين الراكبين وهو جدير بأن ينهمك بأمر نفسه وما هو مقدم عليه من سوء المصير وإنما حمله على المبادرة بالانكار الالتهاب والحمية للحق فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي يقول فيها كل واحد : نفسي نفسي ، ولا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق تذهل فيها العقول وتغرب الأحلام ويضيع الرشد من الألباب •

٢ ــ التورية في قولـه « **قال لا تؤاخـذني بما نسيت** » أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان لإيهامـه بأنه قد نسي ليبسط عـذره في الإنكار وبعضهم يسمي هـذا النوع من معاريض الكلام ، والمعاريض جمع معراض وهو هنا إيهام خلاف المراد لئلا يلزم الكذب وهو فن طريف من فنونهم ولعله أجمـل أنواع التورية التي سبق ذكرهـا وقد كان المتنـبي يجنـح إليه في قصائده وخاصـة الكافوريات قال :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا عـلى العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يمـان

فشبيب هذا خارجي خرج على كافور الإخشيدي وقصد دمشق وحاصرها فيقال أن امرأة ألقت عليه رحىً فصرعته فانهزم الذين كانوا معه لما مات ، ويقال إنه أكثر من شرب الخمر فحدث به صرع ففي ساعة القتال أتته نوبة الصرع فتركه أصحابه ومضوا فأخذه أهل دمشق وقتلوه وقد كان شبيب هذا من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له « يماني » في نسبته الى اليمن ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيباً لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يماني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة .

ومن معاريض الكلام الحسنة قول أبي العلاء المعري في وصف الإبل :

صلب العصا بضرب قد دمّاها تود أن الله قد أفناها

إذا أرادت رشداً أغواها محا له من رقه إياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الأرض وهو المسير فيها وكذلك دماها يطلق على شيئين أحدهما يقال : دمّاه إذا أسال دمه ودماه إذا جعله كالدمية وهي الصورة وكذلك لفظ الفناء فإنه يطلق على عنب الثعلب وعلى إذهاب الشيء إذا لم يبق منه بقية يقال أفناه إذا أذهبه وأفناه إذا أطعمه حب الفناء وهو عنب الثعلب ، والرشد والغوى نبتان يقال أغواه إذا أضله وأغواه إذا أطعمه النوى ويقال طلب رشداً إذا طلب ذلك النبت وطلب رشداً إذا طلب الهداية .

ويروى في الأخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائراً بأصحابه يقصد بدراً فلقيهم رجل من العرب فقال :

ممن القوم ؟ فقال النبي : من ماء ، فأخذ ذاك الرجل يفكر ويقول : من مـاء من ماء لينظر من أي بطون العرب يقـال لها ماء فسار النبي لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثلية لأنه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أن خلقتهم من ماء وحاشى النبي أن يكذب .

٣ ـ توكيد الضميرين :

وذلك في قوله تعالى « قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً » في قصة قتل الغلام وهذا بخلاف قصة السفينة فإنه قال فيها « ألم أقل انك لن تستطيع معي صبراً » والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير في الثانية دون الأولى « ألم أقل انك » وقال في الثانية « ألم أقل لك إنك » وإنما جيء بذلك للزيادة في مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة بعد مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان ما نهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس أنك تزيد في لومه وتعنيفه ؟ وكذلك فعل هاهنا فإنه قيل في الملامة أولاً « ألم أقل إنك » ثم قيل ثانياً : « ألم أقل لك انك » وهذا موضع يدق عن العثور عليه بالنظرة العجيلة ولا يمكن اكتناه حسنه إلا بعد التأمل العميق وهذا فن جليل القدر ، بعيد الغور ، فللضمائر أسرار لا يدركها إلا الملهمون والمبدعون وهي ليست مجرد ضمائر تذكر كما ترد في كتب النحو وستأتي في كتابنا هذا صور رائعة عنه تبين مدى قدر المبين وتساميه عن الانداد .

التوكيد بالضمائر في الشعر :

وسنورد لك هنا الآن نمـاذج من التوكيـد بالضمائر الوارد في الشعر تذهل العقول فمن بديع ما استظرفناه قول أبي تمام :

لا أنت أنت ولا الـديار ديار خف الهوى وتولت الأوطـار

فقولـه « لا أنت أنت ولا الديار ديار » من المليـح النادر لأنه هو هو والديار الديار وإنما مراده أن البواعث التي كانت تبعث على قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتّى له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار • وقد حاول أبو الطيب أن ينسج على منوال أبي تمام فأسف ولم يلحق به إذ قال :

قبيل" أنت أنت وأنت منهـم وجـدك بشر الملك الهمـام

فقوله « أنت أنت » من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة في مدحه ولكنه أفسد على نفسه ما أراده لأن سبك البيت عارٍ من الحسن وفيه تقديم وتأخير أفسداه أيضاً لأنه كان من حقه أن يقول: قبيل أنت منهم وأنت أنت ولو تأتّى له ذلك الرأب صدع البيت ، ومع ذلك يبقى دون بيت أبي تمام العذب الرشيق وهـذا مرده الى الذوق وهو الحكم في هذا الباب •

وروى صاحب الأغاني : أن عمرو بن ربيعة قال لزياد بن الهبولة : يا خير الفتيان أردد علي ما أخذته من إبلي فردها عليـه وفيها فحلها فنازعه الفحل إلى الإبل فصرعه عمرو فقال له زياد : لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له : لقد أعطيت قليلاً وسمت جليلاً ، وجررت عـلى نفسك ويلاً طويلاً » فقوله : لكنتم أنتم أنتم ، أي أنتم الأشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس إلا أن « أنتم » الثانية تخصيصاً لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أنتم الشجعان دون غيرهم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم به من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هـذه الكلمـة أعني « أنتم » الثانية •

٤ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى : « فوجدا جداراً يريد أن ينقض » فقد استعيرت الارادة للمشارفة والمداناة ويجوز أن يكون مجازاً عقلياً وهذا الخلاف مطرد في كل نسبة الى مالا يعقل كقول عمرو بن أبي ربيعة :

أبت الروادف والثديّ لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

وسنبسط لك القول في هذا البيت بسطاً شافياً لتتأكد من حقيقة هذا الكلام فالإباء المنع الاختياري وقد شبه الروادف والثديّ لكبرها بمن يصح منه ذلك والكلام يحتمل إرادة التشبيه فهو مجاز علاقته المشابهة فيكون استعارة مكنية تبعية وقد لا يحتمل إرادة التشبيه ويكون عبارة عن مجرد إسناد الإباء اليها للدلالة على كبرها فيكون مجازاً عقلياً وفي الكلام أيضاً لف ونشر مشوش لأن مس البطون يرجع للثدي ومس الظهور يرجع للروادف ولا بد لإظهار معنى البيت تماماً من إيراد البيت الثاني وهو :

وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبّهن حاسدة وهجن غيـورا

يقال تناوح الجبلان أي تقابلا فالمراد بالتناوح التقابل بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضها من خلفها فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره فتتنبه الحاسدة لها وتهيج الغيور لكراهية ذلك من الرياح . ومن هذا الضرب قول الحسن بن هانىء أبي نواس :

فاستنطق العود قد طـال السكوت به

لا ينطق اللهـو حتى ينطق العـود

شبه العود بانسان على طريق الاستعارة المكنية ويصح أن يكون مجازاً عقلياً على نحو ما قدمنا لك .

وقول حسان بن ثابت :

ان دهراً يلف شملي بجمل لزمان يهمّ بالاحسان

وجمل اسم محبوبته ويروى بعدى يقول : إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهمّ بالاحسان على طريق المكنية ولفظ الهم تخييل ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف .

٥ ـ التقديم والتأخير :

ظاهر الكلام يقتضي تأخير قوله « فأردت أن أعيبها » عن قوله : « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » لأن إرادة العيب مسببة عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب والجواب على ذلك أنه سبحانه قدم المسبب على السبب للعناية به ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن معْ كونها للمساكين .

وفي الآية والتي بعدها أيضاً أسرار عجيبة أخرى وذلك بمخالفة الضمائر فيهما فقد أسند في الأولى الفعل الى ضميره خاصة بقوله « فأردت أن أعيبها » وأسنده في الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله « فأردنا أن يبدلهما ربهما » و « فخشينا أن يرهقهما » ولعل إسناد الأول الى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى لأن المراد أن ثمة عيباً فتأدب بأن نسب الإعابة الى نفسه وأما إسناد الثاني الى الضمير المذكور فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا

أو دبرنا كذا وإنما يعنون بأمر الملك أو دبر ويؤيد ذلك قوله في الثالثة « فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » فلم تأت الضمائر على نمط واحد وهذا من أرقى الأساليب وأحفلها بالمعاني الخصبة التي لا يمجها السمع وتحتويها الآذان .

الفوائد :

١ ـ الأفعال التي تنصب مفاعيل ثلاثة هي أعلم وأرى وأنبأ ونبأ وأخبر وخبر وحدث والأصل في هذه الأفعال أعلم وأرى اللذان كان أصلهما قبل دخول همزة النقل عليهما علم ورأى المتعديان لاثنين وأما الخمسة الباقية فليس لها ثلاثي يستعمل في العلم إلا خبر ولكنها ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدي الى ثلاثة لأن الإنباء والتنبيء والإخبار والتخبير والتحديث بمعنى الإعلام ، هذا وتستعمل الخمسة متعدية الى واحد بأنفسها والى مضمون الثاني والثالث أو مضمون الثالث وحده بالباء نحو حدثتك بخروج زيد وعليه يحمل قوله تعالى « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » وسيأتي مزيد بحث عن هذه الأفعال في موضعه إن شاء الله .

٢ ـ وراء :

هو لفظ يطلق على الخلف وعلى الأمام ومعناها هنا أمامهم وكون وراءهم بمعنى أمامهم قول قتادة وأبي عبيدة وابن السكيت والزجاج ولا خلاف عند أهل اللغة أن وراء يجوز بمعنى قدام وجاء في التنزيل والشعر ، قال الله تعالى : « من ورائه جهنم » وقال « ومن ورائه عذاب غليظ » وقال « ومن ورائهم برزخ » وقال لبيد :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا يحنى عليها الأصابع

وقال سوار بن المضرب السعدي :

أيرجـــو بنو مروان سمعي وطـــاعتي

وقومي تميـــم والفـــلاة ورائيا

وقال آخر :

أليس ورائي أن أدب عـــلى العصـــا

فتـأمن أعـــداء وتسأمـــني أهـــلي

وقال الفراء : « لا يجوز أن يقال للرجل بين يديك هو وراءك وإنما يجوز ذلك في المواقيت من الليالي والأيام والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد جاز الوجهـان لأن البرد إذا لحقك صار من ورائك وكأنك إذا بلغته صار بين يديك » قال : « إنما جاز هذا في اللغة لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك » وأكثر أهل اللغة على أن وراء من الأضداد .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ

حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

اللغـــة :

(ذي القرنين) : اضطربت الأقوال فيه كثيراً فبينما يزعم مفسرو القرآن أنه غير الاسكندر المقدوني الكبير يقولون انه هو الذي بنى الاسكندرية مع أن الاسكندر الكبير هو بانيها ؛ ومعنى ذي القرنين انه لقب" لقب به لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقيها وغربيها أو لأنه كان له قرنان أي ضفيرتان ، والعرب تسمي الذؤابة قرناً وجمعها قرون . قال مجنون ليلى لزوجها صبيحة عرسه :

بعيشك هل ضممت إليك ليلى قبيـــل الفجر أو قبلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في شــذاها

وقيل كان عــلى رأسه ما يشبه القرنين ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه واختلف في زمنه ومكانه اختلافاً يمكن الرجوع اليه في المطولات لأن هذا البحث غير داخل في نطاق كتابنا .

(حمئة) : أي كثيرة السواد من الحمأة أي الطين وفي المصباح والحمأة بسكون الميم طين أسود وقد حمئت البئر حمأ من باب تعب صار فيها الحمأة والعين الحمئة ماء يجري على الطـين الأسود ، وقد

قرىء عين حامية أي حارة ويروى أن ابن عباس قرأ حمئة وكان عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله ابن عمر كيف تقرأ ؟ قال : كما يقرأ أمـير المؤمنين ثم وجـه الى كعب الأحبار كيف تجد الشمس تغرب فقـال : في ماء وطـين فوافق قول ابن عباس ، وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع :

قـد كـان ذو القرنين جـدي مسلماً

ملكـاً تدين لـه الملـوك وتسجد

بلـغ المغـارب والمشـارق يبتغي

أسبـاب أمر من حكيـم مرشـد

فرأى مغـار الشمس عنـد مآبهـا

في عـين ذي خلـب وثأط حرمـد

والخلب بضمتين الحمأة وهي الطين والثأط الحمأة المختلطة بالماء فتزيد رطوبة وتفسد والحرمد الطين الأسود • مدح تبع ذا القرنين ثم قال انه بلغ مواضـع غروب الشمس ومواضع شروقهـا يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده فرأى محل غيار الشمس عند مآبها أي رجوعها وفي عين متعلق بمغار وحال منه وقد أوّل أبو علي الجبائي ذلك تأويلاً طريفاً بأن ذلك عـلى سبيل التخييل كما أن من ير الشاطىء الغربي من البحر المتسع ير الشمس تغرب فيه وفي الحقيقة تغرب في ظلمـة وراء الارض لدورانها كما يقرر ذلك بدائه العلم •

الاعراب :

(ويسألونك عن ذي القرنين) الواو استئنافية ويسألونك فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعن ذي القرنين متعلقان بيسألونك . (قل سأتلو عليكم منه ذكراً) جملة سأتلو مقول القول وعليكم متعلقان بأتلو ومنه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لذكر أو تقدم عليه وذكراً مفعول به . (إنا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً) إن واسمها وجملة مكنا خبرها وله متعلقان بمكنا وفي الارض متعلقان بمكنا أيضاً وآتيناه عطف على مكنا وهو فعل وفاعل ومفعول به ومن كل شيء متعلقان بمحذوف حال لأنه كان صفة لسبباً وسبباً مفعول به ثان لآتيناه . (فأتبع سبباً) الفاء عاطفة وأتبع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو وسبباً مفعول به وقيل هو يتعدى لاثنين حذف أحدهما وتقديره فأتبع سبباً سبباً آخر أو فأتبع أمره سبباً قال يونس وأبو زيد : أتبع بالقطع عبارة عن المجد المسرع الحثيث الطلب وبالوصل إنما يتضمن الاقتفاء دون هذه الصفات . (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن وجملة بلغ مضافة الى الظرف ومغرب الشمس مفعول به وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وفي عين متعلقان بتغرب وحمئة صفة لعين . (ووجد عندها قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً) ووجد عطف على وجدها وعندها ظرف متعلق بوجد وقوماً مفعول به وقلنا فعل وفاعل وذا القرنين منادى مضاف وإما حرف شرط وتفصيل وأن تعذب مصدر مؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هو تعذيبك أو الرفع على انه مبتدأ والخبر محذوف أي إما تعذيبك واقع ، ومن شواهد الرفع

عول الشاعر :

فسيروا فإما حاجة تقضيانها منهما

وإما مقيل صالح وصديق

أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف أي إما أن تفعل التعذيب وإما أن تتخذ عطف على إما أن تعذب وفيهم متعلقان بتتخذ أو مفعول به ثان لتتخذ وحسناً مفعول به أول أي أمراً ذا حسن • (قال : أما من ظلم فسوف نعذبه) أما حرف شرط وتفصيل ومن ظلم مبتدأ وجملة ظلم صلة فسوف الفاء رابطة وسوف خرف استقبال ونعذبه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول والجملة خبر من • (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً) ثم حرف عطف وتراخ ويرد فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والى ربه متعلقان بيرد فيعذبه الفاء عاطفة ويعذبه فعل وفاعل ومفعول به وعذاباً مفعول مطلق ونكراً صفة • (وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى) وأما عطف على أما السابقة ومن مبتدأ وآمن صلة وعمل صالحاً فعل وفاعل مستتر ومفعول به أو صالحاً صفة لمفعول مطلق محذوف أي عملاً صالحاً فله الفاء رابطة وله خبر مقدم وجزاء تمييز وأعربها أبو حيان مصدراً في موضع الحال أي مجازى كقولك في الدار قائماً زيد وقيل انتصب على المصدر أي يجزى جزاء ، والحسنى مبتدأ مؤخر أي فله الفعلة الحسنى جزاء • قال الفراء ونصب جزاء على التفسير أي لجهة النسبة أي نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالفعلة الحسنى كائنة له من جزاء الجزاء (وسنقول له من أمرنا يسراً) وسنقول فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وله متعلقان بنقول ومن أمرنا متعلقان

بمحذوف حال لأنه كان صفة ليسراً وتقـدم عليه ويسراً مفعول به أو مفعول مطلق أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر •

الفوائـد :

بحث طريف يتعلق بـ « في » :

ذهب ابن قتيبة إلى أن « في » بمعنى « عند » لأنها قد ترد بمعنى « في » وبمعنى « مع » قال الشاعر :

حتى إذا ألقت يداً في كافر

معناه عند كافر ، وقال الشاعر :

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك إحسان

معنـاه ومع الشـر ، وتكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى : « ولأصلبنكم في جذوع النخل » أي على جذوع النخل وقال عنترة :

بطل كأن ثيابه في سرحة

أي على سرحة ، وكما أن في تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر :

ولقد سريت على الزمان بمعشر

أي في الظلام •

هذا ونقول إن الخطاب على حكم الحس في رأي العين لأن من وقف على شاطىء البحر المحيط أو قريباً من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت في نفس البحر أو خلف الجبل ، قال الله تعـالى :

« حتى توارت بالحجاب » أي وراء الجبل ولولا أن اللفظ جاء على حكم الحس في الظاهر لما قال الله تعالى : « وجد عندها قوماً » ومن المعلوم عقلاً أن القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولا هم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن الشمس تغرب هناك وإذن فالخطاب ورد على حكم الحس في الظاهر وما أكثر ما تكذب الحواس وله مباحث تؤخذ من مظانها وليس من شرطنا البحث في هذه الموضوعات على جلالتها ويروي التاريخ أن لابن الهيثم كتاباً جليل القدر يقع في سبعة مجلدات في هذا العلم ولكنه فقد مع ما فقد من تراثنا العربي .

هذا وقد تظرف الشعراء فأشاروا الى خداع الحس ، قال أبو العلاء المعري :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

وقال الخفاجي :

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها
وإنما هو فيما يزعم البصر

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا

بما لديه خبرا ﴿٩١﴾ ثم أتبع سببا ﴿٩٢﴾ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ﴿٩٣﴾ قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ﴿٩٤﴾ قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ﴿٩٥﴾ آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا ﴿٩٦﴾ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴿٩٧﴾ قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ﴿٩٨﴾

اللغـــة :

(بين السدين) : بين الجبلين يروى أن ذا القرنين سدّ ما بينهما ، وإطلاق السد على الجبل لأنه سد في الجملة ، وفي القاموس : السدّ الجبل والحاجز ، أو لكونه ملاصقاً للسد فهو مجـاز بعلاقة المجاورة والقول الثاني هو المناسب لما قبله والتفاصيل في المطولات .

(يأجوج ومأجوج) : اسمان أعجميان بدليل منع الصرف فيهما للعلمية والعجمة وقيل بل هما عربيان واختلف في اشتقاقهما فقيل من

أجيج النار وهو التهابها وشدة توقدها وقيل من الأوجة وهي الاختلاط أو شدة الحر وقيل من الأوج وهو سرعة العدو ، وإنما منعا من انصرف للعلمية والتأنيث وكلاهما من أج الظليم إذا أسرع أو من أجت النار إذا التهبت والأقوال في حقيقتهما كثيرة يمكن الرجوع إليهما في المطولات .

(خرجاً) : جعلاً من المال أو الخراج بتثليث الخاء وقد قرىء بها ومنه « الخراج بالضمان » ثم سمي ما يأخذه السلطان خراجاً ويقال للجزية الخراج فيقال أدى خراج أرضه ، ومن المجاز خرج فلان في العلم والصناعة خروجاً إذا نبغ وخرّجه فلان فتخرج وهو خريج المدرسة ، قال زهير يصف الخيل :

وخرّجها صوارخ كل يوم فقد جعلت عرائكها تلين

أي وأدبها كما يخرّج المتعلم .

(ردماً) : حاجزاً حصيناً موثقاً ، والردم أكبر من السدّ من قولهم ثوب مردم ، ومنه قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

المتردم الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهي والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين ومعنى قول عنترة : لم يترك الأول للآخر شيئاً أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعه ومستصلحاً أستصلحه .

(زبر الحديد) : جمع زبرة كغرفة أي قطعة .

(الصدفين) بفتحتين ، وضمتين أيضاً ، وضم الأول وسكون الثاني ، وقد قرىء بالثلاث جميعاً مثنى صدف بفتحتين وصدف بضمتين

وصُدَف بضم الأول وفتح الثاني وبالعكس : منقطع الجبل أو ناصيته وقد سميا بذلك لأنهما يتقابلان .

(قطراً) بكسر فسكون النحاس المذاب على الحديد المحمى .

(يظهروه) يعلوا ظهره لارتفاعه وانملاسه .

(نقباً) خرقاً لصلابته وثخانته .

(دكاء) بالمد أرض مستوية من قولهم ناقة دكاء أي لا سنام لها ، ذللت بالدك وقرىء دكاً مصدر دك .

الاعراب :

(ثم اتبع سبباً) عطف على نظائرها وقد تقدم إعرابها . (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) حتى حرف غاية وجر وإذا ظرف مستقبل وجملة بلغ مضافة الى الظرف ومطلع بكسر اللام مكان الطلوع وسيأتي القول فيه في باب الفوائد وجملة وجدها لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وجملة تطلع مفعول ثان لوجدها وعلى قوم متعلقان بتطلع وجملة لم نجعل صفة لقوم ولهم في موضع نصب مفعول ثان لنجعل ومن دونها حال وستراً مفعول نجعل الأول لأن أرضهم لا أبنية فيها بل فيها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها وإذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وقيل المراد بالستر اللباس فهم عراة أبداً . (كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً) كذلك خبر لمبتدأ محذوف أي الأمر كذلك وقد الواو عاطفة أو حالية وقد حرف تحقيق وأحطنا فعل وفاعل وبما متعلقان بأحطنا ولديه صلة الموصول وخبراً تمييز أو مفعول به وقد تقدم . (ثم اتبع سبباً) تقدم إعرابه . (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) بين السدين : انتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ

كما انجر على الاضافة في قوله تعالى « هـذا فراق بيني وبينك » وكما ارتفع في قوله « لقد تقطع بينكم » لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد وجملة وجد لا محل لها لأنها جواب إذا ومن دونهما مفعول وجد الثاني وقوماً مفعول وجد الأول وجملة لا يكادون صفة لقوماً والواو اسم يكاد وجملة يفقهون خبرها وقولاً مفعول به • (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) يا أداة نـداء وذا القرنين منـادى مضاف وإن واسمها ومأجوج عطف عـلى يأجوج ومفسدون خبر إن وفي الأرض متعلقان بمفسدون • (فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً) الفاء عاطفة وهل حرف استفهام ونجعل فعل مضارع وفاعـل مستتر ولك مفعول نجعـل الثاني وخرجاً مفعول نجعـل الأول وعلى ومدخولهـا متعلقان بمحذوف صفـة لخرجاً أي قائماً عـلى هـذا الشرط فعلى هنا على بابها أي للاستعلاء وبيننا الظرف متعلق بمحذوف مفعول تجعل الثاني وبينهم عطف على بيننا وسداً مفعول تجعل الأول • (قال ما مكنّي فيه ربي خـير) ما اسم موصول في محل رفع مبتدأ وجملة مكني صلة وفيه متعلقان بمكني وربي فاعل مكني وخـير خبر المبتدأ • (فأعينوني بقوة أجعـل بينكم وبينهم ردماً) الفاء الفصيحة وأعينوني فعل أمر وفاعل ومفعول به وبقوة متعلقان بأعينوني واجعل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وبينكم الظرف مفعول اجعل الثاني وبينهم عطف عليه وردماً مفعول أجعـل الاول ومعنى أعينوني بقوة أي بفعـلة وصنّاع يحسنون البنـاء وبآلة وسيأتي تفسيرها • (آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين) آتوني فعل أمر وفاعل ومفعول به أول وزبر الحديد مفعول به ثان وحتى حرف غاية وجر واذا ظرف مستقبل وساوى فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو

ولا بد من تقدير محذوف للغاية أي فجاءوه بما طلب فبنى، وجعل بين الصدفين الفحم والحطب حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما والظرف متعلق بساوى (قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً) جملة انفخوا مقول القول وجملة قال لا محل لها لأنها جواب إذا وحتى غاية للنفخ وجملة جعله ناراً مضافة الى الظرف وناراً مفعول جعل الثاني وجملة آتوني مقول القول وأفرغ مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله أنا وعليه متعلقان بأفرغ وقطراً مفعول به لأفرغ والتقدير وآتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه والمسألة من باب التنازع ، فقد أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقالوا آتوني أفرغه عليه قطراً إذ التقدير آتوني قطراً أفرغه عليه ومثله قوله تعالى : « هاؤم اقرءوا كتابيه » أعمل الثاني ولو أعمل الأول لقال « هاؤم اقرءوه كتابيه » وسيأتي القول فيه في حينه .

(فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً) الفاء عاطفة على محذوف أي فجاء قوم يأجوج بعد أن أنهى بناءه وتسويته يحاولون أن يعلوه أو يثقبوه فما اسطاعوا ، واسطاعوا فعل وفاعل وأن وما بعدها مصدر مؤول في محل نصب مفعول اسطاعوا ، وما استطاعوا عطف على فما اسطاعوا وله متعلقان بنقباً ونقباً مفعول به . (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً) جملة هذا مقول القول وهذا مبتدأ ورحمة خبر والاشارة الى السد لأنه مانع من خروجهم ومن ربي صفة لرحمة ، فاذا الفاء استئنافية واذا ظرف مستقبل وجملة جاء وعد ربي مضافة للظرف وجملة جعله لا محل لها ودكاء مفعول به ثان لجعل وكان الواو عاطفة أو حالية وكان وعد ربي كان واسمها وحقاً خبرها .

الفوائد :

١ ـ أسماء الزمان والمكان تفيد زمان الفعل ومكانه وتصاغ من الثلاثي المجرد على وزن مَفعَل بفتح العين وعلى وزن مفعِل بكسرها فوزن مفعل بفتح العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعُل المضموم العين أو يفعَل المفتوح العين في المضارع أو من الفعل المعتل الآخر مطلقاً فالأول مثل مكتب ومحضر ومحل من حل بالمكان والثاني مثل ملعب ومزرع والثالث مثل ملهى ومثوى وموقى وشذت ألفاظ جاءت بالكسر مع أنها مبنية من مضموم العين في المضارع وهي أحد عشر وهي المطلع والمنسك لمكان النسك أي العبادة والمجزر لمكان جزر الابل وهو نحرها يقال جزرت الجزور أجزرها بالضم إذا نحرتها وجلدتها والمنبت لموضع النبات والمشرق والمغرب لمكان الشروق والغروب والمفرق لوسط الرأس لأنه موضع فرق الشعر وكذلك مفرق الطريق للموضع الذي يتشعب منه طريق آخر والمسكن موضع السكنى والمسقط موضع السقوط يقال هذا مسقط رأسي أي حيث ولدت وسقط رأسي والمرفق موضع الرفق والمسجد وهو اسم للبيت وليس المراد موضع السجود فقد كسروا هذه الألفاظ والقياس فيها الفتح ٠

ووزن مفعل بكسر العين للثلاثي المجرد المأخوذ من يفعل الصحيح المكسور العين أو من المثال الواوي فالأول مثل مجلس ومحبس ومضرب ومبيت ومضيف والثاني مثل مورد وموعد ٠

وقد تدخل تاء التأنيث على أسماء المكان كالمزلة بفتح الزاي وكسرها فالمفتوح من باب فرح والمكسور من باب ضرب وهي اسم مكان من زل إذا سقط والمظنة لموضع الظن ومألفه وهو بفتح الظاء لأنه من ظن يظن بالضم والمقبرة لموضع القبر والمعبرة لموضع الشط

المهيأ للعبور والمشرقة مثلثة الراء والمدرجة الطريق من درج يدرج دروجاً إذا مشى والموقعة بفتح القاف وكسرها الموضع الذي يقع عليه والمشربة بفتح الراء وضمها أي موضع الشرب وتطلق أيضاً على الغرفة لأنهم كانوا يشربون فيها وهي أيضاً الأرض اللينة الدائمة النبات وإذا كثر الشيء بالمكان قيل فيه مفعلة بالفتح فيبنى اسم المكان من الاسماء مثل أرض مسبعة أي كثيرة السباع ومذأبة أي كثيرة الذئاب ومأسدة أي كثيرة الأسود ومبطخة أي كثيرة البطيخ ومقثأة أي كثيرة القثاء ومحياة أي كثيرة الحيات ومفعاة أي كثيرة الأفاعي ومدرجة أي كثيرة الدراج بضم الدال وتشديد الراء وهو طائر جميل ملون الريش ويطلق على الذكر والأنثى .

أما وزنهما مما فوق الثلاثي فيكون على وزن المضارع بضم الميم المبدلة من حرف المضارعة وفتح ما قبل الآخر نحو مجتمع ومنتدى ومنتظر ومستشفى فهما يشبهان اسم المفعول والمصدر الميمي والتفرقة بينها بالذوق والقرينة .

٢ ـ الظرف :

الظرف قسمان : متصرف وغير متصرف :

فالمتصرف ما يستعمل ظرفاً وغير ظرف فهو يفارق الظرفية الى حال لا تشبهها كأن يستعمل مبتدأ أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً به أو نحو ذلك مثل شهر ويوم وسنة وليل . والظرف غير المتصرف ما يلازم النصب على الظرفية فلا يستعمل إلا ظرفاً منصوباً مثل قط وعوض وبينا وبينما وإذا وأيان وأنى وذا صباح وذات ليلة ومنه ما ركب من الظروف مثل صباح مساء وليل ليل ومنه ما يلزم النصب على الظرفية أو الجر

بمن نحو قبل وبعد والجهات الست ولـدى ولدن وعند ومتى وآين وهنا وثم وحيث والآن وتفصيل ذلك في المطولات •

٣ ـ استطاع واسطاع :

قالوا : الأصل في اسطاع استطاع وان التاء حذفت تخفيفاً وفتحت همزة الوصل وقطعت وهو قول الفراء وفي استطاع لغات : اسطاع يسطيع بفتح الهمزة في الماضي وضم حرف المضارعة فهو من أطاع يطيع وأصله يطوع بقلب الفتحة من الواو الى الطاء في أطوع إعلالاً له حملاً على الماضي فصار أطاع ثم دخلت السين كالعوض من عين الفعل هذا مذهب سيبويه واللغة الثانية استطاع يستطيع بكسر الهمزة في الماضي ووصلها وفتح حرف المضارعة وهو استفعل نحو استقام واستعان •

* وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

اللغــــة :

(يموج) : يختلط •

(الصور) : القرن ينفخ فيه والبوق •

الاعراب :

(وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) وتركنا فعل وفاعل وبعضهم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بيموج وجملة يموج في بعض مفعول به ثان والتنوين في إذ عوض عن جملة كما تقدم، وقد جعل بعضهم ترك متعدياً الى واحد فتكون جملة يموج في محل نصب على الحال • (ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً) ونفخ فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر وفي الصور متعلقان بنفخ فجمعناهم الفاء عاطفة وجمعناهم فعل وفاعل ومفعول به وجمعاً مفعول مطلق • (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) وعرضنا عطف على ما تقدم وجهنم مفعول به ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بعرضنا وللكافرين متعلقان بعرضنا أيضاً وعرضاً مفعول مطلق • (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً) الذين صفة للكافرين أو

بدل منهم وجملة كانت صلة وأعينهم اسم كانت وفي غطاء خبر كانت وعن ذكري صفة لغطاء وكانوا كان واسمها وجملة لا يستطيعون سمعاً خبرها . (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي والذين فاعل وجملة كفروا صلة وان وما في حيزها سدت مسد مفعولي حسب ومن دوني مفعول ثان ليتخذوا وأولياء مفعول به أول . (إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) إنا إن واسمها وجملة أعتدنا خبر وجهنم مفعول به وللكافرين حال لأنه كان صفة لنزلاً ونزلاً حال أي معـدة لهـم كالنزل يعد للضيف . (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) جملة هـل ننبئكم مقول القول وبالأخسرين دخلت الباء على مضمون المفعولين الثاني والثالث وأعمالاً تمييز وجمع التمييز وهو أصيل في الافراد لمشاكلة المميز وللايذان بأن خسرانهم إنما كان من جهات شتى لا من جهة واحدة . (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) الذين صفة للأخسرين أو بدل ويرجح أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف كأنه جواب لسؤال سائل ومن هم الأخسرون أعمالاً وجملة ضـل صلة وسعيهم فاعل وفي الحياة متعلقان بضل والواو حالية وهم مبتدأ وجملة يحسبون خبر وان ومافي حيزها سدت مسد مفعولي يحسبون وجملة يحسنون خبر أنهم وصنعاً مفعول ويجوز أن يعرب تمييزاً وجملة وهم يحسبون حال من فاعل ضل . (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم) أولئك اسم اشارة مبتدأ والـذين خبره وجملة كفروا صلة وبآيات ربهم جار ومجرور متعلقـان بكفروا ولقائه عطف على آيات فحبطت عطف على كفروا وأعمالهم فاعل حبطت . (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) فلا نقيم عطف على ما تقدم والفاعل مستتر تقديره نحن ولهم متعلقان بنقيم ويوم القيامة متعلق بنقيم أيضاً ووزناً مفعول به أي

فلا يكون لهم عندنا وزن أو مقدار • (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً) ذلك مبتدأ وجزاؤهم خبر وجهنم بدل أو عطف بيان لقوله جزاؤهم ويجوز أن يعرب ذلك خبراً لمبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر فتكون كل من الجملتين جملة برأسها ويجوز أن يعرب ذلك مبتدأ وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر جزاؤهم والجملة خبر المبتدأ الأول وهو ذلك وهذه الاوجه متساوية الرجحان ، وبما كفروا يجوز أن يتعلق بمحذوف خبر ذلك في أحد وجوهه أو بمحذوف حال أي بسبب كفرهم وما مصدرية واتخذوا عطف على كفروا وآياتي مفعول به أول ورسلي عطف على آياتي وهزواً مفعول به ثان •

البلاغة :

١ ـ الاستعارة المكنية :

في قوله تعالى « وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض » استعارة محسوس لمحسوس كما قسمنا أنواع الاستعارة فإن أصل الموج تحريك المياه فاستعير لحركة يأجوج ومأجوج لاشتراك المستعار والمستعار له في الحركة وهي استعارة مكنية تبعية أوهم الخلق يموجون •

٢ ـ جناس التصحيف :

وفي قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » جناس التصحيف وهو أن يكون النقط فيه فارقاً بين الكلمتين على حد قول البحتري :

ولم يكن المغتر بالله إذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

الجناس وأقسامه :

الجناس ويقال له التجنيس والمجانسة والتجانس وكلها ألفاظ مشتقة من الجنس،وحدّه في الاصطلاح تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى وفائدته أن يميل بالسامع الى الإصغاء فإن مناسبة الالفاظ تحدث ميلاً وإصغاء اليها ولأن اللفظ المذكور إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه .

وفيما يلي أقسام الجناس باختصار :

١ ـ الجناس المركب : وهو أن يتألف من ركنين وهو قسمان :

آ ـ أن يتشابه ركناه لفظاً لا خطاً كقول العماد الاصفهاني وكان يسير مع القاضي الفاضل في موكب السلطان وقد ثار الغبار :

أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك
والجوّ منه مظلم ... لكن أنار به السنا بك
يا دهر لي عبد الرحيـ ... ـم فلست أخشى مسّ نابك

ويحكى أنه لما كان المعتمد بن عباد في سجن أغمات وطال عليه الحال قالت له جاريته لقد هنّا هنا فأنشد على قولها :

قالت لقد هُنّا هُنا ... مولاي أين جاهُنا
قلت لها : إلهنا ... صيرنا إلى هنا

ب ـ أن يتشابه ركناه لفظاً وخطاً ومن أمثلته :

عضنا الدهر بنابه ... ليت ما حل بنا به

ولأبي الفتح البستي :

إذا لم يكن ملك ذا هبه   فدعـه فدولته ذاهبـه

٢ ـ الجناس الملفق :

وحدّه أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين كقول بعضهم:

رعى الله دهراً بكـم قد مضى   بلغت الأمـاني به في أمـان
وأيـام أنس تولت لنـا   بأحـلام عان بأحـلى معان

٣ ـ الجناس المعنوي :

وهو مجرد صناعة مضنية وقد يأتي حسناً ، وهو أن يضمر المتكلم ركني التجنيس ويذكر ألفاظاً مرادفة لأحدهما فيدل المظهر على المضمر وأحسن ما سمعناه منه قول أبي بكر بن عبدون وقد اصطبح بخمرة وترك بعضها الى الليل فصارت خلاً :

ألا في سبيل الله كأس مدامة   أتتنا بطعم عهـده غـير ثابت
حكت بنت بسطـام بن قيس صبيحـة
وأضحت كجسـم الشنفرى بعـد ثابت

فصح معـه جناسان مضمران في صـدر البيت وعجزه لأن بنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى اسمه ثابت وجعل جسمه خلاً في مرثية خاله تأبط شراً حيث قال :

فاسقنيهـا يا سواد بن عمرو   إن جسمي بعـد خالي لخل

والخل المهزول ، وأما الجناس المضمر فهو بنت بسطام التي هي الصهباء وأما الذي في العجز فهو جسم ثابت الشنفرى الذي هو الخل والمعنى أن الخمر التي حكت سميتها بنت بسطام صباحاً وحكت جسم الشنفرى مساء أي كانت صهباء فصارت خلاً فظهر من كناية اللفظ جناسان مضمران الصهباء وهي الخمرة والصهباء وهي بنت بسطام وخل وهو المهزول وخل وهو ما يؤتدم به .

٤ ـ الجناس المطرف :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول كقول عبد الله بن المعتز :

زارني والدجى أحمّ الحواشي — والثريا في الغرب كالعنقود
وكأن الهلال طوق عروس — بات يجلى على غلائل سود
ليلة الوصل ساعدينا بطول — طول الله فيك غيظ الحسود

فإن قوله الحسود زاد حرفاً على سود .

٥ ـ الجناس المحرف :

وهو ما اتفق ركناه في أعداد الحروف وترتيبها واختلفا في هيئة الحروف فقط ،سمي بذلك لانحراف هيئة عن هيئة الآخر قال أبو العلاء:

والحسن يظهر في شيئين رونقه — بيت من الشعر أو بيت من الشعر

٦ ـ الجناس اللفظي :

وهو ما تماثل ركناه لفظاً واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطاً ،

قال أبو تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم

تصول بأسياف قواضٍ قواضب

وقال البحتري :

من كل ساجي الطرف أغيد أجيد

ومهفهف الكشحين أحوى أحور

٧ ـ الجناس المطلق :

وهو ما اختلف ركناه في الحركات والحروف فاشتبه بالمشتق الراجع معناه الى أصل واحد وليس كذلك وهو جميل غير متكلف ، ومنه قول أبي فراس :

سكرت من لحظه لا من مدامته

ومال بالنوم عن عيني تمايله

فما السلاف دهتني بل سوالفه

ولا الشمول ازدهتني بل شمايله

ألوى بعزمي أصداغاً لوين له

وغال صبري بما تحوي غلايله

وقد ولع أبو فراس بهذا اللون من الجناس فقال :

عذيري من طوالع في عذاري

ومن برد الشباب المستعار

وثوب كنت ألبسه أنيق
أجرّر ذيله بين الجواري

وما زادت على العشرين سني
فما عذر المشيب إلى عذاري

ومنه الحديث النبوي وهو « الظلم ظلمات يوم القيامة » .

٨ ــ الجناس المذيل :

وهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر بحرف أو أكثر في طرفه الأخير فكان له بمثابة الذيل اللاحق بالثوب ، ومنه قول أبي تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول بأسياف قواض قواضب

ولحسان بن ثابت منه :

وكنا متى يغز النبي قبيلة
نصل جانبيها بالقنا والقنابل

٩ ــ الجناس اللاحق :

وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف واحد بغيره من غير مخرجه سواء كان الابدال في الأول أو الوسط أو الآخر ، قال البحتري :

عجب الناس لاغترابي وفي الأط...
...راف تلقى منازل الأشراف

وقعـــودي عــن التقلـــب والأر

ض لمثـــلي رحيبـة الأكنـاف

ليس عـــن ثروة بلغـــت مـــداها

غـــير أني امـرؤ كفـــاني كفـــافي

ولأبي فراس الحمداني :

تعس الحريص وقـــلّ ما يأتي بـــه

عوضـاً عن الإلحـــاح والإلحـــاف

إن الغـــني هـــو الغـــني بنفســـه

ولـــو انه عـــاري المناكب حـافي

ما كـلّ ما فوق البسيطـة كافيـــاً

فإذا قنـــعت فكـــل شيء كـــافي

١٠ ــ الجناس المصحف :

وقد تقدم عند الكلام على الآية ، ولأبي فراس فيه روائع ، استمع الى هذه المقطوعة :

ما كنت مـــذ كنت إلا طوع خـــلاني

ليست مؤاخـــذة الاخوان من شاني

يجني الخليـــل فأستحـــلي جنايتـه

حـــتى أدل عـــلى عفوي واحســـاني

إذا خليـــلي لــم تكثر اساءتـــه
فأين موقـــع إحســـاني وغفراني
يجـني عليّ وأحنو صافحـــاً أبـــداً
لا شـــيء أحسن من حانٍ عـلى جاني

١١ ـ الجناس التام :

وهو أن يتفق اللفظـان في أنواع الحروف وأعـدادها وهيئاتها وترتيبها وهو قسمان :

آ ـ الجناس التام المتمـاثل : وهو أن يكون اللفظان من نوع واحـد كاسمين أو فعلين أو حرفين كقولـه تعالى « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة » .

وقول أبي تمام :

السيف أصـــدق أنبـــاء من الكتب
في حـدّه الحـد بين الجـد واللعـب

فجانس بين حد السيف والحد الفاصل بين الشيئين وهما اسمان ، وقد تفنن الشعراء فيه ولا سيما في عصور الانحطـاط كقـول الملك الصالح داود :

عيون من السحـــر المبـــين تبـــين
لها عنـــد تحريك الجفـــون سكون

تصـــول ببيض وهي سود فرندهـــا

ذبول فتـــور والجفـــون جفـــون

إذا أبصـــرت قلباً خلياً من الهـــوى

تقـــول له : كـــن مغرماً فيكـــون

ب ـ وان كانا من نوعين كاسم وفعـل أو اسم وحرف أو فعل وحرف سمي الجناس المستوفى كقول أبي الفضل الميكالي :

يا من يضيع عمره في اللهـــو أمسك

واعلـــم بأنك ذاهب كـذهاب أمسك

فجانس بين أمسك وهو فعـل أمر وأمسك وهو اليوم الـذي قبل يومك .

أبو تمام والتجنيس :

وقد بالغ أبو تمام في استعمال التجنيس وفيما يلي طائفة منها :

قـــال :

فأصبحت غـرر الأيـــام مشرقـــة

بالنصـــر تضحك عن أيامك الغـــرر

فالغرر الأولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشيء أكرمه . وقال في قصيدته فتح عمورية :

عـــداك حر الثغور المستضامـــة عن

برد الثغـور وعن سلسالهـا الخصـب

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الأسنان ، وهو أيضاً البلد الذي على تخوم العدو ، ثم قال فيها :

كم أحرزت قضب الهندي مصلتة
تهتز من قضب تهتز في كثب

بيض إذا انتضيت من حجبها رجعت
أحق بالبيض أبداناً من الحجب

فالقضب السيوف ، والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من نادر أبي تمام الذي لا يتعلق به أحد .

وقد أكثر أبو تمام من التجنيس في شعره فمنه ما أغرب فيه وأحسن ومنه ما أتى مستثقلاً نابياً كقوله :

قرّت بقرّان عين الدين واشتترت
بالأشترين عيون الشرك فاصطلما

فجانس بين قرت من قرت العين أي بردت سروراً وقران اسم مكان واشتترت : انشقت والأشترين اسم مكان أيضاً واصطلم : قطع من أصله .

وأقبح من ذلك قوله :

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت
سلام سلمى ومهما أورق السلم

جناس البحتري : أما البحتري فلم يسف الى الحضيض الذي أسف إليه أبو تمام ولم يأت بالتجنيس إلا جميلاً مطبوعاً غير متكلف كقوله :

إذا العين راحت وهي عين على الهوى

فليس بسرٍّ ما تسر الأضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة .

وما أجمل قول أبي العلاء المعري :

لم يبق غيرك إنساناً يلاذ به

فلا برحت لعين الدهر انسانا

ولأبي تمام تجنيس متكرر في البيت الواحد قال :

ليالينا بالرقمتين وأهلنا

سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

فالعهد الأول المسقى هو الوقت والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ما له عهد ،والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهدت اليه أي وصاني وصيته ، والعهد الرابع : المطر وجمعه عهاد ، قال ابن رشيق : « استثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم » .

الفوائد :

١ ـ أفعال التصيير هي التي تدل على التحويل والانتقال من حالة الى أخرى وهي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر هكذا قال النحاة واعترض بعضهم ذلك بقوله ان معمولي هذه الأفعال متغايران

مفهوماً وخارجاً فلا يصح أن يدعى كونهما مبتدأ وخبراً لوجود اتحادهما خارجاً يبين لك ذلك انك تقول صيرت الفقير غنياً والمعدوم موجوداً ولا يخفى أن صدق أحدهما على الآخر ممتنع ويجاب بأن نحو الفقير غني صحيح أي الفقير فيما مضى تجدد له الغنى وكذا المعدوم موجود إذ الوصف العنواني لا يشترط وجوده دائماً بل يكفي وجوده في بعض الأوقات. وقال الشهابي القاسمي: ويمكن أن يجاب عن البحث بأن أريد أن أفعال التصيير لا يكون معمولاها متغايرين مفهوماً وخارجاً فهو ممنوع نحو قوله تعالى «وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض» فإن ترك هنا من أفعال التصيير مع صدق أحد مفعوليها على الآخر وإيجاده معه خارجاً فإن المائج يصدق على بعضهم ويتحد معه خارجاً وان أريد انه قد يكون معمولاها كذلك فمسلم ولا يضير لأن أفعال الباب لا يجب أن تدخل على المبتدأ والخبر بل قد تدخل على غيرهما .

٢ ــ اعلم أن المميز يكون واحداً ويكون جمعاً فإذا وقع بعد عدد نحو عشرين وثلاثين ونحوهما لم يكن المميز إلا واحداً نحو قولك : عندي عشرون ثوباً وثلاثون عمامة لأن العدد قد دل على الكمية ولم يبق بنا حاجة إلا الى بيان نوع ذلك المبلغ وكان ذلك مما يحصل بالواحد وهو أخف وأما إذا وقع مفسراً لغيرعدد نحو : هذا أفره منك عبداً وخير منك عملاً جاز الافراد والجمع لاحتمال أن يكون له عبد واحد وعبيد فاذا قلت : هو أفره منك عبيداً أو خير منك أعمالاً دللت بلفظ الجمع على معنيين : النوع وانهم جماعة . قال الله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً » ، فهم من ذلك النوع وانه كان من جهات شتى لا من جهة واحدة واذا أفردت فهم منه النوع لا غير .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

اللغــة :

(الفردوس) : الجنة من الكرم خاصة ، وقيل : بل ما كان غالبها كرماً . وقيل : كل ما حوط فهو فردوس والجمع فراديس ، وقال المبرد : والفردوس فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه من العنب ، وحكى الزجاج انها الأودية التي تنبت ضروباً من النبت ، واختلف فيه فقيل هو عربي وقيل أعجمي ، وقيل هو رومي ، وقيل فارسي ، وقيل سرياني ، وفي القاموس والتاج : الفردوس : بالكسر الأودية التي تنبت ضروباً من النبت والبستان يجمع كل ما يكون في ابساتين تكون فيه الكروم وقد يؤنث ، عربية أو رومية نقلت أو سريانية ، وروضة دون اليمامة لبني يربوع ، وماء لبني تميم قرب الكوفة ، وقلعة فردوس بقزوين . الى أن يقول والفردسة السعة وصدر مفردس واسع أو ومنه الفردوس قال شارحه قوله:أو ومنه الفردوس أي

اشتقاقه كما نقله ابن القطاع وهــذا يؤيد كونــه عربياً ويدل له أيضاً قول حسان :

وان ثواب الله كل موحـــــد جنان من الفردوس فيها يخلد

(حولا) : الحول التحول يقال حــال من مكانه حولاً كقولك عادني حبها عوداً يعني لامزيد عليه والحول بكسر الحاء وفتح الواو مصدر بمعنى التحول يقـــال حال عن مكانــه حولاً فهــو مصدر كالعوج والصغر •

(المداد) : اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ، ويقال السماد مداد الأرض •

الاعراب :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً) ان واسمها وجملة آمنوا صلة وجملة وعملوا الصالحات عطف على الصلة وجملة كانت خبر إن ولهــم حال من نزلاً لأنه كان صفــة وتقدم عليه وجنات الفردوس اسم كانت ونزلاً خبرها ويجوز أن يكون لهم الخبر ونزلاً حال • (خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) خالدين حال من الضمير في لهم وفيها متعلقان بخالدين وجملة لا يبغون حالية وعنها متعلقــان بحولاً وحولاً مفعول يبغون • (قــل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) لو شرطية وكان البحر كان واسمها ومــداداً خبرها ولكلمات صفة لمداد واللام واقعة في جواب لو وجملة نفد البحر جواب شرط غير جازم لا محل لها وقيل ظرف متعلق بنفد وأن تنفد المصدر مضاف لقبل

وكلمات ربي فاعل والواو لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها أي لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته لو لم يجيء بمثله مدداً ، ولو شرطية وجئنا فعل الشرط وجواب لو محذوف تقديره لنفد ولم تفرغ ، وبمثله متعلقان بجئنا ومدداً تمييز كقولك لي مثله رجلاً وسيأتي مزيد بحث في الفوائد عن جواب لو • (قل إنما أنا بشر مثلكم) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ وبشر خبر ومثلكم صفة • (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) جملة يوحى صفة لبشر وإلي متعلقان بيوحى وانما كافة ومكفوفة ولكنها لم تخرج عن المصدرية فهي وما بعدها في محل رفع نائب فاعل وإلهكم مبتدأ وإله خبر وواحد صفة • (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وكان فعل ماض ناقص واسمها يعود على من وجملة يرجو خبرها ولقاء ربه مفعول به ، فليعمل الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويعمل فعل مضارع مجزوم بلام الامر وعملاً مفعول مطلق أو مفعول به وصالحاً صفة ولا يشرك لا ناهية ويشرك فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وبعبادة ربه متعلقان بيشرك وأحداً مفعول يشرك •

الفوائد :

جواب لو :

سيأتي المزيد من أبحاث لو في هذا الكتاب فهي من الادوات التي يكثر فيها القول ولذلك جعلناه موزعاً على الآيات وتتكلم الآن عن جواب لو فنقول : إن جوابها إما ماض معنى نحو نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أو ماض وضعاً وهذا إما مثبت فاقترانه باللام نحو « لو نشاء لجعلناه حطاماً » أكثر من تركها نحو « لو نشاء جعلناه

أجاجاً » وهذه اللام تسمى لام التسويف لأنها تدل على تأخير الجواب عن الشرط وتراخيه عنه كما أن اسقاطها يدل على التعجيل أي أن الجواب يقع عقيب الشرط من غير مهلة ولهذا دخلت في « لو نشاء لجعلناه حطاماً » وحذفت في نحو « لو نشاء جعلناه أجاجاً » أي لوقته في المزن من غير تأخير والفائدة في تأخير جعله حطاماً وتقديم جعله أجاجاً تشديد العقوبه أي اذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الاطماع جعلناه حطاماً ، أو لأن الزرع ونباته وجفافه بعد النضارة حتى يعود حطاماً مما يحتمل انه من فعل الزراع ولهذا قال تعالى : « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » أو أنه من سقي الماء وجفافه من عدم السقي وحرارة الشمس أو مرور الأعصار فأخبر سبحانه أنه الفاعل لذلك على الحقيقة وانه قادر على جعله حطاماً في حال نموه لو شاء وإنزال الماء من السماء مما لا يتوهم أن لأحد قدرة عليه غير الله تعالى وهذا من عيون النكت فاعرفه وتدبره •

وإما أن يكون جواب لو منفياً بما فالأكثر تجرده من اللام ويقل اقترانه بها فالاول نحو « ولو شاء ربك ما فعلوه » والثاني نحو قوله :

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الليالي

فأدخل اللام على ما النافية ولا تدخل اللام على ناف غيرها وقيل قد تجاب لو بجملة اسمية مقترنة باللام نحو « ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير » فاللام في لمثوبة جواب لو وان بين الماضي والاسم تشابهاً من هذه الجهة وقال الزمخشري وانما جعل جوابها جملة اسمية دلالة على استمرار مضمون الجزاء ورد أبو حيان هذا في البحر فقال اللام في لمثوبة لام الابتداء لا الواقعة في جواب لو وهو

أحد احتمالي الزمخشري وقد تقدم ذلك في البقرة أي فتكون الجملة مستأنفة أو جواب لقسم مقدم وقال ابن هشام في المغني : « والأولى أن تكون لام لمثوبة لام جواب قسم مقدر بدليل كون الجملة اسمية وأما القول بأنها لام جواب لو وأن الاسمية استعيرت مكان الفعلية تعسف » وأقول التعسف في تقديرها للقسم أكثر من جعل الجواب جملة اسمية .